

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعم من قطع طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى آله الطاهرين .

- (١) أما بعد ، فإني أقول منبهاً لنفسي ، ولن كان من أبناء جنسي : من لم يُطع ناصحه بقبول ما يسمع منه ، ولم يملك صديقه كله^(١) فيما يمثله له ، ولم يتقد لبيانه^(٢) فيما يريه^(٣) إليه ويطلبه عليه ؛ ولم ير أن عقل العالم الرشيد ، فوق عقل المتعلم البليد ؛ وأن رأى المجرب البصير ، مقدم على رأى الغمري^(٤) الغرير فقد خسِرَ حظه في العاجل ، ولعله أيضا يخسر حظه في الآجل ؛ فإن مصالح الدنيا معقودة بمراشد الآخرة ، وكليات الحس في هذا العالم ، في مقابلة موجودات العقل في ذلك العالم ؛ وظاهر ما يُرى بالميان مُفضٍ إلى باطن ما يصدق عنه الخبر ؛ وبالجملة ، الداران متفتتان في الخير المقتبط به ، والشر المنذور عليه ؛ وإنما يختلفان بالعمل المتقدم في إحداها ، والجزاء المتأخر في الأخرى ؛ وأنا أعوذ بالله التالك الحق الجبار العزيز الكريم المساجد أن أجهل حظي ، وأعمى عن

(١) كله : مفعول لـ « يملك » ، يريد بهذه العبارة تمام الطاعة لصديقه حتى كان صديقه مملك له كله يتصرف فيه كيف يشاء .
 (٢) في الأصل « ولم ينفذ لسانه » .
 (٣) يريه : يريده ويطلبه .
 (٤) الغمري بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور ؛ والجاهل الأبله .

رُشدى ، وألقى بيدي إلى التهلكة ، وأتجانف^(١) إلى ما يسوءنى أولاً ولا يسرّنى
 آخراً ؛ هذا وأنا فى ذيل الكهولة وبادئة الشيخوخة ، وفى حالٍ من إن لم تهده
 التجارب فيما سلف من أيامه ، فى حالى سفره ومقامه ؛ وقهره وغنائه ، وشِدته
 وورخائه ، وسرّائه وضرائه ، وخيفته ورجائه ؛ فقد أقطع الطمع من فلاحه
 ووقع اليأس من تداركه وأستصلاحه ؛ فإلى الله أفزع من كل ريثٍ وعجل
 وعليه أتوكل فى كل سؤل وأمل ، وإيأه أستعين فى كل قول وعمل .

(٢) قد ضمتُ أيها الشيخ^(٢) — حَفِظَ اللهُ رُوحَكَ ، وَوَكَّلَ السَّلَامَةَ بِكَ ، وَأَفْرَغَ
 الكرامة عليك ، وَعَصَبَ كُلَّ خَيْرٍ بِحَالِكَ ، وَحَسَدَ كُلَّ نِعْمَةٍ فِي رِحَابِكَ
 وَرَحِمَ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الْهَائِلَةَ — مِنْ أَبْنَاءِ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ — بِعِنَايَتِكَ ، وَلَا قَطَعَكَ
 مِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَنَى طَرْفَكَ عَنِ الرَّقَّةِ لَهُمْ ، وَلَا زَهْدَكَ فِي أَصْطِنَاعِ
 حَالِهِمْ وَعَاطِلِهِمْ ، وَلَا رَغِبَ بِكَ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِمْ لِبَعْضِ بَاطِلِهِمْ ، وَلَا تَقَلَّ عَلَيْكَ
 إِدْنَاءُ قَرِيْبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ ، وَإِنَالَةَ مُسْتَحِقِّهِمْ وَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ
 وَأَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ ، مِنْ بَشْرٍ تَبْدِيهِ ، وَجَاهٍ تَبْدُلُهُ ، وَوَعْدٍ
 تُقَدِّمُهُ ، وَضِمَانٍ تُؤَكِّدُهُ ، وَهَشَاشَةٍ تَمْرُجُهَا بِبِشَاشَةٍ ، وَتَبْسُمٌ تَخْلُطُهُ بِفُكَاهَةٍ
 فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا زَكَاةُ الْمَرْوَةِ ، وَرِبَاطُ النِّعْمَةِ ، وَشَهَادَةُ بِالْمُخْتَدِ^(٣) الزَّكِيِّ
 وَالْعَرِيقِ الطَّيِّبِ وَالْمَنْشَأِ الْمَحْمُودِ ، وَالْمَادَةِ الْمَرْضِيَّةِ ؛ وَهِيَ مُؤَدَّةٌ بِأَنَّ الْمُنْحَةَ
 رَاهِنَةٌ^(٤) ، وَالتَّوْهِيْبَةُ قَاطِنَةٌ ، وَالشُّكْرُ مَكْسُوبٌ ، وَالْأَجْرُ مَذْخُورٌ ، وَرِضْوَانُ اللهِ

(١) « وأتجانف » ، وهو تحريف . والتجانف إلى الشيء : الميل إليه .

(٢) يريد بالشيخ أبا الوفا المهندس ، وهو الذى وصل أبا حيان بالوزير أبى عبد الله
 المارضى كما يفهم مما يأتى .

(٣) « بالمجد » .

(٤) راهنة : دائمة .

واقع ؛ وأسأل الله بعد هذا كله ألا يُسهم^(١) وجهي عندك ، ولا يُزِلَّ قَدَمِي
في خدمتك ، ولا يُزِيغَنِي^(٢) إلى ما يقطع مادةَ إحسانِك وعائدةَ رأيك ونافع^(٣)
نَفْتِك وجَمِيلَ معتقدِك ، بمنه ولطفه .

فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ، ووعيته وَعَيَاتَامَا ؛ وبان لي
الرُّشْدُ في جلته وتفصيله ، والصلاحُ في طرفيه ووسطه ، والغنيمَةُ في ظاهره
وباطنه ، والشفقةُ من أوله إلى آخره . وأنا أعيده ههنا بالقلم ، وأرُسُّهُ بالخطِّ
وأقْتِيده باللفظ ، حتى يكون أعترافي به أَرْسَى وأثْبَت ، وشهادتي على نفسي
أَقْوَى وأَوْكَد ، ونُكُولِي عنه أَبَدُ وأصْعَب ، وَحُكْمُكَ بِه لي وعلى
أَمْصَى وَأَنْفَذ .

(٣) قلت لي — أدام الله تعالى توفيقك في كل قول وفعل ، وفي كل رأي
ونظر — : إنك تعلم يا أبا حَيَّانَ أَنَّكَ أَنْكَفَأْتَ من الرَّمِي^(٤) إلى بغداد في آخر
سنة سبعين^(٥) بعد فوت مأمولك من ذى الكفائتين^(٦) — نصر الله وجهه —
عابسا على ابن عباد^(٧) مَغِيظًا منه ، مقروح الكبد ، لما نالك به من الحرمان

(١) السهم : تغير الوجه وعبوسه من الهم ؛ وكنى به عن تغير الحال .

(٢) يزِيغُنِي : يميلني .

(٣) « ويافع » .

(٤) الرمي : مدينة فارسية قديمة كانت قسبة بلاد الجبال ، وكان اسمها الفارسي راغة
ومنه أخذ اسمها العربي ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران .

(٥) أي وثلاثمائة .

(٦) ذو الكفائتين : لقب لأبي الفتح علي بن أبي الفضل محمد المعروف بابن العميد .
وينون بالكفائتين كفاية السيف وكفاية العلم ، وقد قام مقام أبيه ابن العميد ، واستوزر لركن
الدولة البرويهي ، ثم لما تولى عضد الدولة نكبه وقتله سنة ٣٦٦ هـ .

(٧) ابن عباد ، هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ، ولد سنة ست
وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ، وكان وزيراً لمؤيد الدولة أبي =

المُرّ ، والصدُّ^(١) القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقَدْعُ^(٢) المؤلم
والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على الخدمة ، وجبس الأجرة على النسخ
والوراقة ، والتجهم المتوالى عند كل لحظة ونقطة .

وذكرت في الجملة شقاء اتصل بك في سفرك ذلك ، وعناء نال منك في
عرض^(٣) أحوالك ؛ ولعمري إن السفر فعول لهذا كله ولأكثر منه ؛ فأرعبتكَ
بصرى ، وأمرتكَ نهمي ، وساهمتكَ في جميع ما قرته في أذني بالجزع والتوجع
والاستقطاع^(٤) والتفجّع ؛ وضمنتُ لك تلافى ذلك كله بحاق^(٥) الشفقة
وخالص الضمير ، ووعدتك صلاح الحال عن ثبات النية ، وصحة العقيدة ، وقلتُ :
أنا أرمي حَقَّك التديم حين التقينا (بأرجان^(٦)) ، وأنا على باب (ابن شاهويه^(٧))
الفقيه ، وعهدك الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين ؛
وأوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض^(٨) — أدام الله تأييده — وأخطب

= منصور بويه الديلمي ، ثم وزير لأخيه نجر الدولة أبي الحسن علي ، وهو أول من لقب
بالمصاحب من الوزراء ، لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا .

(١) « والقصد » .

(٢) القدح بالمهمله : المنع والجزع . وبالذال المعجمة : الشتم . والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٣) « في عرض أحوالك » أي في أكثرها . وعرض الشيء أكثره ومعظمه .

(٤) « والاستقطاع » .

(٥) حاق الشفقة : أي صادقتها وكاملها .

(٦) أرجان : مدينة بين فارس وخوزستان ، وهي من كور الأهواز ، وتعرف الآن

باسم « بابهان »

(٧) ابن شاهويه هو أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفارسي الفقيه الشافعي

تولى القضاء ببلاد فارس ، وتوفي سنة ثنتين وستين وثلاثمائة بَنيسابور .

(٨) أبو عبد الله العارض ، هو — في رأينا — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان

كان وزيراً لمصمّم الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٣٧٥ والعارض لقب له

وهو كما في الأنساب لسمازي « من يعرف السكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض

السكر على الملك إذا احتيج إلى ذلك » والظاهر أنه لقب بهذا إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن

يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته (راجع الأدلة على هذا الرأي في المقدمة) .

الإمتاع والمؤانسة

لك قبولا منه ، وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، ونيل الخطوة بخدمتك وملازمتك ؛ وفعلت ذلك كله حتى استكتبتك (كتاب الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ ، لعنايتك به ، وتوفرك على تصحيحه ، ثم حضرت^(١) لك هذه الحال إلى يومنا هذا ؛ وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمره ونهيه ، وإلى أن يكون هو المُبرم والناقض ، والرافع والواضع ، والكافي والوافي ، والمقرب لخدمها ونصحائها ، والمزحزح لحسدتها وأعدائها ؛ والراعي لرعيته ودعواتها ، والناهض بأفعالها وأعبائها ، أعانه الله على ما تولاه ، وكفاه المهم في دنياه وأخراه ، بمنه وقدرته .

نعم ورتبت ذلك كله ، ولم أقطع عنك عادتى معك في الأسترسال والأنبساط ، والبر والمواساة ، والمساعدة والمواتاة^(٢) ، والتعصب والحمامة .

أفكان من حقى عليك فى هذه الأسباب التى ذكرتها ، وفى أخواتها التى تركتها كراهة الإطالة بها أنك تغلو بالوزير — أدام الله أيامه — لىالى متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب وتريد ، وتلقى إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بصد الرقعة ؛ ولعلك فى عرض ذلك تعدو طورك بالتشديق^(٣) وتجوز حدك بالأستحقار ، وتتناول إلى ما ليس لك ، وتغلط فى نفسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطة المتحرى ، وخجلة الواثق ؛ هذا وأنت غير لاهيئة لك فى لقاء الكبراء ، ومحاوره الوزراء ؛ وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك ، وإلى

(١) « حضرت لك هذه الحال » ، أى كفلتها لك وحفظتها عليك .

(٢) المواتاة : الموافقة .

(٣) التشديق ، هو التوسع فى الكلام من غير احتياط واحتراز ، وهو أيضا استهزاء

الرجل بالناس يلوى شدة بهم وعليهم .

البارق، وسلوتُ عن قربك بقلب معرِضٍ وعزمٍ حتى ؛ إلا أن تُطلِني طِلْعَ^(١) جميع ما تحاورتما وتجادبتما هُذَبَ الحديث عليه ، وتصرفتما في هزله وجِدّه ، وخيره وشمره ، وطيبه وخبيثه ، وباده ومكتومه ؛ حتى كأني كنتُ شاهداً معكما ورقيباً عليكما ، أو متوسطاً بينكما ، ومتى لم تفعل هذا ، فأنتظر عُقبى أستباحثني منك ، وتوقعُ قلةً غُفولى عنك ، وكأني بك وقد أصبحتَ حَرَافَ حيرانَ يا أبا حيان ، تأكل أصبعك أسفاً ، وتزدردُ ريقك لهما ، على ما فاتك من العوطة لنفسك ، والنظر في يومك لندك ، والأخذ بالريقة في أمرك ، أنظنن بفراحتك^(٢) وعمارتك^(٣) ، وذهابك في فسولتك^(٤) التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والفرباء والمجتهدين الأديباء الأردباء ؛ أنك تقدر على مثل هذه الحال ، وأنامُ منك على حسن الظن بك ، والثقة بصدرك ووردك ، وأطمئن إلى حَكِّك وجردك وأتمامى عن حرك وبردك ؛ هيات ؛ زقدتَ فعلمت ، فغيراً رأيت وخيراً يكون على هذا الحدِّ كان مَقْطَعُ كلامك في موجدتك ، وإلى هنا بلغ فيضُ عَتَبِكَ ولأمتك ؛ وفي دون ذلك تنبيه للنائم ، وإيقاظٌ للساهى ، وتقويمٌ لمن يقبل التقويم ؛ وقد قال الأول :

ألا إنما^(٥) يكنى القتي عند زيفه من الأوذ^(٦) البادى ثقافُ المقوم .

قلت لك : أنا سامع مطيع ، وخادمٌ شكور ، لا أشتري سخطك بكل

(١) يقال : « أطلعت طلع أمرى » بكسر الطاء ، أى أبنته سرى .

(٢) الترابرة : النقلة .

(٣) الضارة : الجهل والبلامة .

(٤) الفسولة : الضيف والحنة وقلة المروءة .

(٥) «أبنا» بالياء . (٦) الأوذ : العوج . والثقاف : ما سوى به الريح .

صفراء^(١) وبيضاء في الدنيا ؛ ولا أنفِر من التزام^(٢) الذنب والاعترافِ بالتصير ؛
ومثلي يهفو ويجمج ، ومثلك يهفو ويصفح ؛ وأنت مولى وأنا عبد ، وأنت أمرٌ
وأنا مؤتمِر ، وأنت ممثِلٌ وأنا ممثَل ، وأنت مصطنع وأنا صنيعةٌ ، وأنت
منشئٌ وأنا مُنشَأ ، وأنت أولٌ وأنا آخِر ، وأنت مأمولٌ وأنا آمِلٌ ، ومتى
لم تغفر لي الذنب البكر ، والجناية العذراء ، والبادرة النادرة ؛ فقد أعنتني على
ما كان مني ، ودللت على مَلِك لي ؛ وأنت كنت مترصداً لهذه الهفوة
ومعتقداً في مقابلتها هذه الجفوة ؛ وكرمك يأبى عليك هذا ، ومثولي بين يديك
خِدمة لك يحظره عليك .

هذا وأنا أفضل ما ط لبنتي به من سرِّد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه
على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن
أذنتَ جمعته كله في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل ، والحلِّ والمر ، والطرى
والعامى^(٣) ، والمحبوب والمكروه ؛ فكان من جوابك لي : اقبل . ونعم ما قلت
وهو أحبُّ إليّ وأقربُ إلى إرادتي ، وأحصرُّ لما أريغ^(٤) منه ، وأدخلُ
في الحجّة عليك ولك ؛ وأغسلُ للوسخ الذي بيني وبينك ، وأزهرُ للسراج الذي
طغى عني وعنك ، وأجذبُ لعنان الحجّة إن كانت لك ، وأنطقُ عن العذر إن
أتضح بقولك ؛ وإذا عنمت فتوكّل على الله ؛ وليكن الحديث على تباعد
أطرافه ، وأختلاف فنونه مشروحا ، والإسناد عاليًا متصلًا ، والتمنُّ تامًا بيننا ،

(١) يريد بالصفراء الذهب ، وبالبيضاء الفضة .

(٢) « أكرام » .

(٣) الباسى : اليايس .

من الحجا، ودزيبه^(١) بالتمييز؛ ونسجه بالرقعة، والحجا في غاية النشاط^(٢) وبهذا
البيون يقع التباين ويتسع التأويل، ويجول الذهن، وتمطى^(٣) الدعوى، ويفزع
إلى البرهان، ويؤبرأ من الشبهة، ويُعتر بما أشبه الحجة وليس بحجة؛ فأخذ
هذا النص وروادفه، وأتى هذا الحكم وقوائمه^(٤)؛ ولا تمشق اللفظ دون المعنى
ولا تهو المعنى دون اللفظ؛ وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب، فإن
صناعتهم يُفتقر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تشبه بهم، ولا
تجبر على مثلهم، ولا تنسج على منوالهم، ولا تدخل في غمارهم، ولا تكثر
ببياضك سوادهم، ولا تقابل بكاهتك براعتهم، ولا تجذب بيدك رشاءهم، ولا
تحاول بباعك مطاوتهم^(٥) وأعرف قدرك تسلّم، وأزم حدك تأمن؛ فليس
الكوذن^(٦) من العتيق في شيء، ولا الفقير من الغنى على شيء؛ أما سمعت قول
الناس: ليس الشامى للعراق^(٧) بصاحب، ولا الكردي من الجندي بساخر،
فإن طال^(٨) فلا تبسل، وإن تشعب فلا تكترث، فإن الإشباع في الرواية أشنى
للخليل، والشرح^(٩) للحال أبلغ إلى الغاية، وأظفر بالمراد، وأجرى على العادة.
فكُتبت: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أقول أيها الشيخ — عطف الله

(٥)

- (١) دريه، أي درياه وعلمه.
(٢) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ.
(٣) تمطى: تتناول.
(٤) قوائمه، أي توابه. يقال: قاف أثره إذا تبعه.
(٥) «مطاوتهم».
(٦) الكوذن: الفرس المهجين والبرذون. والعتيق من الأفراس: الكرم الرائع منها.
(٧) يشير بهذه الجملة إلى ما وقع بين الشام والعراق من العداوة أيام علي ومعاوية وما
ذلك.
(٨) طال، أي الكلام.
(٩) «والشرح».

قلبك على ، وألمحك الإحسان إلى - في جواب جميع ما قلته واجداً على وعانبا ، وقابضا ، وباسطاً ، ومرشداً ، وناصحاً ؛ ما يُعرَف الحق فيه ، ويستبين الصواب منه ، غير خائن لك ، ولا جانح إلى مخالفتك ، ولا مُربغ^(١) للباطل معك ، ولا جاحد لأيديك القديمة والحديثة ، ولا منكِر لنعمتك الكافية الشافية ، ولا غاطٍ^(٢) على فواضلك المجتمعة والمتفرقة ، ولا تاركٍ لشيء هو على من أجل شيء هو لى ، ولا معرض عن شيء هو لى بسبب شيء هو على ؛ بل أجهز دقه وجهه إليك حتى تراه بسيدته^(٣) وغُبارة ، وأجلوه عليك حتى تلحظه بردائه وإزاره . كأننى لم أسمع قول الأول :

« والكفر^(٤) نخبثةٌ لنفس المنعم » « والشكر مَبِئْثَةٌ لنفس المفضلِ »

أنا أدعك واجداً على ، وأرقد وأنت ماقيت لى ، وأجد حسَّ نعمة أنت وهبتها لى ، وألذ عيشاً أنت أذقتنى حلاوته . أنسى أيديك وهى طوق رقبتي ، وتُجاة عيني ، وحشو نفسى ، وراحة حلمى ، وزاد حياتى ، ومادة روحى ؟ هيهات ، هذا بعيد من القياس ، وغير معهود بين أحرار الناس ؛ الذين لهم أهتام بصون أعراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم ؛ قد عبَقوا^(٥) بفوائح الفتوة ، وعلَقوا بحبائل المروءة ، وشدوا^(٦) من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزوا من الأدب

(١) الربغ : المرید .

(٢) غطى على الصىء بتخفيف الطاء : كغطى عليه بتشديدها .

(٣) السد : الصحيح من الكلام وكفى بالبنار عما يشور حول الكلام من اعتراض ونحوه ، وثمنه قولهم : « كلام لا غبار عليه » .

(٤) هذا المظهر مجز بيت لعنترة العبسى ومصدره :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتى

(٥) « عتقوا بفراخ » .

(٦) شدوا : أخذوا . يقال : شدا من العلم شيئاً إذا أخذه كأنه ساقه أو جمعه ، وف

الأصل « شدوا » بالمعجمة .

إلى أعز حرم^(١)؛ وحازوا شرفاً بعد شرف، وانحازوا عن نطفٍ بعد نطفٍ^(٢) ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة، وعزفوا^(٣) أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة.

فأول ما أبدوك به أنني ظننتُ ظناً لا كيقين أن شيئاً مما كنتُ فيه مع الوزير — أدام الله أيامه، وقصم أعداءه — ليس مما يهتك، ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له؛ وحسبتُ أيضاً أنني إن بدأتُ بشئٍ منه ردلتني عليه وتنقصني به، وزريتَ عليّ فيه؛ وأنتك ربّما قلت: لم بدأتُ بما لم أستلك عنه ولم أرخص لك فيه، هلاً كظمتَ على جرتك^(٤)، وطويتَ ما بين جنبيك وما عليّ مما يدور بين صاحب وخادمه والرؤساء، والناظرين في أمور الدهماء^(٥) والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة، ولهم أسرار وعيوبٌ لا يقف عليها أقرب الناس إليهم، وأعزُّ الناس عليهم، وأنت أيضاً لم تسألني عنه، فكان في تقديري أنك قد عرفتَ وصولي في وقت دون وقت، وأنتك قد حملتَ أمرى على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة، ولا في الإعراض عنها فائدة.

وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبّس^(٦) بظني، فإني أهدى ذلك كله بفئانته وسمانته، وحلاوته ومرارته، ورقته وخنارته في هذا المكان؛ ثم أنت أبصرٌ بعد ذلك في كتمانه وإفشائه، وحفظه وإضاعته وستره^(٧) وإشاعته؛ ووالله ما أرى هذا أمراً صعباً إذا وصل إلى مرادك

(١) «خدم» .

(٢) النطف بالتحريك : العيب والفساد .

(٣) «عزفوا» وعزف عن الشيء : أعرض عنه وزهد فيه .

(٤) «جريك» ، وجرة البعير معروفة ، شبه بها الحديث المختزن يفشيه صاحبه .

(٥) «الدهماء» والدهماء : جماعة الناس .

(٦) «ولكيس» .

(٧) «ولنهره وأشكر عنه» .

ولا كُلفَ شاقَّةً إذا أُكسبني مَرْضَاتِكَ ؛ وإن كان ذلك يمرُّ بأشياء كثيرةٍ ومختلفةٍ ، متعصيةً غريبةً ، منها ما يَشِيْطُ ^(١) به الدم المحقون ، ويُزَع من أجله الرُّوح العزيز ، ويُستصغر معه الصَّلب ، ولا يُقنع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؛ وإن كان فيها أيضا غيرُ ذلك مما يُضحك السنَّ ، ويُفكِّه النفس ، ويدعو إلى الرشاد ، ويدلُّ على النَّصح ، ويؤكدُ الحُرْمَةَ ، ويعقِد النِّدام ، وينشرُ الحكمة ، ويشرفُ الهمة ، ويلتَمِّحُ العقل ، ويزيد في الفهم والأدب ويفتح بابَ اليُمْن والبركة ، وينفقُ بضاعةَ أهل العلم في السوق الكاسدة ، ويوقظ العميون الناعسة ، ويُبَلِّ السَّنَّ ^(٢) المتغصِّف ، ويُنَدِّي الطَّيْن المترشِّف ؛ ويكون سبباً قويا على حُسن الحال وطلبِ العيش ، فإن هذه العاجلةُ محبوبة ، والرَّفاهيةُ مطلوبة ، والمكانةُ عند الوزراء بكلِّ حولٍ وقوَّةٍ مخطوِّبة ، والدنيا حلوةٌ خَصِرةٌ وعَذبةٌ نَصِرةٌ ، ومن شَفَّ ^(٣) أمله شقَّ عمله ؛ ومن اشتدَّ إلحاحُه ، توالى غدوُه وزواحه ، ومن أسره رجائُه ، طال عناؤُه ، وعظُم بلاؤُه ؛ ومن أتهب طمعه وحرصه ، ظهر عجزُه وتقصُّه .

وفي الجملة :

من لم يكن لله متهمًا لم يُمس محتاجًا إلى أحدٍ

(٦) ولا بدَّ من فتى يعينُ على الدهر ، ويُغني عن كرام الناس فضلا عن لثامهم ،
ويدلُّ قموذ الصبر ، ويُجِمُّ راحلةَ الأمل ، ويُجليُ مُسرَّ اليأس ؛ والعُرلةُ محمودةٌ

(١) يشيط : يذهب هدرا .

(٢) « السن بالسين المهملة » . والسن بالمعجمة : القرية الخلق . والمتغصِّف ، أى المتكسر المتغصن من البيوسة .

(٣) شف أمله : زاد ، ويجوز أن يفسر بمعنى أسقمه الأمل وأضناه لملوه وبعد مثاله .

إلا أنها محتاجة إلى الكفاية ، والقناعة مَزَّةٌ ^(١) فكيفهٌ ولكنها فقيرةٌ إلى البلغة وصيانة النفس حسنة إلا أنها كُلفَةٌ مُحرَجَةٌ إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها ^(٢) وفاشيةٌ ^(٣) تمُدُّها ، وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدينٍ متين ، ورغبةٍ في الآخرة شديدة ، وفِطامٍ عن دار الدنيا صعب ، ولسانٍ بالخلو والحامض يبلغ .

قال ابن السماك ^(٤) : لولا ثلاثٌ لم يقع حَيْفٌ ، ولم يُسَلَّ سيفٌ ، لقمةٌ أسوَّغ من لقمة ، ووجهٌ أصبَحُ من وجه ، وسِلْكٌ ^(٥) « أتمُّ من سِلْكٍ » ، وليس كلُّ أحد له هذه القوة ، ولا فيه هذه المِنَّة ^(٦) والإنسان بَشَرٌ ، وبنيئسه متهافئة وطينئته منتثرة ، وله عادةٌ طالبة ، وحاجةٌ هاتكة ، ونفسٌ جوح ، وعينٌ طموح ؛ وعقلٌ طفيف ^(٧) ، ورأى ضعيف ، يهفو لأوَّل رِيحٍ ، ويستخيل ^(٨) لأوَّل بارق ؛ هذا إذا تخلَّص من قُرْناء السوء ، وسلم من سوارق ^(٩) العقل ، وكان له سلطان على نفسه ، وقَهْرٌ ^(١٠) لشهواته ، وقَمْعٌ لهوائجه ^(١١) وقبولٌ من ناصحه ، وتهَيُّؤٌ

(١) «مرة» والمزَّة : الحفرة اللذيذة الطم .

(٢) تجدها ، أى تجدها .

(٣) الفاشية : ما انتشر من المال . وفي الأصل « غاشية » .

(٤) « ابن السماك » ، وهو تحريف وابن السماك هو أبو العباس محمد بن صباح الكوفي الزاهد الواعظ المشهور لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم وقدم من بغداد زمن هرون الرشيد وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة .

(٥) السلك : الحيط . وكفى به عن الثوب لأنه من الحيوط .

(٦) « المنة » . والمنة بضم الميم : القوة .

(٧) الطفيف الناقص والقليل .

(٨) في الأصل : « ويستخيل » بالحاء ، وهو تصحيف . ويستخيل لأول بارق ؛ أى يخال المطر عند أول بارق .

(٩) يريد بسوارق العقل : الشهوات التي تذهب به وتجعله في حكم غير الموجود كأنها تسرقه . والذي في الأصل : « سرادق » ؛ وهو تصحيف .

(١٠) « وفهم » .

(١١) لهوائجه ، أى لما يهيج به من النزعات والمطامع .

في سعيه ، وتبوؤاً في مَعَانٍ^(١) حَظَّهُ ، وأتتأتمُّ بسماعته ، وأستبصاراً في طلب ما عند ربه ، وأستنصافاً من هواه المُضِلِّ لعقله المرشِد ، هذا قليلٌ وصعبٌ ولو قلتُ : معدومٌ أو مُحالٌ في هذا الزمن العسير والدمر الفاسد ، لما خفتُ عائقاً يعوقني ، ولا حسوداً يردُّ قولي . قال ابن السَّمَّاك : الله المستعان على السُّنِّ تَصِفِ وقلوبٍ تَعْتَرِفُ ، وأعمالٍ تَخْتَلِفُ . وقال معاوية لأبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث — ورآه لا يَبْلِي له عملاً ، ولم يَقْبَل منه نائلاً — : يا ابن أخي ، هي الدنيا ، فإتأ أن تَرْضَعَ معنا ؛ وإتأ أن تَرْتَدِعَ عَنَّا . وربما قال بعض المتكلمين قد قال بعض السلف : ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا من ترك الآخرة للدنيا ولكنَّ خيركم من أخذ من هذه وهذه . (وهذا كلام مقبول الظاهر موقوفُ الباطن . وربما قال آخَرُ من المتقدمين : (أعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) . وهذا أيضاً كلامٌ منمَّق ، لا يَرُجَع إلى معنى محقَّق ؛ أين هو من قول المسيح — عليه السلام — حين قال : الدنيا والآخرة كالشرق والغرب متى بعدُ أحدكم من أحدهما قَرُب من الآخر ؛ ومتى قَرُب من أحدهما بعدُ من الآخر . وأين هو من قول الآخر : الدنيا والآخرة ضَرَّتَان ، متى أرضيتَ إحداها أسخطتَ الأخرى ، ومتى أسخطتَ إحداها أرضيتَ الأخرى .

وهذا لأنَّ الإنسان صغيرُ الحجم ، ضعيفُ الحول ، لا يستطيع أن يجمع بين شهواته وأخذِ حظوظِ بدنه وإدراكِ إرادته ، وبين السعى في طلب المنزلة عند ربه بأداء فرائضه ، والقيام بوظائفه ، والثباتِ على حدود أمره ونهيه ، فإنَّ صَفَقَ

وجهُه وقال : نعمل تارة لهذه الدار وتارة لتلك الدار ، فهذا المذبذب الذي لا هو من هذه ولا من هذه ؛ ومن تحنَّث^(١) وتكثَّث لم يكن رجلاً ولا امرأة ، ولا يكون أباً ولا أما ؛ وهذا كما نرى .

ونرجع فنقول : ونعوذ بالله من الفقر خاصة إذا لم يكن لصاحبه عياداً من التقوى ، ولا عياداً من الصبر ، ولا دعامة^(٢) من الأنفة ، ولا أصطباراً على المرارة .

وقد يُبلىنا بهذا الدهر الخالي من الديانين الذين يصلحون^(٣) أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم ، الخاوي من الكرام الذين كانوا يتسمعون في أحوالهم ، ويوسعون على غيرهم من سمعتهم ، وكانوا يهتتون بذخائر الشكر المعجل في الدنيا ، يحرصون^(٤) على ودائع الأجر المؤجل في الآخرة ؛ ويتلذذون بالثناء ، ويهتزون للثناء ؛ وتملكهم الأريحية عند مسألة المحتاج ، وتمتريهم الهزة معها والابتهاج ؛ وذلك لعشقهم الثناء الباقي ؛ والصنيع الواقي ؛ ويرون الغنيمة في الفرامة ، والرَّجَح في البذل ، والحظ في الإيثار ، والزيادة في النقص ؛ أعنى بالزيادة . الخلف المنتظر من الله ؛ وبالنقص : العطاء ؛ ورأيتُ الناس يعيبون ابن العميد حين قال : أنا أعجب من جهل الشاعر الذي قال :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

قال : ولو كان هذا صحيحاً كان لا ينبغي أن يُكْتَسَبَ المال ، لأنه ليس في ترك

(١) في الأصل : « تحنث » ؛ وهو تمهيف . ويريد بالتحنث والتلث : اللين والتشدد تشبهاً بالحنثين والليوث .

(٢) « دمانة » . والدعامة : العمد .

(٣) « لا يصلحون » : وقوله « لا » زيادة من الناسخ .

(٤) « يحرضون » .

كسبه أكثر من إخراجِه بالإتفاق . هذا لقولهم ^(١) بحكته وعقله وتحصيله
وصوابُ الجاهل لا يُستحسن كما يُستقبَح خطأ العاقل ؛ نعم ، وكانوا إذا وُلُوا
عَدَلُوا ، وإذا مَلَكَوا أَفْضَلُوا ^(٢) ، وإذا أعطوا أَجْزَلُوا ، وإذا سُئِلُوا أَجَابُوا
وإذا جادوا أَطابوا ، وإذا عَلُوا ^(٣) صبروا ، وإذا نالوا ^(٤) شكروا ؛ وإذا أَتَقَوْا
وَاسَوْا ، وإذا امْتَحِنُوا تَأَسَّوْا ؛ وكانوا يرجعون إلى نقائب ميمونة ، وإلى
ضرائب ^(٥) مأمونة ؛ وإلى ديانات قويّة ، وأماناتٍ ثخينة ^(٦) ؛ وكان لهم مع الله
أسرار طاهرة ، وعلانية مقبولة ؛ ومع عباد الله معاملةً جميلة ، ورحمةً واسعة
ومعدلةً فاشية ؛ وكانت تجارتهم في اللعلم والحكمة ، وعادتهم جارية على الضيافة
والتّكرمة ؛ وكانت شيمتهم الصّفح والمغفرة وربّهم ^(٧) من هذه الأحوال
النجاة والكرامة في الأولى والعاقبة ؛ وكانوا إذا تلاقوا تواصوا بالخير ، وتناهوا
عن الشرّ ؛ وتنافسوا في اتّخاذ الصنائع ، وأدخار البضائع (أعنى صنائع الشكر ،
وبضائع الأجر) فذهب هذا كلّهُ ، وتاه ^(٨) أهلُهُ ؛ وأصبح الدّين وقد أُخْلِقَ
لَبُوسُهُ ، وأُوحِشَ مَأْنُوسُهُ ، وأُقْتَلِعَ مَفْرُوسُهُ ؛ وضار المنكر معروفًا ، والمعروفُ
منكراً ، وعاد كلُّ شيءٍ إلى كدره وخاثره ، وفاسده وضائره ؛ وحصل الأمرُ

(١) هذا لقولهم ، أى عيب الناس لابن العميد في كلامه السابق ، لما يصفونه به من
الحكمة والعقل الخ .

(٢) أفضلوا : أنعموا .

(٣) في الأصل « اعتزلوا » . وعالوا : افتقروا ، من العيلة بفتح أوله .

(٤) « قالوا » .

(٥) الضرائب : الطبايع والسجايا ، الواحدة ضريبة .

(٦) ثخينية : قوية كما يقال في عكس ذلك : هو رقيق الدين ، أى ضعيفه .

(٧) « وزكّم » .

على أن يقال: فلانٌ خفيفُ الروح ، وفلانٌ حسنُ الوجه ، وفلانٌ ظريفُ الجملة ، حلواُ الشائل ، ظاهرُ الكيس ، قويُّ الدست^(١) في الشطرنج ، حسنُ اللعب في الررد ، جيدٌ في الاستخراج ، مدبرٌ^(٢) للأموال ، بذولٌ للجهد ، معروفٌ بالاستقصاء لا يُنضي عن دائق ، ولا يتغافل عن قيراط ؛ إلى غير ذلك مما يأنفُ العالمُ من تكثيره ، والكاتبُ من تسطيره .

وهذه كلها كنايات عن الظلم والتجديف^(٣) ، والحساسة والجمل وقلةُ الدين وحبُّ الفساد ، وليس فيها شيءٌ مما قدمنا وصفه عن القوم الذين أجهدوا أن يكونوا خلفاء الله على عباد الله بالرفقة والرفقة والرحمة والأصطناع والمدل والمعروف .

وأرجعُ عن هذه الشكوية الطويلة اللاذعة والبليغة العامة الشاملة ؛ إلى عينٍ مارست لي ذكره ، وكلفتني إعادته ؛ عائذاً بالله في صرف الأذى عني وسوق الخير إلي ؛ ولانذا بكرمك الذي رشتني^(٤) به إلى الساعة ، وكفيتني به مؤونة الخدمة لثيرك من هذه الجماعة ؛ والأعمالُ بخواتيمها ، والصدورُ بأعجازها ؛ وأنت أولى الناس بالصَّفح والتجاوز عني إذا عرفت براءتي في كل ما يتعلق بي من ذمامك ؛ ويجب علي من الحق في مودتك ، والأعتصام بحبلك والأنجع^(٥) من عُشبك ، والأرتقاء^(٦) من لبنتك .

(١) الدست : الحيلة ، وهو أيضا ما يكون فيه القلب في الفطرنج ؛ تقول : « الدست لي والدست علي » .

(٢) « شير » .

(٣) التجديف : الكفر بنعمة الله . وفي الأصل : والتخويف .

(٤) راشه يريشه : جعل له ريشا . شبه ما بذله له من المعروف بالريش للطائر .

(٥) الانتجاع : طلب المعروف .

(٦) في الأصل « الارتقاء » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والارتقاء : أخذ رغوّة اللبن واحتساؤها .

الليلة الأولى

(١) وصلتُ أيتها الشيخ — أطال الله حياتك — أوّل ليلة إلى مجلس الوزير —
 أعزّ الله نصره ، وشدّ بالعصمة والتوفيق أزره — فأمرني بالجلوس ، وبسطَ لي
 وجهه الذي ما أعتراه منذ خُلِقَ المَبُوس ؛ ولطّف كلامه الذي ما تبدّل منذ كان
 لافي الهزل ولا في الجدّ ، ولا في الغضب ولا في الرضا .

ثم قال بلسانه الذليق^(١) ، ولفظه الأنيق : قد سألتُ عنك مرّاتٍ شيخنا
 أبا الوفاء ، فذكر أنك سراع لأمر البيارستان من جهته ، وأنا أربأ بك عن
 ذلك ، ولعلّي أعرضك لشيء أنبة من هذا وأجدى ، ولذلك فقد ناقت نفسي
 إلى حضورك للمحادثة والتأنيس ، ولأتعرف^(٢) منك أشياء كثيرة مختلفة ترددُ
 في نفسي على مرّ الزمان ، لا أحصيها لك في هذا الوقت ، لكنّي أثرها في
 المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح ويعرض ، فأجبتني عن ذلك كلّه باسترسال
 وسكونٍ بال ؛ بملء فيك ، وجمّ خاطرِك ، وحاضرِ عليك ؛ ودع عنك تفنّن
 البغداديّين^(٣)^(٤) مع عنو لفظك ، وزائد رأيتك ، وربّج^(٥) ذهنك ؛
 ولا تجبنُ جبن الضعفاء ، ولا تتأطر^(٦) تأطر الأغبياء ؛ وأجزم إذا قلت ، وبالغ إذا
 وصفت ؛ وأصدّق إذا أسندت ، وأفضل إذا حكمت ، إلّا إذا عرض لك

(١) اللسان الذليق : الحاد البليغ .

(٢) « ولا تفرق » .

(٣) يريد بتفنّن البغداديّين : استطرادم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن .

(٤) هنا كلمة مطبوسة بالأصل لا يمكن قراءتها .

(٥) رجع ذهنك ، أي فضلته .

(٦) التأطر : التحبّس والتثني ، شبه به وقوف النبي وتردده في جواب ما يسأل عنه .

ما يوجب توقفاً أو تهادياً^(١)؛ وما أحسنَ ما قال الأول :

لا تَقْدَحُ الظَّنَّةُ فِي حُكْمِهِ شِيمَتُهُ عَدْلٌ وَإِنصَافُ

يَمْضِي إِذَا لَمْ تَلْقَهُ شَبَهَةٌ وَفِي أَعْتِرَاضِ الشَّكِّ وَقَافُ

وقد قال الأول :

أَبَالِي البَلَاءِ وَإِنِّي أَسْرُوٌّ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ^(٢)

وكن على بصيرة أني سأستدل بما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه^(٣) .

(٢) قلتُ قبلُ : كلُّ شيءٍ أريد أن أجاب إليه يكون ناصيري على ما يراد مني فإني إن مُنِعْتُهُ نَكَلْتُ ، وإن نَكَلْتُ قَلَّ إفصاحي عما أطلب به وخِفْتُ الكَسَادَ ، وقد طَمَعْتُ بِالنَّفَاقِ^(٤) وأتَقَلَّبْتُ بِالخِيبةِ ، وقد عَقَدْتُ خِنْصِرِي عَلَى الْمَسْأَلَةِ . فقال — حَرَسَ اللهُ رُوحَهُ — : قل — عَافَاكَ اللهُ — ما بَدَا لَكَ ، فأنت مجاب إليه ما دمتَ ضامناً لبلوغ إرادتنا منك ، وإصابة غرضنا بك .

قلت : يُؤذَنُ لِي فِي كَافِ الخَاطِبَةِ ، وتاءُ المَواجِهَةِ ، حَتَّى أَمُخِّصَ مِنْ مِزَاجَةِ الكِنَايَةِ وَمِضَايِقَةِ التَّمْرِيزِ ، وَأُرَكِّبُ جَدِّدَ^(٥) القَوْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيَةٍ^(٦) وَلَا تَعَاشِ

(١) التهادى : للمضى الرفيق في تمايل .

(٢) في الأصل « ارتب » ؛ وهو تحريف .

(٣) قرافه ، أى ارتكابه . يقال : قارف الذنب واقترفه ، إذا خالطه .

(٤) النفاق ضد الكساد .

(٥) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض لا وعت فيه ولا جبل ولا أكمة ، شبه به

القول الذى لا عوج فيه ولا التواء .

(٦) « بقية » .

ولا مُحَاوَبَةً^(١) ولا أُنْحِيَاشَ^(٢) .

- (٣) قال : لك ذلك ، وأنت المأذون فيه ، وكذلك غيرك ، وما في كاف الخطابية وتاء المواجهية ؟ إن الله تعالى — على علو شأنه ، وبسطة ملكه ، وقدرته على جميع خلقه — يواجهه بالتاء والكاف ، ولو كان في الكناية بالهاء رفعةً وجلالةً وقدر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحقَّ بذلك ومقدمًا فيه ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله — عليهم السلام — وأصحابه — رضى الله عنهم — والتابعون لهم بإحسان — رحمة الله عليهم — وهكذا الخلفاء ، فقد كان يقال للخليفة : يا أمير المؤمنين أعزك الله ، ويا عمرُ أصلحك الله ؛ وما عاب هذا أحد ، وما أنف منه حسيب ولا نسيب ، ولا أباه كبير^(٣) ولا شريف ؛ وإني لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه ، ويحسبون^(٤) أن في ذلك ضعةً أو تقيصةً أو خطأً أو زرايةً ، وأظن أن ذلك لعجزهم وفُسُولَتِهِمْ^(٥) ، وانخزالهم^(٦) وقتلهم وضؤولتهم ، وما يجردونه من الغضاضة في أنفسهم ، وأن هذا التكلف والتجبر يحموان عنهم ذلك النقص ، وذلك النقص ينتفي بهذا الصلف ؛ هيئات ، لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ، ومن مقابح الزهو والكبرياء .
- (٤) فقلتُ : أيها الوزير ، قد خالطتُ العلماء ، وخدمتُ الكبراء وتصفحتُ أحوال الناس في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، فاسمعتُ هذا المعنى من أحد على

(١) لعله : مواوابة .

(٢) الانحياش : الاتهابس .

(٣) « كبير » .

(٤) « يخشون » .

(٥) السؤولة : الحسة والضيغ .

(٦) انخزالهم ، أى اقطاعهم وتخلفهم عن طلب العالی .

هذه السِّيَاقَةُ الحَسَنَةُ والحِجَّةُ الشَّافِيَةُ والبلاغُ المَبِينُ ؛ وقد قال بعضُ السلفِ الصالحِ :
« مَا تَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَصَاغَرَ لِمَنْ فَوْقَهُ » . والتصاغُرُ دَوَاءُ
النَّفْسِ ، وَسَجِيَّةُ أَهْلِ البَصِيرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ ^(١) لِلرَّشِيدِ
— وَقَدْ عَجِبَ مِنْ رَفْتِهِ وَحُسْنِ إِصَاخَتِهِ لِمَوْعِظَتِهِ وَبَلِيغِ قَبُولِهِ لِقَوْلِهِ وَسُرْعَةِ دَمْعَتِهِ
عَلَى وَجْهِهِ — : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَوَاضَعُكَ فِي شَرْفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرْفِكَ ، وَإِنِّي
أُظُنُّ أَنَّ دَمْعَتَكَ هَذِهِ قَدْ أَطْفَأَتْ أَوْدِيَةَ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَتْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا » .

قال ^(٢) : هَذَا بَابٌ مُفْتَرَقٌ فِيهِ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ [فَإِنَّهُ شَهِيٌّ ، سِيًّا إِذَا
كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ ^(٣) الْعَقْلِ] قَدْ خُدِمَ بِالصُّبُوبِ فِي نَعْمَةٍ نَاعِمَةٍ ، وَحُرُوفٌ مَتَقَاوِمَةٌ ؛
وَلَفْظٌ عَدْبٌ ، وَمَأْخَذٌ سَهْلٌ ؛ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ ، وَوَفَاءٌ بِالنَّثْرِ وَالسَّجْعِ ؛
وَتَبَاعُدٌ مِنَ التَّكَلُّفِ الْجَافِيِّ ، وَتَقَارُبٌ فِي التَّلَطُّفِ الْخَافِيِّ ، قَاتِلٌ اللَّهُ ذَا الرِّيمَةِ ^(٤)
حَيْثُ يَقُولُ :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَامٌ ^(٥) وَلَا نَزْرٌ
وَكَنتُ أَشَدَّ أَيَّامِ الصَّبَا هَذَا ^(٦) بِالذَّالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ تَلْقِينِ الْمُعَلِّمِ ؛ وَبِالعِرَاقِ
رُذُوعِيٌّ وَقَيْلِيٌّ : هُوَ بِالزَّايِ ؛ وَقَدْ أَجَادَ القَطَامِيُّ ^(٧) أَيْضًا وَتَغَزَّلَ فِي قَوْلِهِ :

(١) انظر التعريف بابن السماك رقم ٤ صفحة ١٤ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) عبارة الأصل « خاصة سيما إذا كان من طيران العقل » .

(٤) ذو الرمة ، هو غيلان بن عقبة بن نهيص أحد لحول الشعراء الأمويين ، توفي سنة
سبع عشرة ومائة عن أربعين سنة .

(٥) رخيم الحواشي : ناعمها . والمراء : المنطق الكثير ، والنزر : القليل .

(٦) هذا ، أي قوله في البيت السابق : « نزر » .

(٧) القطامي لقب غلب على عمير بن شبيب التغلبي من بني جهم بن بكر ، وهو شاعر إسلامي

مقل ، وكان نصرانيا .

فهنَّ^(١) ينبذن من قول يُصْنِن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى قلتُ : ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له : أتملّ الحديث ؟ قال : إنما يُملّ العتيق^(٢) ، والحديث معشوق الحِسِّ بمعونة العقل ، ولهذا يُولَم به الصبيان والنساء ، فقال : وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم ؟ قلتُ : ههنا عقلٌ بالقوّة وعقلٌ بالفعل ، ولم أحدهما وهو العقل بالقوّة ، وههنا عقلٌ متوسط بين القوّة والفعل مُزْمِع^(٣) ، فإذا برز فهو بالفعل ، ثم إذا أستمَرَّ^(٤) العقل بلغ الأُفُق ؛ ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع^(٥) فيه الباطل ، وخُطِبَ بالمُحال ووُصِلَ بما يُعجب ويُضحك ولا يُؤول إلى تحصيل وتحقيق ، مثل (هزار أفسان^(٦)) وكلُّ ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات ؛ والحِسُّ شديدُ اللّهج^(٧) بالحادث والمُحدَث والحديث ، لأنّه قريب العهد بالسكون ، وله نصيب من الطرافة . ولهذا قال بعض السلف^(٨) : « حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدثور » ، كأنّه أراد أصفلواها وأجلوا الصّدأ عنها ، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير ، فإنها إذا دثرت — أى صدّئت ، أى تغطت ؛ ومنه الدثار الذى فوق الشّعار — لم يُنتفع بها ؛

(١) « فهل » .

(٢) العتيق : القديم .

(٣) استعمار الإزماع هنا معنى التهيؤ والاستعداد لظهور .

(٤) استمر ، أى قوى واستحكّم ، من المرة بكسر الميم وتشديد الراء ، وهى القوّة .

(٥) ما وضع ، أى وضع ، ذمّا هنا زائدة ، وهو تمبيرشائع الاستعمال فى كلام المؤلف .

(٦) فى الأصل « حسان » ؛ وهو تحريف . وهزار أفسان كتاب فى الخرافات نقل

ابن النديم معنى هذا الاسم ألف خرافة . ويستفاد مما ذكره من السبب فى تأليفه أنه أصل

(لكتاب ألف ليلة وليلة) المعروف ، فقد ذكر أن بعض الملوك كان إذا تزوج امرأة وبات معها

ليلة قتلها من الند ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك من لهن عقل ودراية يقال لها « شهرزاد »

فلما حصلت معه ابتدأت تحدّثه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ،

ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث لى أن آتى عليها ألف ليلة الخ .

(٧) « الكهج » .

(٨) يروى هذا الحديث عن الحسن .

والتعجب كله منوطٌ بالحادث ؛ وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قدم : إما بالزمان ، وإما بالدهر ؛ ومثال ما يقدم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بعد الهدم بمبادئها ، وسيمتد العهد جدا إلى نهاياتها ؛ وأما ما قدم بالدهر ، فكالمقل والنفس والطبيعة ؛ فأما الفلك وأجرامه المزدهرة في المانة العجيبة ، ومناطقه الخفية ، فقد أخذت من الدهر صورةً إلهية ، وأحدثت فيها سلف منها صورةً زمانيّة .

(٦) فقال : بقی أن يتصل به ^(١) نعتُ العتيق والخلق ، فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين : فأحدهما يشار به إلى الكرم والصُّن والعظمة ، وهذا موجودٌ في قول العرب : « البيت العتيق » ؛ والآخرُ يشار به إلى قدم من الزمان مجهول . فأما قولهم : « عبد عتيق » ، فهو داخل في المعنى الأول ، لأنه أكرم بالعتق ، وأرتفع عن العبودية ، فهو كريم . وكذلك « وجه عتيق » لأنه أعتقته الطبيعة من الدامة والقيح . وكذلك « فرس عتيق » .

وأما قولهم : « هذا شيء خلق » ، فهو مضمّن معنيين : أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية ^(٢) ؛ والآخر أن نهاية زمانه قريبة . وكان ابنُ عبّاد قال لكتابه مرة — أعنى ابنِ حسولة ^(٣) — في شيء جرى ... : « نعم ، العالمُ عتيق ولكن ليس بقديم » أي لو كان قديما لكان لا أول له ، ولما كان عتيقا كان له أول ، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم ، وأستحسنوا هذا الإطلاق . وقد سألتُ العلماء البصراء عن هذا الإطلاق ، فقالوا : ما وجدنا

(١) به ، أي بالحديث الذي سبق الكلام فيه .

(٢) « سائلة » ؛ وفيه تحريف وقلب .

(٣) في الأصل « ابنِ حسول » ، وقد جاء اسمه في مجمع الأدباء : أبا القاسم بن حسولة ، ومرة يسميه : أبا القاسم الحسولي ، وذكر في بعض المواضع أنه كان يمرض الأوراق على الصاحب ابن عباد ، فالظاهر أنه هو الزواد .

هذا في كتاب الله — عز وجل — ولا كلامٍ نبيّه — صلى الله عليه وسلم — ولا في حديث الصحابة والتابعين . وسألت أبا^(١) سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف العرب أن معنى القديم ما لا أول له ؟ فقال : هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إلي وهمننا هذا منهم ، إلا أنهم يقولون : « هذا شيء قديم » « وبنيان قديم » ويسرّحون^(٢) وهمهم في زمانٍ مجهولٍ المبدأ .

(٧) فقال : قد سرّ في كلامك شيء يجب البحث عنه ، ما الفرق بين الحادث والمُحدث والحديث ؟ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلاحظ نفسه [والمُحدث ما يلاحظ^(٣)] مع تعلقٍ بالذي كان عنه محدثاً . والحديث كالمتموِّط بينهما مع تعلقٍ بالزمان ومن كان منه .

وههنا شيء آخر ، وهو الحدّثان والحديثان ؛ فأما الأول فكانه لما هو^(٤) مضارعٌ للحادث ، وأما الحدّثان فكانه اسم للزمان فقط ، لأنه يقال : « كان كذا وكذا في حدّثان ما ولى الأمير » ، أي في أوّل زمانه ، وعلى هذا يدور أمر^(٥) الحدث والأحداث والحادثات والحوادث . « وفلان حدّثٌ مُلوِّكٌ » كله من ديوان واحد وواد^(٦) واحد وسبّك واحد . قال : « ما الفرق بين حدّث وحدّث » ؟ قلتُ : لا فرق بينهما إلا من جهة أن حدّث تابع لقدم ، لأنه يقال : أخذته ما قدّم^(٧) وما حدّث ؛ فإذا قيل للإنسان : حدّث يا هذا . فكانه قيل له :

(١) في الأصل « أنا » ؛ وهو تحريف . وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي النحوي المعروف ؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وتوفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) « ويسرّحون » ؛ بالعين .

(٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) لما هو ، أي موضوع لما هو .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : « الحدث » ؛ كما أن داءها كتبت في الأصل

« فوناً » . واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا .

(٦) في الأصل « وهو » ولا معنى له .

(٧) « أخذته ما قدّم وما حدّث » ، أي أخذته المسموم والأفكار القديمة والحديثة .

صِلْ شيئًا بالزمان يكون به في الحال ، لا تقدّم له من قبل .
 ثم رجعتُ فقلت . ونفوائد الحديث ما صنف (أبو زيد)^(١) رسالة لطيفة الحجم
 في المنظر ، شريفة الفوائد في المنبر ، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة
 والتجربة في الأخبار . والأحاديث ، وقد أحصاها وأستقصاها وأفاد بها ، وهي
 حاضرة . قال أحملها وأكتبها ، ولا تمل إلى البخل بها على عادة أصحابنا
 الغثا . قلتُ : السمع والطاعة .

ثم رويتُ أن عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه : قد قضيتُ الوطر
 من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر ، على التلال^(٢) القمر^(٣) .
 وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز قال : والله إنى لأشتري
 [المحادثة]^(٤) من عبدي الله^(٥) بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار
 من بيت مال المسلمين . فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحريك وشدة
 تحفظك وتزهرهك ؟ فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إنى لأعود برأيه ونصحه
 وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف دنانير ، إن في المحادثة تلقيحاً
 للمقول ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم ، وتنقيحاً للأدب .

(١) الراجع أنه يريد أبو زيد أحمد بن سهل البلخي كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء
 وكان يقال له « جاحظ خراسان » ألف كتباً كثيرة منها كتاب فضيلة علم الأخبار وكتاب
 النواذر في فنون شتى ولعل أحد هذين الكتابين هو الذي يشير إليه أبو حيان ، وكان
 أبو حيان يعجب به وقد قال فيه : « انه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول ولا يظن أنه يوجد
 له نظير في مستألف الدهر » ، مات سنة ٣٢٢ عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

(٢) في الأصل « الكلال » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . وفي رواية « طي
 الكتابان » ؛ وهو بضم الكاف بمعنى التلال كما أثبتنا .

(٣) في الأصل « القمر » بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل .

(٥) هو أحد الفقهاء السبعة كان إماماً عالماً وكان أعمى قال البخاري إنه مات سنة ٩٤
 وهذا لا يتفق وخلافة عمر بن عبد العزيز وقال ابن المديني سنة ٩٩ وهذا متفق مع هذه القصة .

قال : صدق هذا الإمام في هذا الوصف ، إن فيه ^(١) هذا كله .
 قلتُ : وسمعتُ أبا سعيد ^(٢) السيرافي يقول : سمعتُ ابنَ السراج ^(٣) يقول :
 دخلنا على ابن الرومي ^(٤) في مرضه الذي قضى فيه ، فأنشدنا قوله ^(٥) :
 ولقد سئمتُ مآربي فكانَ أطيِّبها خبيثُ
 إلا ^(٦) الحديثُ فإنه مثلُ اسمه أبدا حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد ركبنا الفاره ^(٧) ، وتبطنا الحسناء ، ولبسنا اللين ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ^(٨) ، وما أنا اليوم [إلى شيء] ^(٩) أحوجُ متى إلى جليس يضع عنى مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يمجّه السمع ، ويطرّب إليه القلب . وهذا أيضا حقٌ وصواب ، لأن النفس تملُّ ، كما أن البدن يكلُّ ؛ وكما أن البدن إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا ملّت طلبت الروح ^(١٠) وكما لا بد للبدن أن يستمد ^(١١) ويستفيد بالجمام ^(١٢) الذاهب بالحركة الجالبة

(١) فيه ، أى في الحديث .

(٢) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ صفحة ٢٥ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ، أخذ الأدب عن أبي العباس المرزوق ، وأخذ عنه جماعة : منهم أبو سعيد السيرافي ؛ وله التصانيف المشهورة في النحو وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

(٤) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي الشاعر المعروف . ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد ، وتوفى سنة ثلاث ومائتين ومائتين . وقيل غير ذلك .

(٥) ورد من هذا اللفظ في الأصل القاف والواو وحدهما .

(٦) « بلا » .

(٧) في الأصل « الفاره » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والفرار من الدواب : النشيط

الحاد القوى .

(٨) أجمناه ، أى كرهناه ومللناه من المداومة عليه .

(٩) لم ترد هذه التكة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن (عيون الأخبار) .

(١٠) الروح بفتح الراء : الراحة .

(١١) « يستند » .

(١٢) الجمام بفتح الجيم : الراحة .

للنَّصَبِ والضَّجْرِ ، كذلك لا بَدَّ للنفس من أن تطلب الرُّوحَ عند تكاثف العَلَلِ الداعي إلى المَرَجِ^(١) فإن البدن كثيفُ النفس ، ولهذا يُرَى بالعين ، كما أن النفس لطيفة البدن ، ولهذا لا توجد إلا بالعقل ؛ والنفس صفاء البدن ، والبدن كدَرُ النفس . فقال : أحسنتَ في هذه الروايات على هذه التوشیحات وأعجبني^(٢) ترحمك على شيخك أبي سعيد ، فما كل أحد يسمع^(٣) بهذا في مثل هذا المقام ، وما كل أحد يابه لهذا الفعل ؛ هات مُلحة الوداع حتى تفترق عنها ، ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث .

(٨) قلت : حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية ، قال : رأيت جَحْظَةَ^(٤) قد دعا بناءً ليبنى له حائطاً ، فحضر^(٥) ، فلما أمسى أقتضى البناء الأجرة ، فما كسا^(٦) وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً ؛ فقال جحظة : إنما عملت يا هذا نصفَ يوم وتطلب عشرين درهماً ؟ قال : أنت لا تدري ، إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة ؛ فبينما هما كذلك وجب الحائطُ وسقط ؛ فقال جحظة : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردت أن يبقى ألف سنة ؟ قال : لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك . فضحك — أضحك الله سنه —

(١) « المَرَج » .

(٢) يلاحظ أنه لم يرد في هذه النسخة عند ذكر أبي سعيد السيرافي قوله — رحمه الله — فلعله قد سقط من الناسخ هناك :

(٣) « كسمع » .

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر المعروف ، كان من ظرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادير ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة . وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطة ، ودفن ببغداد .

(٥) في الأصل « وحضر بنا » وبنا لا معنى لها .

(٦) تماكسا ، أي تشاماً في الأجرة ؛ يقال : ما كسه في البيع ونحوه ؛ إذا شاحه فيه واستعطه الثمن واستنقصه إياه .

الليلة الثانية

ثم حضرتُ ليلةً أخرى ، فقال : أوّل ما أسألك عنه حديثُ أبي سليمان^(١) (١)
المنطقيّ كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنّا ورجاؤه^(٢) بنا ، فقد بلغني
أنك جاره ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظُ غاية خبره .
فقلتُ : والله أيها الوزير ، ما أعرف اليوم ببغداد — وهي الرقعة
المتسيحة الجامعة ، والمرصّة^(٣) العريضة الغاصّة — إنساناً أشكرَكَ ، وأحسنَ
ثناءً عليك ، وأذهبَ في طريق العبوديّة معك ، منه ؛ ولقد سَكَرَ^(٤) الآذان وملاً
البقاع بالدعاء الصالح ، رَفَعَهُ اللهُ إليه ، والثناء الطيّب أشاعه اللهُ ؛ وقد عمل رسالةً
في وصفك ذكر فيها ما آتاك اللهُ وفضلك به من شرفٍ أعراقِكَ ، وكرمٍ أخلاقِكَ
وعلوِّ همّتِكَ ، وصدقِ حدّسِكَ وصوابِ رأيِكَ ، وبركةِ نظرك ، وظهورِ غنائك ،
وخصبِ فنائك ، ومحبةِ أوليائك ، وكَدِّ أعدائك ، وصباحةِ وجهك ، وفصاحةِ
لسانك^(٥) ، ونبلِ حَسَبِكَ^(٦) ، وطهارةِ غَيْبِكَ^(٧) ، ويُمنِ نقيبتك ، ومحمودِ

(١) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بغداد في عصر
أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة كان مجلسه حافلاً بالعلماء والحكماء واسع الاطلاع
في الفلسفة اليونانية وكان به عور وبرص يمنعانه من غشيان مجالس الأمراء والوزراء وهو
أكبر شيوخ أبي حيان في الفلسفة مات على أغلب الظن في السنوات العشر الأخيرة من القرن
الرابع الهجري .

(٢) ورجاؤه بنا ، أي رجاءه المقود بنا . وفي الأصل : « وأرجاؤه » والألف زيادة
من النسخ .

(٣) الرصة : الساحة الواسعة .

(٤) سكر الآذان : ملاماً . وفي الأصل : « شكر » بالشين ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « رخم لسانك » وقوله : « رخم » من زيادات النسخ إذ لا معنى

لها ولا تستقيم مع السياق .

(٦) « وتفلحك » .

(٧) « عيبك » .

شيمتك ، ودقيق ما أودع الله فيك ، وجيل ما نشر الله عنك ، وغريب ما يُرسي منك ، وبديع ما يُنتظر لك من المراتب العلية ، والخيرات الواسعة والدولة الراحمة ، وهي تصل إلى مجلسكم في غد أو بعده — إن شاء الله — وكان هذا منه [قياماً] ^(١) بالواجب ، فإنك نَمَشْتَ روحه وكان حَفَّت ، وبصرتَه وكان عَشِي ؛ وأُنبتَ جناحه وكان قد حُصَّ ^(٢) ، بالرسم الذي وصل إليه لأنه كان قَنِطٍ منه وهو قَنُوطٌ ، وسمعتُه يقول مرارا : من يذكرني وقد مضى المَلِكُ ^(٣) — رضوان الله عليه — ومن يَخْلُفه في مصلحتي ، ويجري على عادته معي ؟ ومن يَسأل عَنِّي ، ويهتَمُّ بحالي ؟ هيهات ، فَعَدِ والله بالأمس من ^(٤) يطول تَلَقُّنَا إليه ويدوم تَلَهُّفُنَا عليه * إنَّ الزمانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ * كان والله شمسَ المعالي وغرة الزمن وحامل الأثقال ، وملتقى ^(٥) القَعَالِ ، ومحقق الأقوال والأفعال ، ومجري لُجْمٍ ^(٦) الأحوال على غاية الكمال ؛ كان والله فوق المتسنى ، وأعلى من أن يلحق به نظير ، أو يوجد له مماثل ؛ لذته لَمَحَّ ^(٧) في تهذيب الأمور ، وهواه وقف على صلاح مَنْ في إصلاحه صلاح ونفي من في نفيه تطهير ؛ ولولا أن عمر الفتى الأَرْيَحِيُّ قصير ، لكننا لا نُبتَلَى بفقدِهِ ، ولا نتحرق على قَوْتِ ما كان لنا بحياته ؛ الدنيا ظُلوم ، والإنسان فيها مظلوم .

- (١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .
(٢) يقال : « حس الريش والشعر » ، إذا انتثر . وكنى بحس الجناح عن الفقر ، وبناته عن الفنى .
(٣) الظاهر أنه يريد بالملك « عضد الدولة » البويهى .
(٤) عبارة الأصل « مر بطول تلقيننا » وهي محرفة في جميع ألفاظها .
(٥) في الأصل « ومكنى الأفعال » ؛ وهو تحريف . والقفال : المسافرون ، سموا بذلك تَفَاؤُلاً بقبولهم إلى أوطانهم ، أى رجوعهم إليها .
(٦) استعمل اللجم في معنى الخيل مجازاً . وفي الأصل : « لُجْماء » ؛ وهو تحريف .
(٧) اللج ، النظر الحثيف . والمراد بهذا اللفظ وصفه بالفطنة والألمعية حتى إنه لينظر إلى الأمور نظراً خفياً فيكفيه ذلك عن التأمل والإيمان .

فلما وصل إليه ذلك الرّسم — وهو مائة دينار — وحاجته مائة إلى رغيّف ، وحوّله وقوّته قد عبّزا^(١) عن أجره مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه عاش .

ومما زاد في حديث الرّسم أنّه وصل إليه مع العذر الجميل ، وَالوعدِ العريض الطويل ؛ ولورأيته وهو يترفل ويتحنك^(٢) لمجبت . فقال : سررتني لسروره بما كان مني ، وَإِنْ عشتُ كفتُ الزمان عن ضيّمه ، وَقَلتُ^(٣) عنه حدّ نابه ، ولولا الضّمان^(٤) مانعة^(٥) عن نفسه ، وَمُتَمّنِعٌ معها بنفسه ؛ لَفَشَ هذا المجلس فيكم^(٦) فاستأنس وأنس ، وَلَكِنَّه على حال لا محتمل له عليها ، ولا صبر عليه معها ؛ أتحمّظ ما قال البديهيّ فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدني ، فرويتُ :

أبو سليمان عالمٌ فطن ما هو في علمه بمنقَصِ
لكن تطيّرتُ عند رؤيته من عورٍ موحشٍ ومن برصِ
وبأبنه مثلُ ما بواله وهذه قصّة من القصصِ

قال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبألغ ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق الفتوة .. حدّثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعمرّني محلّه فيهما من محلّ أصحابنا

(١) ورد في الأصل بدقوله « عبّزا » تاء وكاف وميم ؛ ولم تبيين الصواب في هذه الحروف الثلاثة ؛ ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) يترفل ، أى يجر ذيله ويتبختر . ويتحنك ، أى يدير الهامة من تحت حنكه . كفى بالترفل والتحنك عن السرور والابتهاج بما وصل إليه من صلة الوزير .

(٣) « قلت » .

(٤) الضّمان : العاهة في الجسد . وفي الأصل : « الجمّانة » ؛ وهو تحريف .

(٥) مانعة عن نفسه ، أى أن هذه العاهة مانعة لنا عن مجالسته . ومتمنع معها بنفسه أى أنه هو ممنوع بنفسه مع هذه العاهة عن مجالستنا .

(٦) « بكم » .

أبن زرعة^(١) وأبن الخمار^(٢) وأبن السمح^(٣) والقومى^(٤) ومسكويه^(٥) ونظيف^(٦) ويحيى بن عدى^(٧) وعيسى بن على^(٨). فقلت: وصف هؤلاء أمر متعذر، وباب من الكلفة شاق؛ وليس مثلى من جسر عليه، وبلغ الصواب منه؛ وإنما يصفهم من نال درجة كل واحد منهم، وأشرف بعد ذلك عليهم؛ فعرف حاصلهم وغائبهم، وموجودهم ومفقودهم. فقال: هذا تحايل لا أرضاه لك، ولا أسلمه فى يدك، ولا أحتمله منك؛ ولم أطلب إليك أن تعرفهم^(٩) بما هو معلوم الله منهم، وموهبه^(١٠) لهم، ومسوقه إليهم، ومخلوعه عليهم، على الحد الذى لا مزيد فيه ولا نقص؛ إنما أردت أن تذكر من كل

(١) ابن زرعة، هو أبو على عيسى بن إسحق بن زرعة عالم نصرانى من علماء بغداد برز فى المنطق والفلسفة، ونقل عدة مصنفات إلى العربية، وتوفى كما روى القفطى سنة ٣٩٨ .
(٢) ابن الخمار، هو أبو الخير الحسن بن سوار، كان كذلك نصرانيا طيبا فيلسوفا نقل كتب كثيرة من السريانية إلى العربية .

(٣) ابن السمح، هو أبو على بن السمح من مناقمة بغداد؛ مات سنة ٤١٨ .
(٤) القومى، هو أبو بكر القومى المتفلسف . قال أبو حيان: إنه كتب لنصر الدولة عامين .

(٥) مسكويه، هو أبو على أحمد بن محمد مسكويه الخازن، كان عارفا بالفلسفة، ألف كتاب تهذيب الأخلاق وتجارب الأمم، وكان قيا على خزانة كتب ابن العميد ثم قيا على خزانة كتب عضد الدولة ثم اختص بيها الدولة البويهى وعظم عنده شأنه ومات سنة ٤٢١ .

(٦) نظيف، هو الفس نظيف النفس الرومى، كان عالما جيد النقل من اليونانى إلى العربى وكان من أفاضل الأطباء، وعينه عضد الدولة فى الپيارستان الذى أنشأه ببغداد .

(٧) يحيى بن عدى أبو زكريا، كان نصرانيا منطقيا، أخذ الفلسفة عن أبى نصر الفارابى وبصر بن متى؛ وله مؤلفات كثيرة، مات سنة ٣٦٤ .

(٨) عيسى بن على، هو أبو القاسم عيسى بن الوزير الكبير على بن عيسى الجراح، كان عيسى عالما فاضلا، قرأ المنطق على يحيى بن عدى، كما درس الفقه والأدب على علماء عصره، وعمل فى ديوان الرسائل؛ ومات ببغداد سنة ٣٩١ . وقد نقل عنه أبو حيان كثيرا من أقواله فى الحكمة فى المقابسات .

(٩) « نضفهم » .

(١٠) موهبه لهم؛ أى ما أعده الله لهم؛ يقال: أوهبت له الشيء، إذا أعدته له .

وَأَحَدٌ مَا لَاحَ مِنْهُ لِعَيْنِكَ ، وَتَجَلَّى لِبَصِيرَتِكَ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ صُورَةٌ فِي نَفْسِكَ ؛ فَأَكْثَرَ وَصَفَ الرَّاصِفِينَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا يَجْرِي ، وَإِلَى هَذَا الْقَدْرِ يَنْتَهِي .
 قُلْتُ : إِذَا قَنَعَ مِنْي بِهَذَا ، فَإِنِّي أَخْدُمُ بِمَا ^(١) عِنْدِي ، وَأَبْلُغُ فِيهِ أَقْصَى جَهْدِي .
 أَمَا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَإِنَّهُ أَدَقَّهُمْ نَظْرًا ، وَأَقْرَبُهُمْ غَوْصًا ، وَأَصْفَاهُمْ فِكْرًا ، وَأَظْفَرَهُمْ بِالذَّرْرِ ، وَأَوْقَفَهُمْ عَلَى الْغُرْرِ ؛ مَعَ تَقَطُّعِ فِي الْعِبَارَةِ ، وَلُكْنَةِ نَاشِئَةٍ مِنْ ^(٢) الْمُجْمَعَةِ وَقَلَّةِ نَظَرٍ فِي الْكُتُبِ ، وَفِرْطِ اسْتِبْدَادِ بِالْخَاطِرِ ، وَحُسْنِ اسْتِنْبَاطِ لِلْعَوِيصِ ، وَجِرَاءَةِ عَلَى تَفْسِيرِ الرَّمْزِ ، وَبِحُلِّ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْكُنْزِ .

وَأَمَّا ابْنُ زُرْعَةَ فَهُوَ حَسَنُ التَّرْجِمَةِ ، صَحِيحُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ الرَّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ ، مَحْمُودُ النُّقْلِ إِلَى الْمَرْيَةِ ، جَيِّدُ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا جَلَّ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ؛ لَيْسَ لَهُ فِي دَقِيقِهَا مَنْفَذٌ ^(٣) ، وَلَا لَهُ مِنْ لَفْزِهَا مَأْخُذٌ ، وَلَا لَا تُوَزَّعُ ^(٤) فِكْرُهُ فِي التِّجَارَةِ ، وَمَحَبَّتُهُ ^(٥) فِي الرِّبْحِ ، وَحِرْصُهُ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَشِدَّتُهُ عَلَى الْمَنْعِ ؛ لَكَانَتْ قَرِيحَتُهُ تَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَغَائِمَتُهُ ^(٦) تَدْرُّ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مَبْدَدٌ مَنْدَّدٌ ، وَحُبٌّ الدُّنْيَا يُعِمِّي وَيُصِمُّ .

وَأَمَّا أَبُو الْخَمَارِ فَقَصِيحٌ ، سَبَّطُ الْكَلَامِ ، مَدِيدُ النَّفْسِ ، طَوِيلُ الْعِنَانِ مَرَّضِيُّ النُّقْلِ ، كَثِيرُ التَّدْقِيقِ ، لَكِنَّهُ يَخْلُطُ الذَّرَّةَ بِالْبَعْرَةِ ^(٧) وَيُفْسِدُ السَّمِينَ بِالْعَثِّ ، وَيَرْقَعُ الْجَدِيدَ بِالرِّثِّ ؛ وَيَشِينُ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ بِالزُّهْرِ وَالصَّلْفِ ، وَيَزِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « جَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) « مَعَ » .

(٣) « مَنِيْدَا » .

(٤) « تُوَزَّعُ » .

(٥) « وَنَحْبَتُهُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ « وَغَائِمَتُهُ تَدْرُو » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ . وَالغَائِمَةُ السَّحَابَةُ .

(٧) « الْبَعْرَةُ » .

(٨) « وَيَشِينُ » .

في الرقم (١) والسوم ، فما يجديه (٢) من الفضل يرتجمه بالنقص ؛ وما يعطيه بالاعطف يسترده بالعنف ؛ وما يصفيه بالصواب ، يكدره بالإعجاب . ومع هذا يُصرِّع (٣) في كل شهر مرة أو مرتين .

وأما ابن السمع ، فلا ينزل بفنائهم ، ولا يسقي من إنائهم ؛ لأنه دونهم في الحفظ والنقل والنظر والتجدل ، وهو بالتبعية (٤) أشبه ، وإلى طريقة الدعوى أقرب ، والذي يحطه عن مراتبهم شيئان : أحدهما بلادة فهمه ، والآخر حرصه على كسبه ؛ فهو مستفرغ مُح (٥) البال مأسور العقل ، يأخذ الدائق (٦) والقيراط والحبة والطنسوج والفلس بالصرف والوزن والتطقيف ؛ والقلب متى لم يُنق من دنس الدنيا لم يعبق بفوائح الحكمة ، ولم يتفوح (٧) برذع الفلسفة ، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة المنفضية إلى سعادة الآخرة .

وأما القومسي أبو بكر ، فهو رجل حسن البلاغة ، حلو الكناية ، كثير النقر العجيبة ، جماعة للكتب الغريبة ؛ محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد (٨) في الدراسة ؛ إلا أنه غير نصيح في الحكمة ؛ لأن

(١) يزيد في الرقم ، أي يزيد في حديثه ويكذب . ويريد بالزيادة في السوم : المغالاة ، وأصل السوم في البياضة عرض السلعة للبيع .

(٢) في الأصل « يديه » وسياق المبالغة يقتضى ما أثبتنا بدليل مقابله بقوله بعد « يرتجمه » الخ .

(٣) « بصرح » بالخاء .

(٤) « بالمسبح » .

(٥) مع البال ، أي خالصة .

(٦) الدائق : سدس القدرم . والقيراط : نصف دائق . والحبة : وزن شعيرتين .

والطنسوج : ربع الدائق .

(٧) في الأصل « ولم يتفرخ بربع » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرجعه قوله

قل : « لم يسبق بفوائح » . وردع الطيب : أثره في الثوب والبدن .

(٨) « التردد » .

قريحته ترابية ، وفكرته سحائية ؛ فهو كالمقعد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ؛ مع حبٍ للدنيا شديد ، وحسدٍ لأهل الفضل عتيد .
وأما مسكويه ، فقير بين أغنياء ، وعبيٌّ^(١) بين أئبياء^(٢) ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأيام (صفوة الشرح لإيساغوجي) وقاطيفورياس ، من تصنيف صديقنا بالزبي . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن السامري ، وصححه معي ؛ وهو^(٣) الآن لائذ بابن الحمار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محسب^(٤) في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاتته من قبل .
فقال : يا عجبا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ورأى من كان عنده وهذا حفظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك^(٥) الممة في طلبه والحرص على إصابته مفتونا^(٦) بكاتب أبي زكرياء ، وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته^(٧) الضرورية والشهوية ؛ والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة^(٨) والفُرصُ بروق تأنلق^(٩) ، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق ، والنفوسُ على فواتها تذوب

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل مهملة الحرفين الأخيرين من النقط .

(٢) « أئبياء » .

(٣) في الأصل « وهو الآن لا يكيين الحمار » . وما أثبتناه عن مصمم الأدياء في ترجمة

ابن مسكويه .

(٤) « محب في هذا الوقت للحيرة » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٥) « المملوك » .

(٦) « مقترنا » .

(٧) « في الحاجات » . وفي هذه الكلمة حروف زائدة من الناسخ ؛ والسياق

يقضى ما أثبتنا .

(٨) « دائمة » .

(٩) « تأنلق » .

وتحترق ؛ ولقد قطن العاصري^(١) الرمي خمس سنين *جُمعة*^(٢) ودرس وأملى وصنّف ورَوَى فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنّه بينه وبينه سدّ ؛ ولقد تجرّع على هذا التوائى الصاب والعلقم ، ومضغ بنمه حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كلّه . وبعده فهو ذكيّ حسن الشمر نقيّ اللفظ ، وإن بقي ففساه يتوسط هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وإنفاق زمانه وكذبته^(٣) وقلبه في خدمة السلطان ، وأحتراقه في البخل بالانق والقيراط والكسرة والخرقة ؛ نموذ بالله من مدح الجود باللسان ، وإيثار الشحّ بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقة العمل بالميل ؛ وهذا هو الشقاء المصوب على هامة من *ميلي* به ، والبلاء المصوب^(٤) بناصية من غلب عليه .

وأما عيسى بن عليّ ، فله الذّرع الواسع والصّدْر الرّحيب في العبارة ، حجة في النقل والترجمة ، والتصريف في فنون اللغات ، وضروب المعاني والمبارات ؛ وقد تصفّح مالم يتصفّح كثير من هذه الجماعة ، وقلب بخزائن الكبراء والسادات ، وأعين^(٥) بالعمر الطويل والفراغ المديد ؛ ولكنّه مع هذا الفضل الكثير بمخيل

(١) العاصري ، هو أبو الحسن محمد بن يوسف العاصري ، فيلسوف معاصر لابن سينا وكانت بينهما مباحثات في الفلسفة ، ومن جملة كتب ابن سينا كتاب الأجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العاصري ، ويقول أبو حيان في المقابسات إنه كان من أعلام عصره وكان متبحراً في الفلسفة اليونانية منكباً على كتب أرسطو وله على بعضها شروح ؛ وقد اتصل بابن العميد وقرأ معاً عدة كتب ، وتوفي نحو سنة ٣٨٠ .

(٢) جمعة ، أي مجموعة .

(٣) « وكذبته » .

(٤) « المصوب » بالنون .

(٥) « وأعين » .

بكلمة واحدة ، وَنصيح^(١) على وَرقة فارغة ، لسودائه الغالبة عليه ، ومزاجه
المنشيط^(٢) بها .

وأما نظيف ، فإنه متوسط ، لا يسفل^(٣) عن أقلهم حفظًا ولا يعلو على
أكثرهم نصيبًا ؛ ويده في الطب أطول ، ولسانه في المجالس أجول ؛ ومعه رفق
وحنق في الجدال .

وأما يحيى بن عدي ، فإنه كان شيخنا لئيم العريكة فروقة^(٤) ، مشوه^(٥)
الترجمة ، ردى العبارة ، لكنه كان متأتيا^(٦) في تخريج المختلفة^(٧) وقد برع في
مجلسه أكثر هذه الجماعة ، ولم يكن يلوذ^(٨) بالإلهيات ، كان ينهر^(٩) فيها ويضلل
في بساطها ، ويستعجم عليه ما جل ، فضلا عما دق منها ؛ وكان مبارك المجلس .
فقال : ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، وتقريب البغية التي كانت
داخلة^(١٠) في نفسى منهم .

حدثني عن مذاهبهم في النفس وما يقولون فيها ؛ وإلى أين يتتهون من

(١) نصيح على ورقة فارغة ، أى أنه بلغ من شدة بخله بعله أنه لا يستطيع أحد أن
يخدعه حتى في ورقة فارغة يأخذها منه . وهم يصفون البخيل بالنصح على ماله ، لأنه لا ينخدع
عنه فيجود به . أو لعله شحيح .

(٢) المنشيط : اللتهب . وبها ، أى بسبب السوداء .

(٣) « لا يسفل » .

(٤) الفروقة : الشديد الفزع .

(٥) في الأصل : « موسى » وفيه قلب وتحريف .

(٦) متأتيا ، أى مترفقا متلطفا .

(٧) في تخريج المختلفة ، أى المسائل المختلفة .

(٨) « يكون » .

(٩) الانبهار : تتابع النفس واطراده من الثعب والإعياء .

(١٠) وردت هذه الكلمة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضي

إبانتها هنا .

يقينهم بشأنها، وكيف تثبتهم ببقائها بعد فناء أبدانها؟ فقلت: علمت أنى لأجد^(١) ما أريد من حديث النفس عند أصحابنا الباقين، أعنى أبا الوفاء على بن يحيى السامري والمعمري والقوهي والصوفي وغلّام زحل^(٢) والصاغاني، وكذلك غيرهم أعنى ابن عبدان وابن يعقوب وابن لالا وابن بكش^(٣) وابن قوسين^(٤) والحزاني، لأن هؤلاء ليسوا يحرثون هذه الأرض، ولا يرقون هذا البرّ ولا يجهزون هذا المتاع ولا يتعاملون به؛ هذا ينظر في المرض والصحة والداء والدواء، وهذا يعتبر الشمس والقمر، وليس فيهم من يذكر كلمة في النفس والعقل والإله، حتى كأنه محظور عليهم، أو قبيح عندهم.

وقلت: إن هؤلاء القوم — أعنى الطائفة الأولى — متفقون في الاعتراف بأنها جوهر باق خالد؛ فأما اليقين فما الحكم به لهم، لأنهم لو كانوا على ذلك — أعنى واجدين لليقين ذائقين لحلاوته — لما كدحوا للدنيا التي تزول عنهم ويزولون عنها مضطرين؛ فلو أنهم كانوا على تلج^(٥) من النفس، ويقظة من العقل، وأستبصار من القلب، وسكون من البرهان، لما تعجلوا هذه الآذات المنقوصة، والأوطار الفاضحة، والشهوات الخسيسة، مع التبعات الكثيرة والأوزار الثقيلة؛ ولا عجب فإنه إذا كانت الركاكة^(٦) العائقة تمنع الإنسان

(١) هنا في الأصل راء وجيم بعد قوله « لا » ولعلهما زيادة من الناسخ.

(٢) غلام زحل: لقب لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن كان منجها حاذقا، توفي سنة ٣٧٦.

(٣) في الأصل « بكس » بالسين. وقد ورد اسمه في أخبار الحكماء لتفطى بالسين.

(٤) ابن قوسين: طبيب مشهور في زمانه، كان يهوديا وأسلم، وعمل مقالة في الرد على اليهود.

(٥) تلج النفس: راحتها واطمئنانها وسكونها إلى الشيء.

(٦) الركاكة: الضعف. أو لعل صوابه: « الزمانة » إذ الركاكة كثيرا ما تستعمل

في ضعف العقل والرأى. والمراد هنا ما يخص البدن، كما يقتضيه سياق ما يأتي.

من التدو والسفر ، ومن سرعة الخطو ، لأن الحركة قد بطلت بالرّكّابة الناخلة عليه في أعضائه وآلاته ، فأىُّ عجب من أن تكون النفس التي أستعبدتها الشهوات الغالبة^(١) ، والعميدة الرديئة ، والأفصال القبيحة معروفة بمجموعة من الصعود إلى مَعانق الذّآك وتَحارق النجوم وعالم الرّوح ومَقصد الصدق ومقام الأمان ومحلّ الكرامة ومراد الخلد وبلد الأبد ومعانٍ^(٢) السرمذ .

(٤) قال : هذا كلام تام ؛ وسأسألك بعد هذا عن النفس وما تحفظ عنهم فيها لكنّ تمّ لى ما كنّا فيه ، كيف علمُ أبى سليمان بالنجوم وأحكامها ؟ قلتُ : لا يتجاوز التقويم . ثم قال : فما تقول فى الأحكام ؟ قلتُ : أنشدت منذ أيام :
علم النجوم على العقول وبال وطلاب حق لا يُنال محال

وقلتُ أيضاً : علم الأحكام لا يجوز فى الحكمة أن يكون مدركا مكشوفاً مخاطباً به معروفا ؛ ولا يجوز أن يكون مقنوطاً منه مطرّحاً مجهولاً ؛ بل الحكمة توجب أن يتوسط هذا الفنّ بين الإصابة والخطأ حتّى لا يُستغنى عن اللبّاذ^(٣) بالله أبداً ، ولا يقع اليأس من قبله أبداً ؛ وعلى هذا سخر الله الإنسان وقبضه^(٤) وخيّره بين الأمور وقبضه ؛ ومنع^(٥) من الثقة والطمأنينة إلا فى معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده ، والرجوع إليه ؛ انظر إلى حديث الطب فإنّ عنده الصناعة توسّطت الصواب والخطأ ، لتكون الحكمة سارية فيها ، واللطف معهوداً بها ؛ لأنّ الطب كما يبرأ به اللليل ، قد يهلك معه اللليل ؛ فليس بسبب أن بعض

(١) « الغالبة » .

(٢) المان : المنزل .

(٣) « الكيام » .

(٤) فى الأصل : « قبض له » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٥) ورد فى الأصل قبل هذه الكلمة « ماء ويا » ولم تتبين الصواب فيهما ؛ ولعلهما

من زيادات الناسخ لاستقامة الكلام بدونها .

المُدَبِّرِينَ بِالطَّبِّ هَلِكٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنظَرَ فِي الطَّبِّ ؛ وَلَيْسَ بِسَبَبِ أَنْ بَعْضَ الْمَرْضَى
 بِرَأٍ بِالطَّبِّ وَجِبَ أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهِ ؛ انظُرْ إِلَى هَذَا التَّوَسُّطِ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَيْكُونُ
 التَّدْبِيرُ الْإِلَهِيُّ وَالْأَمْرُ الرَّبُّوبِيُّ نَافِذَيْنِ فِي هَذِهِ الْخِلَاقِ بِوَسَايَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ؛
 وَلَتَكُونُ الْمَصْلُحَةُ بِاللُّغَةِ غَايَتَهَا ؛ وَهَذِهِ سِيَاسَةُ دَارِ الْفَنَاءِ ، الْجَامِعَةُ لِسُكَّانِهَا عَلَى
 الْبِأْسَاءِ وَالنَّمَاءِ ؛ وَهَكَذَا ، فَانظُرْ إِلَى حَدِيثِ الْبَحْرِ وَرُكُوبِ الْبَأْسِ الْمُتَيَقِّنِ فِيهِ ،
 وَجُوبِ الطُّولِ وَالْعَرَضِ وَإِصَابَةِ الرِّيحِ ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ ، كَيْفَ تَوَسَّطَ بَيْنَ السَّلَامَةِ
 وَالْمَطَلَبِ ، وَالنَّجَاةِ وَالْهَلَكَةِ ، فَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ السَّلَامَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ يَفْرَقُ
 وَيَهْلِكُ ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ وَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ الْمَلَكَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ
 يَسْلَمُ وَيَنْجُو ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ فَالْحِكْمَةُ إِذَا مَا تَوَسَّطَ هَذَا الْأَمْرُ
 حَتَّى يَشْكُرَ اللَّهُ مَنْ يَنْجُو ، وَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ مَنْ يَهْلِكُ . قُلْتُ : وَبَعْدَ هَذَا فِهَذَا
 الْعِلْمُ ^(١) عَوِيصٌ غَامِضٌ عَمِيقٌ ، وَقَدْ قُدِّ الْعِلْمَاءُ بِهِ ، الْمَلْهُمُونَ فِيهِ ؛ وَمَعْوَالُ أَهْلِ
 عَلَى الْحَدْسِ وَالظَّنِّ ، وَعَلَى بَعْضِ التَّجَارِبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَكْذِبُ مَرَّةً وَتَصْدُقُ
 مَرَّةً ؛ وَبِالْصَّدَقِ يَعْزُّ الْإِنْسَانَ ، وَبِالْكَذْبِ يَعْرِى مِنْ فَوَائِدِهِ ؛ فَالْنَقْصُ قَدْ
 دَخَلَ ، وَالخَلَلُ قَدْ شَمِلَهُ ؛ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَوْهَبَ لَهُ زَمَانٌ عَزِيزٌ ، فَوَرَاءَهُ مَا هُوَ
 أَهْمٌ مِنْهُ وَأَجْدَرُ ، وَأَرْشُدُ وَأَهْدَى .

(٥) قال : هذا حسن ، حدثني بالذي أفدت اليوم . قلت : قال أبو سليمان :
 العلم صورة العلوم في نفس العالم ، وأنفس العلماء عالمة بالفعل ، وأنفس المتعلمين عالمة ^(٢)
 بالقوة . والتعليم هو إبراز ما بالقوة إلى الفعل . والتعلم هو بروز ما هو بالقوة إلى
 الفعل . والنفس الفلكية عالمة بالفعل ، والنفس الجزئية عالمة بالقوة ؛ وكل

(١) يريد علم النجوم وأحكامها .

(٢) في الأصناف : « علامة » .

نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها ، وتصيراً لها^(١) .

- ١) قال : هذا في الحُسن نهاية ، وقد أكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء زمان ، وتفرغ قلب ، وإصغاء جديد . هات خاتمة المجلس . قلت له : قرأنا يوم الجمعة على أبي عبيد الله المرزباني لعبد الله بن مُصعب :

إذا أستمتعتُ منك بلحظ طرفي حتى نصفي وِمات عليك نصفي
تَلَذُّدُ مقلتي وَيَذُوبُ جسمي وعيشي منك مقرون بحتني
فلو أبصرتني وَالليل داج وخدي قد تَوَسَّطَ بطن كفي
ودمعي يستهل من المآقي إذا رأيت مابي فوق وصفي
وانصرفتُ .

الليلة الثالثة

- قال لي ليلة أخرى : حدثني أبو الوفاء عنك حديث خراساني ، فأريد أن أسمعه منك . قال : كنت قائماً عشية على زنبورية^(٢) الجسر في [الجانب] الشرقي والحاج يدخلون ، وجمالهم قد سدت عرض الجسر — أنتظر جوازها وخفة الطريق منها ، فرأيت شيخاً من أهل خراسان ذكّر لي أنه من أهل سنجان^(٣) واقفا خلف الجمال يسوقها ، ويحفظ الرحال التي عليها ، حتى نظر إلى الجانب الغربي

(١) يقال : نصبر أباه : إذا نزع إليه في شبهه .

(٢) في الأصل زبيرة والزبيران هما السفينتان اللتان في الجسر في الجانب الغربي من

بغداد يمر عليهما السالكون كما في عيون الأنبا ١/١٧٩ .

(٣) في الأصل : « سجاب » ؛ ولم نجد هذا الاسم فيما راجعناه من الكتب المؤلفة

في أسماء البلاد . وسنجان : قرية بمر .

فرأى الجذع عليه ابنُ بقتية — وكان وزيراً صلبه الملكُ لذنوب كانت له — فقال :
لا إله إلا الله ، ما أعجب أمور الدنيا وما أقلُّ المفكر في غيرها وغيرها ، عند
الدولة تحت الأرض وعلوه فوق الأرض ! .

قال : هكذا حدثني أبو الوفاء ، ولذلك أستأذنتُ في دفنه ، وكان كلام
الشيخ سبباً في ذلك .

(٢) قال : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسلَ سجستانَ لَمَّا^(١) ويظلُّ
عندهم طاعماً ناعماً ، ويأنسُ بأنك معه ، فمن يحضر^(٢) ذلك المكان ؟ قللت : جماعة ؛
وأخبر من كان في هذا الأسبوع الماضى ابنُ جبلة الكاتب ، وابنُ برمويه^(٣) ، وابنُ
الناظر^(٤) أبو منصور وأخوه ، وأبوسليمان وبندار^(٥) المغني^(٦) وغزال الراقص ، وعلم^(٧)
وراء الستارة . فقال : ما الذي حفظت من حديث^(٨) عنهم ، وما يجوز أن يلتقى
إلينا منهم ؟ قللت : سمعت أشياء ، ولست أحب أن أسمي نفسي بنقل الحديث
وإعادة الأحوال فأكون غامزاً وساعياً ومفسداً . قال : معاذ الله من هذا ، إنما
تدلُّ على رشد وخير ، وتُضِلُّ^(٩) عن غيِّ وسوء ، وهذا يلزم كلَّ من آثر الصلاح
الخاصَّ والمأمَّ لنفسه وللناس ، وأعتقد الشفقة ، وحثَّ على قبول النصيحة ؛ والنبيَّ

(١) المم : الجمع ؛ يريد أنه يزورهم مجتمعين .

(٢) « يخطر » .

(٣) في الأصل : « ابنُ زمويه » ، وقد ورد ذكر ابن برمويه في كتاب ذيل تجارب
الأمم ؛ وهو الحسن بن برمويه ، كان كاتباً لوالدة صمصام الدولة وكان ممن تأمروا على الإيقاع
بإبن سعدان وقتله ، ثم استوزر ابن برمويه لصمصام الدولة مشتركاً في الوزارة مع أبي القاسم
عبد العزيز بن يوسف .

(٤) في الأصل : « ابن الناظر » ، وهو من رجال صمصام الدولة .

(٥) في الأصل : « يكدان » ؛ وهو تحريف .

(٦) « المنكي » .

(٧) علم : اسم جارية .

(٨) في الأصل : « حديثنا » والنون والألف زيادة من الناسخ .

(٩) « تصل » .

صلى الله عليه وسلم قد سمع مثل هذا. وسأل عنه ، وكذلك الخلفاء بعده ، وكلُّ أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطولة . فقلتُ وجدتُ ابنَ برمويه^(١) يذكرُ أشياءً هي متعلّقةٌ بجانبك ، ويرى أنها لو لم تكن لكان مجلسك أشرف ، ودولتك أغزى ، وأيامك أذوم ، ووليكك أحد ، وعدوك أكتمد . قال^(٢) : ما هذا الاسترسالُ كُلُّه [إلى] ابنِ شاهويه^(٣) ؟ وما هذا الكلفُ بهرام^(٤) ؟ وما هذا التعصّبُ لأبنِ مكينخا^(٥) ؟ وما هذا السكونُ إلى ابنِ طاهر^(٦) ؟ وما هذا التعويلُ على ابنِ عبدان^(٧) ؟ وما من هؤلاء أحدٌ إلا يرش^(٨) عدوه ويبريه ويضلّ صاحبه ويُغويه^(٩) . أما ابنُ شاهويه فشيخُ إزرء^(١٠) وصاحبُ محرقة^(١١)

(١) « زمويه » .

(٢) قال ، أى ابن برمويه المحدث عنه .

(٣) ابن شاهويه هذا هو غير ابن شاهويه الفقيه الذى مر ذكره فى مقدمة الكتاب . أما هذا فكان عاملاً كبيراً من عمال صمصام الدولة ، قام بالدعوة له ببيان حتى أذعنت له سنة ٣٧٤ ، ثم غضب عليه صمصام الدولة وحبسـه مع ابن سعدان ، ثم نجما من القتل بأعجوبة ، ثم عفى عنه سنة ٣٧٥ .

(٤) هو أبو سعيد بهرام بن أردشير ، كان من رجال صمصام الدولة ، وكان صديقاً لابن سعدان . يقول ابن سعدان فى وصفه : « إني أرى حديثه آتق من المني إذا تحركت والدنيا إذا ملكت ، وإن تمازجنا بالقل والروح والرأى والتدبير ... ليزيد على حال توأمين تراكضاً فى رحم وتراضاً من ثدى ونوغيا فى مهد » . وقد قبض عليه مع ابن سعدان وقتل معه سنة ٣٧٥ .

(٥) فى الأصل « ابن مكينخا » والجيم زائدة ، وما أثبتناه عن ذيل تجارب الأمم وقد كان أبو على بن مكينخا صاحب ديوان الخزان كعضد الدولة كما عمل من بعده لصمصام الدولة . (٦) هو أبو عبد الله بن طاهر ، كان نائباً عن أبى نصر سابور كما كان من رجال صمصام الدولة قتل سنة ٣٨٠ .

(٧) « ابن عمان » .

(٨) يرش عدوه الخ كناية عن تقويته للعدو وإعانتة على النكاية ، وأصله من راش السهم يرشه إذا ألقى به الرش ليكون أسرع إلى الهدف .

(٩) فى الأصل : « يصل صاحبه ويقويه » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) الإزرء : الفس والتليس . يقال : أزرى به إذا أدخل عليه أمراً يريد أن يلبسه عليه .

(١١) المحرقة : الحق والكذب .

بين اللذائذ « همه أن يتحسّى دَنّ الشراب في نفس أو نفسين ، ثم يسقط كالجذع اليابس لا لسان ولا إنسان .

وأما ابن طاهر فرجل يدعى للناس أنه لولا مكانته وكفايته وحسبه ورأيه ومشورته لكانت هذه الوزارة سرايا ، وهذه المملكة خرابا ؛ هذا مع الشر^(١) الذي في طبعه وعادته ؛ فإن جرى خيرا أنتحلّه ، وزعم أنه من نتائج رأيه^(٢) ؛ وإن وقع شرّا عصبه برأس صاحبه ، وأدعى أنه استبدّ^(٣) به ؛ ومع هذا فهو يعيب^(٤) هذه المراءاة . وما أدرى كيف أستكفي^(٥) هذه الجماعة حوله ؟ وكيف يُظَاهِر^(٦) هوبها ويسكن إليها ؟ وما فيهم إلا من وَكَّده الرجس والإفساد والأخذ بالمصانعة وإغراء الأولياء بما يعود بالوإال على البرى والسقيم وعلى الزكى والظنين^(٧) ؛ هؤلاء سباع ضارية ، وكلاب عاوية ؛ وعقارب لساعة ، وأفاعٍ نهاشة ، وفي الله هذا الإنسان الحرّ^(٨) المبارك الكريم الرحيم ، فإنه شريف النفس طاهر الطوية^(٩) ، تين العريكة ، كثير البياضة ، وهذه أخلاق لا تصلح اليوم مع الناس ، قال الشاعر^(١٠) :

ومن لا يذُدُّ عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وقال :

ومن لا يذُدُّ عن حوضه الناس أو يكن له جانب يشتد إن لان جانب

(١) « السر » .

(٢) « يناج زلته » .

(٣) « أسيد » .

(٤) في الأصل : « عيب لهذه » .

(٥) « استكفيت » والتاء زيادة من التاسخ .

(٦) يظاهر : يماون .

(٧) الزكى : الطاهر النقي . والظنين : التهم .

(٨) « الحبير » .

(٩) « ظاهر الخوية » .

(١٠) الشاعر زهير بن أبي سلمى .

وكذب ظاهره، كثير الإيهام، شديد التويه، لا يرجع إلى ودي صادق، ولا إلى عمدة صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لغرض كان له فيه من جهة هؤلاء الخزيين القرامطة، وكان أيضاً مذموم^(١) الهيئة، فكان لا ينبس^(٢) إلا بما يقويه ويجرس حاله، واليوم هو رخي اللب^(٣)، جاذب لكل سبب؛ وليس هناك كفاية ولا صيانة^(٤) ولا ديانة ولا مروءة؛ وبعد، فهو مشثوم نكيد، ثقيل الروح، شديد البهت^(٥) قوله الإفساد وعادته تأجيل^(٦) اللهمنا والشامة بالمائر^(٧) والتشفي من المنكوب.

وأما بهرام فرجل مجوسى مجبب ذميم، لا يعرف الوفاء ولا يرجع إلى حفاظ، غرضه^(٨) أن يتبجح في الدنيا بجاهه، ولا يبالي أين صار بماقته؛ وهو يحض^(٩) مع ذلك عليه في كل ما هو مديره ومدبره.

وأما ابن مكيخنا، فرجل نصراني أرعن خسيس، ماجاه يوماً بخير قط لا في رأى ولا في عمل ولا في توسط؛ وأصحابنا يلقبونه بقفا وهو «منهمك»^(١٠)

(١) مذموماً بالهيئة.

(٢) ينبس: يتكلم.

(٣) رخي اللب، أى متسع الحال. وهو مجاز؛ وأصل اللب ما يهد من سيور السرج في الآلة من صدر الدابة لينع استئثار الرجل.

(٤) «صناعة».

(٥) البهت: الكذب والباطل.

(٦) في الأصل: «تجيل» وسياق السلام يقتضى ما أثبتنا. واللهنا مصدر مبيى

(٧) «بالفار»؛ وهو تصحيف.

(٨) «عرضه».

(٩) يحض مع ذلك الخ، أى ينرى الناس بالوزير ويفسد قلوبهم عليه.

(١٠) وردت هذه العبارة في الأصل معرفة الحروف، مهمل أكثرها من النقط؛ وما

أثبتناه أقرب إلى الرسم الوارد في الأصل، كما أن سياق الكلام الآتى يقتضيه.

يَطَأُ حَوْضَهُ الْمُسْتوردون وتَفَشَهُ شوائبُ لا تَبَقَى عليها النقايب (١)
وما ضاع قولهم : لا تكن حلوا فتؤكل ، ولا مرًا فتُعام . ليس الحذرُ بقى (٢)
فكيف التهور ، أهنا ليعنى تُسحبُ كل يوم ، وطوارقُ تُتوقع كل ليلة ! والتوكل
والاستسلام يليقان (٣) بأهل الدين في طلب الآخرة ؛ فأما أصحاب الدنيا وأربابُ
المراتب ، فيجب أن يدعوا الهوينا جانباً ، ويشمروا للنفع والضر ؛ والخير والشر
ويكون ضرُّهم أكثر ، وشرُّهم أغلب ؛ ورهبوت خير من رَحْموت .

ولهذا قال الأعرابي :

أنا الغلام الأعسرُ الخيرُ فيّ والشرُّ
والشرُّ فيّ أكثرُ

وهذا معنى بديع ، ولم يُرد أن البداءة بالشرِّ خير من الخير ، وإنما أراد أنى أتقى
بالشر ، وإذا أقبل الشرُّ قلت له : مرحباً ، وأدفع الشرُّ ولو بالشر ، والحديد
بالحديد يُفْلح (٤) . وقد قال الآخر (٥) :

وفي الشرِّ نجاةٌ حيةٌ لا ينجيك إحسانُ

وقال ابن دارة :

إذا كنت يوماً طالب القومِ فأطرحِ مقاتلهم وأذهب بهم كلَّ مذهبِ
وقاربُ بنى حلمٍ وباعدُ مجاهلِ جلوبِ عليك الشرُّ من كلِّ مجلبِ
فإنِ حدبوا (٦) فأقعسوا وإن هم تقاعسوا ليستمسكوا مما يريدون فأخذبِ

(١) شوائب ، أى عيوب تخالط أخلاقه . والنقايب : السجاي والأخلاق ، الواحدة نقيبة .

(٢) فى الأصل : « ليت الحذرُ وقى » وقوله بعد « فكيف » الخ يقتضى ما أثبتنا .

(٣) « يلتقيان » ؛ وهو تحريف .

(٤) يفلح : يشق .

(٥) فى الأصل : « نجاة لك » وقوله « لك » زيادة من الناسخ .

(٦) حدبوا : من الحدب بالتحريك ، وهو خروج الظهر ودخول الصدر والبطن .

والقعس بالتحريك : عكسه .

وإن حلبوا خَلْفَيْن^(١) فأحلب ثلاثة وإن ركبوا يوما لك الشر فاركب
وقال الحجاج بن يوسف أبو محمد — وهو من رجال العرب وقد قهر العجم
بالدهاء والذكاة — « لو أخذتُ من الناس مائة ألف ، كان أرضي عني من أن
أفرق فيهم مائة ألف ». كان الناس بالأمس مزومين^(٢) مخطومين ، يقوم كل واحد
بنفسه على نفسه ، ويَتَمَّ غَدَهُ لما جناه في أمسه ؛ لأن التَّكَّ السعيد ساسهم ،
وقوم زيغهم ، وقلم أظفارهم ؛ وشغلهم بالحاجة عن البطر والأشر ، وبالكمة أية
عن القلق والضجر ؛ وتقدّم^(٣) إليهم بترك الخوض فيما لا مرجوع له بخير ؛
وكانوا لا يشكرون الله على نعمته عليهم به ، وإحسانه إليهم بمكانه ، فسلبوه
فتنفسَ خناقهم ، وأتسع نطاقهم ، فامتطى كل واحد هواه ، ويوشك أن يقع
في مهواة .

قال : وهنا أشياء أخرى غير هذه ، ولكن من يسمع ويقبل ؟ ومع هذا
فالأمر صائراً إلى مصابرها ، كما أنها صادرة عن مصادرها .
فقال له ابن جبلة : ما عندي إلا أن الوزير — أبقاه الله — عارفٌ بهم
ومستبطنٌ لأمرهم ؛ مع المشرة القديمة ، والملايسة المتصلة ، والخبرة الواقعة ؛
ولكن [لا بدَّ]^(٤) لمن كان في محله ورفعته من جماعة يقرّ بهم ، ويرجع إليهم
ويسمع منهم ، وينظر بأعينهم ، ويصغي بأذانهم ، ويتناول بأيديهم . فقال له
مجاوبا : إن كان عارفاً^(٥) بهم ، ومستبطناً لأمرهم ، وخبيراً بشأنهم ؛ فلم سلطهم
وبسطهم ، وحدد أنيابهم ، وقوى أسنانهم ، وفتح أشداقهم ، وطول أعناقهم

(١) الخلف : الضرع .

(٢) في الأصل « مزومين مخطومين » ؛ وهو تحريف . وسباق الكلام الآتي بمد

يقتضى ما أمبئنا . ومزومين مخطومين ، من الزمام والحطام .

(٣) تقدم إليه بكذا أمره .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها .

(٥) « فارفا بهم مشكبتنا » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

وقطع أربابهم ؛ وأبطلهم فأسكرهم ، حتى صاروا يجهلون أقدارهم ، وينسون ما كانوا فيه من القلة والذلة ؟ هلاً^(١) رتب كل واحد منهم فيما تظهر به كفايته ولا يرفعه إلى ما يظن معه الظن الفاسد ، ولم يضحك في وجوههم ، وينضى^(٢) على جنابهم ؟ أما بلغه أن ابن يوسف قال^(٣) : تشبته بأبن شاهويه لأنه قد أعدّه للهرب إلى القرامطة إن دمه أمر ؟ وأنسه بهرام إنما هو لاستمداد^(٤) الفساد منه وتقديمه لابن طاهر للسرقة على يده ، وفرحه بأبن مكينجا^(٥) للسخرية به وتقريبه لابن الحجاج للسخف ، ولهجه بأبن هرون للهزء واللعب .

قال له ابن جبلة : من أراد أن يحسن القبيح عند رضاه ، ويقبح الحسن عند سُخْطه فعل ، ولا يخلو أحد تهب ريجه^(٦) ، ويعلوشأنه ، وينفذ أمره ونهيه من حاسد وقاريف^(٧) ، ومُدخل ومُرْجِف ، على هذه الأمور بُنيت الدار ، وعليها جرت الأقدار ، إن كنت تنكر هذا الرهط ، فاعرف له^(٨) الرهط الآخر ؛ فإنك تعرف بذلك حُسن اختياره وجميل أنتقائه ومحمود رأيه .

قال : من هم ؟ قال : أبو الوفاء المهندس ، وابن زرعة المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، ومسكويه ، والأهوازي والمسجدى فأين هؤلاء الغامطة^(٩) ؟

(١) « على » .

(٢) « يقضى » .

(٣) « طال » .

(٤) « الاستبداد » .

(٥) « ابن مكينجا » .

(٦) تهب ريجه : كناية عن نهوض الحظ وقيام الدولة .

(٧) قاريف ، أى كاذب ظالم . والمدخل : العائب ، من المدخل بالتحريك وسكون الحاء

بمعنى العيب .

(٨) له ، أى للوزير .

(٩) « فالآن » .

(١٠) الغامطة : الذين لا يفكرون النعمة . ويشير بهذا الوصف إلى الجماعة التقدم ذكرهم

وم ابن شاهويه وبهرام الخ . يريد أبن هؤلاء من هؤلاء .

قومٌ هُمهم أن يأكلوا رغيفا ويشربوا قدحا ، لا هم ممن يقتبس من عليهم ولا هم^(١) يتكلفون له نصحا ، وهيئته^(٢) تعوقهم عن ذكر شيء في الدولة من تلقائهم إلا أن يكون شيء يتعلق بهم على معنى خاص ؛ فهو ينود^(٣) هكذا وهكذا حتى يبلغ منهم ما قدر عليه .

فلما سمع الوزير هذا كله قال : سألتني إليك في جواب هذه المسألة ما تخدمني به إن لاقيتهم في مجلس آخر على وجه يخفي^(٤) أنك له ملقنٌ محتملٌ كأنك ساء عنه غير حافل به ؛ وقد تقطع الليل ، ويحتاج في هذا الحديث إلى أستشفاف زمان ، بعد أستيفاء حمام ؛ ثم أنشدت قول الشاعر :

إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضغائن حتى تبرأ المئزر

ثم قال : ما المئزر ؟ قلت : هي الضغائن التي ذكرها في حشو البيت ، واحدا مئزة ، كأنه أراد وألبسهم على الضغائن [حتى تبرأ الضغائن^(٥)] فرجع من لفظ إلى لفظ ضرورة القافية لئلا كان معناها واحدا ؛ قال : لمن هذا البيت ؟ قلت : لا أحفظ أسم شاعره ، ولكن أحفظ معه أبياتا . قال : هاتها ؛ فأنشدت أول ذلك :
يأئبها الرجل المزجي أذيتته^(٦) هل أنت عن قولك العوراء مزدجر
إني إذا عدت مبطلا^(٧) إلى أمد لا يستطيع حضاري المقرف البطر^(٨)

(١) « لا هو » .

(٢) « عتقهم » .

(٣) ينود : يتحرك ويتأبل . والمراد أنه بلوح هكذا وهكذا بالكلام .

(٤) « الخفي » .

(٥) هذه العبارة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونها ، فان

قوله : « وألبسهم على الضغائن » من لفظ البيت ، فلا يصح أن يقال فيه : « كأنه أراد » .

(٦) « أذيتته » .

(٧) « مد مبطاء » .

(٨) الحضار ، بكسر الحاء والمحاضرة : المالبة في الحضرة بضمها ، وهو المد والسريع .

لاقى قناتى مِصرارا عَشَوَزَنَةً^(١) لا قادح قد تبغأها ولا خورُ
إنى لأصنح عن قومى وألبسهم على الضغائن حتى تبرأ المندُ
قال: أكتبها. قلت: أفضل، وأنصرفت، فأعاد على بعد ذلك شيئاً مما كان.

الليلة الرابعة

(١) قال لى بعد ذلك فى ليلة أخرى: كيف رضاك عن أبى الوفاء^(٢)؟ قلت:
أرضى رضا بآتم شكر وأحد ثناء؛ أخذ بيدي، ونظر فى معاشى، ونشطنى
وبشرنى، ورعى عهدى، ثم ختم هذا كله بالنعمة الكبرى، وقلذنى بها القلادة
الحسنى، وشملى بهذه الخدمة، وأذاقنى حلاوة هذه المزية، وأوجهنى عند نظرائى.
قال: هات شيئاً من الغزل. فأنشدته:

كلانا سواء فى الهوى غير أنها تجلّد أحياناً وما بى تجلّد

== والغرف من الخيل: ما أمه عربية وأبوه أجمي. والبطر بكسر الباء: من البطر بالتحريك؛
وهو هنا بمعنى التبحر والدمش والأنهار. يريد أنه يتحير ويدهش حين يسابق أسرع منه فيقصر
عن مسابقته بسبب ذلك. ويقال للبحير القطوف إذا جرى بغيراً واسع الخطو قصرت خطاه عن
مباراته: «قد أبطره ذرعه» أى حمله على أكثر من طوقه.

(١) ورد هنا البيت فى الأصل هكذا:

لاقى قناتى مِصرارا عسورة لا قارح قد تبغأها ولا خور

وفى بعض ألفاظه تحريف ظاهر. ومصرارا، أى ذات صرر، أى صوت. والعرب يصفون
الفناة الجيدة بأنها تصوت عند تمررها، كما يدل على ذلك بيت عمرو بن كلثوم الآتى. والعشوزنة:
الصلبة الشديدة الفليضة، قال عمرو بن كلثوم يصف فناة:

عشوزنة إذا تمزّت أرنت تمشجّ قها للثقف والجينا

والقادح: أكال يقع فى الشجر. والصندع فى السود.

(٢) يريد أبى الوفاء المهندس، وهو محمود بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس، مولده
بيوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨، وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨، وكان إماماً فى الحساب
والمهندسة والجبر والفلك؛ توفى سنة ٣٨٧ كفى ابن الأمير أوسنة ٣٨٨ كفى تاريخ الحكماء.
وهو الذى ألف أبو حيان له هذا الكتاب.

تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها [حين] أنهى وأبعد
 ثم قال : غالب ظني أن نصرا غلام خواشاذه^(١) ما هرب من فنائي إلا برأيك
 وتجسيرك ؛ فإن ذلك عبد ، ولا جرأة له على مثل هذا التذود والشذوذ ، فقد
 قال لي القائل : إنك من خلصانه .

قلت : والله الذي لا إله إلا هو ما كان بيني وبينه ما يقتضى هذا الأنس
 وهذا الاسترسال ، إنما كنا نلتقى على زنبورية^(٢) باب الجسر بالمشايا وعند
 البيمارستان وعلى باب أبي الوفاء ؛ وإنما ركنت إليه لمرقته^(٣) وتاسومته
 عند ما كنت رأيته عند صاحبه بالرقي سنة تسع وستين وهو متوجه إلى
 قابوس وجرجان ، في المذلة الدائمة والحال المربوطة^(٤) ؛ ولو تبس لي بحرف
 من هذا^(٥) ، أو كنت أشعر بأقل شيء منه ، لكنت أقوله لأبي الوفاء
 قضاء لحقه ، ووفاء بما له في عنقي من مننه وخوفا من هذا الظن بي ، وقصورا
 عن اللأمة لي .

قال : أفما تعرف أحدا تسأله عنه ممن كان يخاطبه ويباسطه ؟ قلت :
 ما رأيته إلا وحده ؛ ولم كان زمان التلاقي ؟ كان أقل من شهر ، أفي هذا
 القدر يتوكد الأنس وترتفع الحشمة وتستحكم الثقة ويقع الاسترسال والتشاور ؟

(١) خواشاذه هو أبو نصر خواشاذه كان فارسيا من كبار رجال شرف الدولة البويهى
 وكان سفيرا في الاتفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة .

(٢) انظر تفسير هذا اللفظ في الحاشية رقم ٢ صفحة ٤١ .

(٣) الرقعة : من لبس الصوفية ، لما فيها من الرقع . والتاسومة : كلمة شائعة الاستعمال
 عند العامة في نوع من المنال البالية يلبسه الفقراء ؛ ولم نجد لها في راجعنا من كتب اللغة ، كما
 أنها لم ترد فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة في الألفاظ العامية والدخيلة .

(٤) لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقفة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه .

(٥) من هذا ، أى من أمره به .

هذا بعيد . قال : هذا المتخلف^(١) كنتُ قد قرَّبته وربَّته ، ووعده
ومنيته ؛ وتقدمت إلى أبي الوفاء بالإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وإذكارى
بأسره في الوقت بعد الوقت ، حتى أزيده نباهة وتقديما ، فترك هذا كله وطوى
الأرضَ كأنه هارب من حبس ، أو خائف من عذاب . ويقال في الأثر : إن
بعض الصفيحيين^(٢) قال : لله قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ، ما أكثر من
يفر من هذه الكرامة ، ويقوى — على ترفٍ جَمٍّ — على الهوان ، ويصبر
على البلاء ، ويقلق في العافية ! إن السجايا مختلفة ، وإن الطباع لمتعادية ؛
قلما يرى شخصان يتشاكلان في الظاهر إلا يتباينان في الباطن .
قلتُ : كذلك هو .

(٣) قال : حدثني لم أمتنمت من النفوذ مع ابن موسى إلى الجبل فيما رستمنا
له أن يتوجه فيه ؟ ولقد أطلتُ التمتع من هذا وكررتُه على أبي الوفاء .
قلتُ : معنى من ذلك ثلاثة أشياء : أحدها أن ابن موسى لم يكن من
شكلى « ولا أشدَّ للصدِّ »^(٤) هونا^(٥) من مصاحبة الصدِّ^(٥) ، لأنه سوادوى
وجمد . والآخر أنه قيل : ينبغي أن تكون عيننا عليه ، وأنا لو قررت لك الحديث
لما رأيتُه [لائقا^(٦)] بحالى ، فكيف إذا قرنتُ برجل باطل^(٧) لو مرَّ بوجه أسرى

(١) يريد بالمتخلف : هذا النلام الأبق ، لتخلفه عن متابعة مولاة .

(٢) الصفيحيون : نسبة إلى الصفيح ، وهو من أسماء السماء ، يريد التمديد المتلفة قلوبهم
بالعلم العلوى .

(٣) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في الأصل معرفة لا معنى لها وما أثبتناه
هو أقرب الحروف إلى الرسم الوارد في الأصل ، كما أن سياق الكلام يقتضيه .

(٤) الهون : القل والهوان .

(٥) « الصك » .

(٦) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، ولعله يريد أنه لو اكتفى بنقل
حقيقة الحديث لما كان ذلك لائقا بحاله لما في هذا العمل من وصفه بالسعاية والوشاية .

(٧) يريد بالباطل أنه يأخذ بالشبهات والظنون الباطلة .

لَتَهْدِنِي^(١) من أعلى جبل في الطريق . والآخِرَ أَنِّي كُنْتُ أَقْدِمُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ — وَهُوَ رَجُلٌ أَسَاءَ إِلَيَّ وَأَوْحَشَنِي ، وَحَاوَلَ عَلَيَّ لِسَانَ صَاحِبِهِ ابْنَ شَاهُوِيَه أَنْ أَتَقَلِّبَ إِلَيْهِ ثَانِيًا ؛ وَكُنْتُ أَكْرَهُ ذَلِكَ ، وَمَا كُنْتُ^(٢) آمِنٌ مَا يَكُونُ مِنْهُ وَمَتَّى ، وَالْمَجْنُونُ^(٣) الْمَطَاعُ ، مَهْرُوبٌ مِنْهُ بِالطَّبَاعِ .
وَبَعْدَ ، فَلَيْسَ لِي [حَاجَةٌ] ^(٤) فِي مِثْلِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، لِأَنَّ صَدْرَ الْعَمْرِ خِلَامَتِي عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، وَكَانَ وَسْطُهُ أَوْضَعَفَ سَحْمًا ، وَأَبْعَدَ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : مَا كَانَ عِنْدِي هَذَا كُلِّهِ .

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ أَتَجَبَّتْهُ وَخَبِرْتَهُ وَحَضَرْتَهُ^(٤) مَجْلِسَهُ ، وَعَنْ أَخْلَاقِهِ وَمَذْهَبِهِ وَعَادَاتِهِ ، وَعَنْ عِلْمِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، وَغَالِبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَمَغْلُوبِ مَا لَدَيْهِ ؛ فَمَا أَظُنُّ أَنِّي أَجِدُ مِثْلَكَ فِي الْخَبْرِ عَنْهُ ، وَالْوَصْفِ لَهُ ، عَلَى أَنِّي قَدْ شَاهَدْتَهُ بَهَمَّذَانٍ لَمَّا وَافَى ، وَلَكِنِّي لَمْ أُعْجِبْهُ ، لِأَنَّ اللَّبِثَ كَانَ قَلِيلًا ، وَالشَّغْلَ كَانَ عَظِيمًا ، وَالْعَائِقَ كَانَ وَقِيمًا .

فَقُلْتُ : إِنِّي رَجُلٌ مَظْلُومٌ مِنْ^(٥) جِهَتِهِ ، وَعَاتَبْتُ عَلَيْهِ فِي مَعَامَلَتِي ، وَشَدِيدُ الْغَيْظِ لِحِرْمَانِي ، وَإِنْ وَصَفْتُهُ أَرْزَيْتُ^(٦) مُنْتَصِفًا^(٧) ، وَأَنْتَصَفْتُ مِنْهُ مَسْرِفًا^(٨) ،

(١) دَعَمَهُ : دَحْرَجَهُ .

(٢) « وَمَا أَكْتَبُ » .

(٣) « وَالْمَجْكُوتُ » .

(٤) مَوْضِعُ هَذَا اللَّفْظِ فِي الْأَصْلِ حُرُوفٌ مَطْبُوسَةٌ تَتَعَدَّرُ قِرَاءَتُهَا ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَفْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهُ .

(٥) « أَمْرٌ » .

(٦) أَرَيْتُ : زِدْتُ .

(٧) وَرَدَّ فِي الْأَصْلِ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَامٌ وَمِيمٌ ؛ وَلَمَلَهُمَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ ، لِاسْتِقَامَةِ الْكَلَامِ بِدُونِهِمَا .

(٨) « مُشْتَرَفًا » ، وَقَدْ وَرَدَ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ حَاءٌ وَوَاءٌ ؛ وَلَمَلَهُمَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ .

فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب ، أو عاريا منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق ؛ على أنى عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن السعيد أودعتها نفسى الغزير ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى السودة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبه مهيب ، ولكره ديب ، وقد قال الشاعر :

إلى أن يغيب^(١) المرء يُرجى ويُتقى ولا يعلم الإنسان ما فى المغيب
قال : دع هذا كله ، وأنسخ لى الرسالة من السودة ، ولا يمننك ذلك
فإن العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها .

وبعد ، فما سألتك إلا وصفه بما جُبِلَ عليه ، أو بما كسب^(٢) هو بيديه من خير وشر ؛ وهذا غير منكر ولا مكروه ، لأمر الله تعالى ، فإنه مع علمه الواسع ، وكرمه السابغ ، يصف المحسن والمسيء ، ويُثنى على هذا وَيُنْثُو^(٣) على ذلك ؛ فأذكر لى من أمره ما خفّ اللفظ به وسبق الخاطر إليه وحضر السبب له .

قلت : إن الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب فصيح اللسان ؛ قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ؛ والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابته مهجنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة^(٤) بعبارة الكتاب ؛ وهو شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزاءها كالمهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والتعدد ؛ وليس [عنده]^(٥) بالجزء

(١) يغيب ، أى يموت . وفى الأصل « يعيش » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) « كتب » بالناء .

(٣) « يتنوع على ذلك » ، أى يخبر عنه بذنوبه ، يقال : « تناعل فلان ذنوبه » ، إذا أخبر بها

عنه وأشاعها .

(٤) كذا فى معجم الأدياء . والذى فى الأصل : « مسترقة » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ ومكانها كلمة مطموسة

تصنف قاءتسا .

الإلهي خبر، ولا له فيه عين^(١) ولا أثر؛ وهو حسن القيام بالتروض والقوافي؛ ويقول الشعر، وليس بذلك؛ وفي بديهته غزارة. وأما رويته^(٢) فخوازة؛ وطالمة الجوزاء، والشعري قريبة منه؛ ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة، والناس كلهم محبمون عنه، لجرأته وسلطته واقتداره وبسطته؛ شديد العقاب لطيف الثواب، طويل العتاب؛ بنىء اللسان؛ يعطى كثيرا قليلا (أعنى يعطى الكثير القليل)، مغلوب بحرارة الرأس، سريع النضب، بعيد النية^(٣) قريب الطيرة، حسود حقد حديد، وحسده وقف على أهل الفضل، وحقده سار إلى أهل الكفاية؛ أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سلطته، وأما المنتجعون^(٤) فيخافون جفوته؛ وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة، فحوة وتمننا وتجبرا وزهوا؛ وهو مع هذا يمدعه الصبي، ويغلبه النبي؛ لأن المدخل عليه واسع، واللأني إليه سهل؛ وذلك بأن يقال: مولانا يتقدم بأن أعاز شيئا من كلامه، ورسائل منشوره ومنظومه؛ فما جئت الأرض إليه^(٥) من فرغاة ومصر وتقليس إلا لأستفيد كلامه وأفصح به، وأتعم البلاغة منه؛ لكاننا رسائل مولانا سور قرآن، وقرء فيها آيات فرقان؛ وأحتججه من ابتدائها إلى انتهائها برهان فوق برهان؛ فسبحان من جمع العالم في واحد، وأبرز جميع قدرته في شخص.

(١) «جين ولا لبر».

(٢) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ الطبعة الأولى. والفي في الأصل: «بديهته» ولا يستقيم مع العبارة السابقة.

(٣) «النية». والتصحيح عن معجم ياقوت. والفيئة: الرجعة.

(٤) «المنكبطون».

(٥) «إلا من فرغاة» وقوله «إلا» زيادة من الناسخ.

فيلين عند ذلك ويزدوب ، ويلهَى عن كلِّ مهمٍّ له ، وينسى كلَّ فريضة عليه ويتقدم إلى الخازن^(١) بأن يُخرج إليه رسائله مع الورق^(٢) والورق ويسهل^(٣) له الإذن عليه ، والوصول إليه ، والتمكّن من مجلسه ؛ فهذا هذا .

ثم يعتمل في أوقات كالמיד والفصل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنعم ، ويقول : قد نحلّتك هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من المهج^(٤) المُشدين^(٥) . فينمل أبو عيسى — وهو بغدادى محكك^(٦) قد شاخ على الخدائع وتحتك — ويُنشد ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تجبيره : أعد يا أبا عيسى ، فإنك — والله — مُجيد زه يا أبا عيسى والله ، قد صفا ذهناك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ؛ ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالسنا تُخرج الناس وتهب لهم الذكاء ، وتزيد لهم الفطنة ، وتحول الكودن^(٧) عتيقا ، والمحمر^(٨) جوادا ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنتيه ؛ وعطيّة هنيئة ؛ وينيظ الجماعة من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يملون أن أبا عيسى لا يقرض مضراعا ولا يزن بيتا ولا يذوق عروضا .

قال يوما : من في الدار ؟ فقيل له : أبو القاسم الكاتب وأبن ثابت ؛ فعمل

(١) « الخازن » .

(٢) يريد بأحد الورقين : النرام الضرورية ، وهو بفتح الراء وكسرها .

(٣) كذا في معجم الأدياء ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى . والنى في الأصل : « ويهلم » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) « المهج » ، وفي حروفه قلب .

(٥) « المُشدين » وما أثبتناه من معجم الأدياء .

(٦) محكك ، أى مجرب مدرّب .

(٧) الكودن : الفرس المهجين . والعتيق : عكسه .

(٨) المحمر : الفرس المهجين .

في الحال بيتين ، وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنت لمذين فأدخل بدمها بساعة
وقل : « قد قلت »^(١) بيتين ، فإن رسمت لي إنشادها أنشدتُ « وأزعم أنك
بُدِدتَ بهما ، ولا تجزع من تأفني بك ، ولا تفزع من نُكْرِي عليك ، ودفعَ
البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن ؛ وأذن للرجلين حتى وصلا ؛ فلما
جلسا وأنسا^(٢) دخل الآخر^(٣) على تقييتهما^(٤) ، ووقف للخدمة ، وأخذ
يتلطفُ يرِي أنه يقرض شِعرا ؛ ثم قال : يا مولانا ، قد حضرني بيتان ، فإن
أنت أذنت لي أنشدتُ . قال : أنت إنسان أخرجتُ سخيف ، لا تقول شيئا
فيه خير ، اكفني أمرك وشِعرك . قال : يا مولانا ، هي بديهتي ، فإن نُكْرِتني^(٥)
ظلمتني ؛ وعلى كلِّ حال فأسمع ، فإن كانا بارعين وإلا فعاملني بما تحب^(٦) .
قال : أنت لجوج ، هات . فأنشد :

يأيتها صاحب تاج الملا لا تجعلني نُهزة الشامتِ
بملحدٍ يُكنى أبا قاسمٍ ومُجَبَّرٍ^(٧) يُعزَى إلى ثابتِ

قال : قاتلك الله ، لقد أحسنت وأنت مسيء . قال لي أبو القاسم : فكذتُ
أنتقأ غيظا ، لأنني علمت أنه من قملاته المعروفة ؛ وكان ذلك الجاهل لا يقرض

(١) ورد في الأصل بعد قوله : « قلت » جيم وميم وهما زيادة من الناسخ ، لاستقامة
الكلام بدونهما ، ولأنهما لم يردا في معجم الأدياء . ويلاحظ أن في هذه النسخة كثيرا من
الحروف الزائدة .

(٢) كذا في معجم الأدياء . والذي في الأصل : « مواسا » ؛ وهو تحريف .

(٣) « الآخر » وما أُنبتاه عن معجم الأدياء .

(٤) « تقييتهما » ؛ وهو تحريف . « ودخل على تقييتهما » ، أي على أثرهما . ونفيته

الفسى : حينه وزمنه .

(٥) « نُكْرِتني » ؛ وهو تحريف . وفي معجم الأدياء « كبرتني » .

(٦) « يجب » .

(٧) « مجبر » بفتح الباء ، أي منسوب إلى مذهب الجبرية بالتحريك ، وهم فرقة يقولون :

ليس للعبد قدرة ، وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعدة .

بيتا . ثم حدثني الخادمُ الحديثَ بنصه .

والذي غلّطه في نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، أنه لم يُجِبْهُ قطُّ بتخطئة ، ولا قوبل بتسوية ؛ ولا قيل له : أخطأت أو قصرت أو لختت أو غلّطت أو أخلت ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيّدنا ، وصدق مولانا ، ولله دَرّه ، ولله بلاؤه ، مارأينا مثله ، ولا سمعنا من يقاربه ، من (أبنُ عبدِ كان) مضافا إليه ؟ ومن (أبنُ ثوابة) مقيسا عليه ؟ ومن (إبراهيم بن العباس) الصوليُّ [إذا أُجمع بينهما] ؟ من (صريع الغواني) من (أشجع السلمي) إذا سلّك طريقهما ، ومتّح برشائهما ، وقَدَح بزَنديهما ؟ قد أستدرك مولانا على (الخليل) في التروض ، وعلى (أبي عمرو بن العلاء) في اللغة وعلى (أبي يوسف) في النضاء ، وعلى (الإسكافي) في الموازنة ، وعلى (أبنُ نوبخت) في الآراء والديانات ، وعلى (أبنُ مجاهد) في القراءات ؛ وعلى (أبنُ جرير) في التفسير ، وعلى (أرسطوطاليس) في المنطق ، وعلى (الكِندي) في الجزء ^(١) ، وعلى (أبنُ سيرين) في العبارة ، وعلى (أبي العيّن) في البديهة ، وعلى (أبنُ أبي خالد) في الخطّ ، وعلى (الجاحظ) في الحيوان ، وعلى (سهل بن هرون) في الفِقْر ، وعلى (يوحنا) في الطب ؛ وعلى (أبنُ زَيْن) ^(٢) في الفردوس ، وعلى (عيسى بن دأب) في الرواية ، وعلى (الواقدي) في الحفظ ، وعلى (النجار) في البَدَل ^(٣) ، وعلى (أبنُ ثوابة) في التنقّه ^(٤) ، وعلى (السريّ السقطيّ) في الخطرات والوساوس ، وعلى (مزبّد) ^(٥)

(١) يريد الجزء الذي لا يجزأ ، وهو ما يسمى بالجواهر الفرد .

(٢) « ابن زين » هو علي بن زين كان طبيبا مشهورا ، ألف كتابا اسمه فردوس الحكمة ، وكان يهوديا ثم أسلم على يد المعتصم .

(٣) البَدَل : اسم كتاب في الكلام لأبي عبد الله الحسين بن محمد النجار .

(٤) في معجم الأدباء « وعلى بن ثوابة في التنقّه » .

(٥) هو أبو إسحاق مزبّد المدنيّ اشتهر بنوادره المضحكة وبسرعة خاطره ولطيف ملحه .

في النوادر ، وعلى (أبي الحسن العروضي) في أستخراج المعنى ، وعلى (بنى برمك) في الجود ، وعلى (ذى الرياستين) في التدبير ، وعلى (سليح) في الكهانة ، وعلى (ابن الحميا خالد بن سنان العبسي) في دعواه^(١) ؛ هو والله أولى بقول (أبي شريح أوس بن حجر التيمي) في (فضالة بن كلدة) :

الألمى الذى يظن بك الظن* كأن قد رأى وقد سما

قد يسبق المدح إلى من [لا^(٢)] يستحقه ، ويصير المال إلى من لا يليق به أن يكون ميلا^(٣) حتى إذا وجد من كان لذلك مستحقا منحه ووفر عليه .

فتراه عند هذا الهدر وأشباهه يتلوى ويتبسم ، ويطيّر فرحا ويتقسم ويقول : ولا كذا^(٤) ؛ ثمرة السبق لهم ، وقصرنا أن نلحقهم ، أو نقفوا أثرهم ونشق غبارهم أو نرد غمارهم . وهو في كل ذلك يتشاكى ويتحايل ، ويلوى شدقه ، ويتلع ريقه ، ويرد كالأخذ ، يأخذ كالمتمتع ، ويفضّب في عرض الرضا ، ويرضى في كبوس الغضب ، ويتهاك ويتالك ، ويتقابل^(٥) ويتمايل ؛ ويحاكي المومسات ، ويخرج في أصحاب السجاجات ؛ ومع هذا كله يظن أن هذا خاف على نقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال ، والذين قد فرغهم الله لتتبع

(١) خالد بن سنان روى أنه كان نبيا وكان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكان بأرض عيس . ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من لقبه بابن الحميا ، وقد وردت كنيته في معجم الأدباء بأبي الحميا .

(٢) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « ميتا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والميل ، ذو المال .

(٤) « ولا كذا » : كلمة ظاهرها الرغبة في الاقتصاد في المدح ، وباطنها الحث على

الإكثار منه .

(٥) « ويتقابل » ، أى تتقابل أجزاءه بعضها ببعض ، وذلك إذا استوى في مجلسه ولم

يعل إلى ناحية .

وقال ابن المرزبان: هو كثير السرقة، سميّ الإتيان، ردى القلب والعكس، فَرُوقَةٌ^(١) في إيراده، هزيمته قبل هُجُومِهِ^(٢). [وإحجامه^(٣)] أظهر من إقدامه. وقال الصابي: هو مجتهد غير موفّق، وفاضل غير منطّق^(٤) ولو خطأ كان أسرع له، كما أنّه لما عدا كان أبطأ عليه؛ وطباع^(٥) الجبليّ مخالف لطباع العراقيّ، يثب^(٦) مقاربا فيقع بعيدا، ويتناول صاعدا فيتقاعس^(٧) قعيدا. وقال عليّ بن جعفر: ثمّ كانت الطبايع^(٨) ! هو يكذب نفسه بحسن الظن في البلاغة، وطباعه تصدّق عنه بالتخلف، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى، فأما شينه اللفظ فبالجفوة والغلظة والإخلال والفجاجة؛ وأما إحالته فبالإبعاد عن حوّة القصيد والإرادة؛ والعجب أنه يحفظ الطمّ والرّم^(٩) من النثر والنظم؛ ثمّ إذا ادّعاها يقع دونهما سقوطا، أو يتجاوزهما فُرُوطا^(١٠)؛ هذا مع الكبر المقوت والتشيع الظاهر، والدعوى العارية من البيّنة العادلة.

(٦) وما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخصيب إلى آخر: الكبر — أعزك الله — معرض يستوى فيه النّيبه ذِكرًا، وانحامل قدرًا، ليس

(١) الفروقة: الشديد الفرق بالتحريك، وهو الفزع.

(٢) «مجمومه».

(٣) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها، والسياق يقتضي ما أثبتنا أو إثبات ما يفيد معناه.

(٤) غير منطّق، أي غير بليغ النطق.

(٥) الطبايع: الطبع، يستعمل مفردا كما هنا وجما.

(٦) «بنسته».

(٧) يتعجب بهذه العبارة من أصل الطبايع التي تخالف صاحبها فتصدق عنه إذا كذب نفسه، كما يدل على ذلك سياق الكلام الآتي.

(٨) الطم والرّم: العدد الكثير. يقال: جاء بالطم والرّم. والطم في الأصل: المساء الكثير، أو ما ساقه الماء من غشاء. والرّم: الثرى. والذي في الأصل «الكظم وأكرم» وهو تحريف في كلتا الكلمتين.

(٩) الفروط: التقدم. وفي الأصل: «فروطا» وهو تصحيف.

أمامه حاجب يمنعه ، ولا دونه حاجز يحظره ؛ والناس أشدّ تحفظاً على الرئيس المحفوظ ، وأكثر أجتلاء لأفعاله ، وتتبعاً لمعاييه ، وتصفحاً لأخلاقه ، وتنقيراً^(١) عن خصاله منهم عن خامل لا يُمبأ به ، وساقطٍ لا يُكترث له ؛ فيسيرُ عيب الجليل^(٢) يقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل النعم يسرع إليه ؛ ولابن هندو في هذا المعنى :

العيب في الرجل المذكورٍ مذكورٌ والعيب في الخامل المستورٍ مستورٌ
كفوفة^(٣) الظفر تخفى من مهاتها ومثلها في سواد العين مشهورٌ

وقال الزهيري : قد نجم بأصبهان ابن لمباد في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة وإن كان له يوم ، فسيشقى به قوم ، سمعته يقول هذا سنة أئمتين وخمسين في مجلس من الفقهاء .

وقال ابن حبيب : قال بعض الحكماء : إن للنفس أمراضاً كأمرض البدن إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشرّ والضرر كفضل النفس على البدن في الخير ؛ وصاحبنا^(٤) يعني — ابن عبّاد — مريض عندنا ، صحيح عند نفسه ، زيف بنقدنا ، جيد بنقده ؛ ولو قامت^(٥) الشوق على ساقها ، وتناصف المتعاملون فيها ، ولم يقع إكراه في أخذٍ ولا إعطاء ، عُرف البهرج^(٦) الذي

(١) « وتنكيرا » ؛ بالكاف .

(٢) « الجليل » .

(٣) « فوفة » ، وهو تصحيف . والفوف بفاءين : الياء الذي يكون في الأظفار الواحدة فوفة .

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطموسة لم يظهر منها غير الواو والصاد والألف .

(٥) « قالت » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٦) « التهريج » . والبهرج : الرديء .

أبلغ من ابن يوسف^(١) ، وأغزُرُ وأحفظُ وأزوى وأجمُ رَكِيَّة ، وأعدبُ مؤردا ، وأبعدُ من التفاوت ؛ وليس ابن يوسف من ابن عبّاد في شيء .

فأما ابن العميد فيني سمعت ابن الجمل يقول : سمعت ابن ثوابة يقول : أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيّل مذهب الجاحظ وظنّ أنه إن تبعه لَحِقَه ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بميدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ؛ ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبّرٌ بأشياء لا تلتقى عند كلِّ إنسان ولا تجتمع في صدر كلِّ أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والعادة والعمر والفراغ والعشق^(٢) والمنافسة والبلوغ ؛ وهذه مَفَاتِحُ قَلَمًا يملكها واحد ، وسواها^(٣) مَعَالِقُ قَلَمًا ينفك منها واحد .

وأما أبْنُه ذو الكفّائتين ، فلو عاش كان أبلغ من أبيه ، كما كان أشعرَ منه ؛ ولقد تشبّه بالجاحظ فأفتضح في مكاتبتة لإخوانه ، ومجانّته في كلامه ومسائله لمعلمه التي دلّتنا على سرّته وغارته^(٤) وسوء تأتبه^(٥) ، في تسأره وتغطّيه ؛ ومن شاء سمّق نفسه ؛ وكان مع هذا أشدَّ الناس أدعاء لكلِّ غريبة ، وأبعدَ الناس من كلِّ قريبة ؛ وهو نَزْرُ^(٦) المعاني ، شديد الكلف باللفظ ؛ وكان أحسدَ

(١) ابن يوسف الذي يريده هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أحد أعيان الكتاب في دولة بني بويه ، تقلد ديوان الرسائل لمضد الدولة طول أيامه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده ، وهو الذي دس لابن سعدان عند صنعام الدولة حتى سجنه ثم قتله . وفي الجزء الثاني من اليتيمة نماذج من رسائله .

(٢) يريد بالعشق هنا : رغبته وميله إلى ما يزاوله من صناعة الكتابة

(٣) « ووباها » .

(٤) « وغارته » .

(٥) « تأتبه » .

(٦) « يزور » .

الناس لمن خَطَّ بالقلم ، أو بَلَغَ باللسان ، أو فَلَجَ ^(١) في المناظرة ، أو [فَكِهَ ^(٢)] بالنادرة ، أو أَعْرَبَ في جواب ، أو أُنَّسَ في خطاب ؛ ولقد لقي الناسُ منه الدوامَ لهذه الأخلاق الخبيثة ؛ وقد ذكرتُ ذلك في الرسالة ، وإذا بُيِّضَتْ وُقِفَتْ ^(٣) عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله ؛ وأنصرفتُ .

الليلة الخامسة

(١) قال لي ليلة أخرى : ألا تتمم ما كتبنا به بدأنا . قلت : بلى .
فأما أبو إسحاق ^(٤) فإنه أَحَبَّ ^(٥) الناس للطريقة المستقيمة ، وأمضاهم على الصحبة الوسطى ، وإنما يُنقَمُ عليه قلة نصيبه من النحو ؛ وليس ابن عباد في النحو بذلك ؛ ولا كان أيضا ابن العميد إلا ضعيفا ؛ وكان يذهب عنه الشيء اليسير . وأبو إسحاق معانيه فلسفية ، وطباعه عراقية ، وعادته محمودة ؛ لا يثبُ ولا يرْسُبُ ، ولا يَكَلُّ ولا يَكَلِّمُ ^(٦) ، ولا يلتفت وهو متوجِّه ، ولا يتوجه وهو ملتفت . وقال ^(٧) لنا : إمامي ابن عبد كان ^(٨) ، وهو قد أوْفَى عليه ، وإن كان

(١) فلج : فاز على خصمه وظهر به .

(٢) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ؛ وما أثبتناه أقرب إلى ما ظهر من حروفها .

(٣) « ووقفت » . والواو زيادة من الناسخ .

(٤) يريد بأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عن الدولة البويهية ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وهم عليه عضد الدولة مكاتبات صدرت منه ، فلما ملك عضد الدولة أراد قتله فشققوا فيه فأطلقه ، وألف له كتاب « الناجي » في أخبار بني بويه ، وأريد على الإسلام فأبى وظل على دين الصابئة إلى أن مات سنة ٣٨٤ كما روى ابن خلكان . وقال ابن النديم إنه مات قبل سنة ٣٨٠ .

(٥) « جم » وسياق العبارة الآتية بمد يقتضى ما أثبتنا .

(٦) يكهم : يضيف .

(٧) وقال ، أي أبو إسحاق الصابي .

(٨) « ابن عبد كان » هو محمد بن عبد كان ، كان كاتباً للدولة الطولونية ، وكان بليفا مقرسلا فصيحاً ، وله ديوان رسائل .

الرأى وقضية العقل ، لكان مملأ في مصطبة على شارع ، أوفى دار ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفهيته وتشادقه ، وأستحقاره وأستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكال تُعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها سببا للملازمة والحرص على التعلّم والحفظ والرواية والدراسة .

(٤) قال : هذا قدرٌ كافٍ إلى أن تبييض الرسالة ؛ هات مُلحة الوداع . قلتُ : قال أبو العيناء : قال أبو دعلج : قال المهديّ : بايع ؛ قلتُ : أبايكم [علام ؟ قال^(١)] : على ما بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صفين . قال كرز أبو سيار المسمى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك صفين ، إنما كانت صفين بين عليّ ومعاوية . فقال دوست بن رباط الفقيميّ أبو شعيب : قد علم الأميرُ هذا ، ولكن أحبّ التسهيل على الناس ، وأنصرفتُ .

الليلة السادسة

(١) ثم حضرته ليلة أخرى فأول ما فاتح به المجلس أن قال : أتفضل العرب على المعجم أم المعجم على العرب ؟

قلتُ : الأمم عند العلماء أربع : الروم ، والعرب ، وفارس ، والهند ؛ وثلاث من هؤلاء عجم ، وصنّب أن يقال : العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة ، مع جوامع ما لها ، وتفاريق ما عندها . قال : إنما أريد بهذا القُرْس . قلتُ : قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أروى كلاما لابن المقفع ، وهو أصيل في القُرْس عريق في المعجم ، مفضل بين أهل الفضل ؛ وهو صاحب (اليتيمة) القائل :

(١) ما بين المبرين لم يرد بالأصل ؛ والسياق يقتضيه .

تركت أصحاب الرسائل بعد هذا الكتاب في توضيح من الكلام . قال : هات على بركة الله وعونه . قلتُ : قال شبيبُ بن شبة : إنا لوقوفٌ في عرصَةِ الميريد — وهو موقف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان المصر — إذ طلع ابن المقفع ، فما فينا أحد إلا هَسَّ له ، وأرتاح إلى مُساءلته ، وسررنا بطلعته ؛ فقال : ما يتفككم على مُتون دوابكم في هذا الموضع ؟ فوالله لو بعث الخليفةُ إلى أهل الأرض يبتنى مثلكم ما أصاب أحدا سواكم ، فهل لكم في دار ابن برثن في ظلِّ ممدود ، وواقية من الشمس ، واستقبال من الشمال ، وترويح للدواب والظلمان ، وتتمهد الأرض فإنها خير بساط وأوطؤه ، ويسمع بعضنا من بعض فهو أمدٌ للجلس ، وأدركٌ للحديث . فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن تنقسم الشمال ، إذ أقبل علينا ابن المقفع ، فقال : أيُّ الأم أعقل ؟ فقلنا أنه يريد الفرس ، قلنا : فارسُ أعقل الأم ، تقصد مقاربتة ، وتوخي مصانته . فقال : كلاً ، ليس ذلك لها ولا فيها ، هم قوم علّموا فتعلّموا ، ومثّل لهم فامتثلوا وأقتدوا^(١) وُبدئوا بأمر فصاروا إلى أتباعه ، ليس لهم أستنباط ولا أستخراج . قلنا له : الرّوم . فقال : ليس ذلك عندها ، بل لهم أبدانٌ وثيقة وهم أصحاب بناء^(٢) وهندسة ، لا يعرفون سواها ، ولا يحسنون غيرها .

قلنا : فالصين . قال : أصحاب أثاثٍ وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع الهراش . قلنا : فالهند . قال : أصحاب وهم ومخرقة^(٣) وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائمٌ هاملة^(٤) . فرددنا الأمر إليه . قال : العرب .

(١) « وامتدوا » .

(٢) « بقاء » ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الحرق » . والشعبذة والشعوزة : واحد ، وهي أُخذ كالسحر ترى

العمى بنير ما عليه أصله في رأى العين .

(٤) هاملة ، أي مهملّة . وفي الأصل : « هائلة » .

فللفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللروم العلم والحكمة ؛ وللهند الفكر والروية والخفة^(١) والسحر والأناة ؛ وللترك الشجاعة والإقدام ؛ ولزنج الصبر والكّد والفرح ؛ وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمّام والخطابة والبيان .

ثم إن هذه الفضائل المذكورة ، في هذه الأمم المشهورة ، ليست لكل واحد من أفرادها ، بل هي الشائعة بينها ؛ ثم في جملتها^(٢) من هو عارٍ من جميعها ، وموسوم بأضدادها ، يعني أنه لا تخلو الفرس من جاهل بالسياسة ، خالٍ من الأدب ، داخلٍ في الزعاع والهمج ؛ وكذلك العرب لا تخلو من جبانٍ جاهلٍ طيَّاشٍ بخيلٍ عبي^(٣) وكذلك الهند والروم وغيرهم ؛ فعلى هذا إذا قوبل أهلُ الفضل والكمال من الروم بأهل الفضل والكمال من الفرس ، تلاقوا على صراطٍ مستقيم ، ولم يكن بينهم تفاوتٌ إلا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وتلك لا تخص^(٤) بل تلمّ . وكذلك إذا قوبل أهلُ النقص والذليلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى ، تلاقوا على نهجٍ واحد ، ولم يقع بينهم [تفاوت^(٥)] إلا في الأقدار والحدود ؛ وتلك لا يلتفت إليها ، ولا يعار^(٦) عليها ؛ فقد بان بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص بأضطرار الفطرة ، وأختيار الفكرة . ولم يكن بعد ذلك إلا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترابية ، والمادة المنشئية

(١) في الأصل : « المفة » ، ولم نجد من معانيها ما يناسب السياق . ولعل صوابه ما أبتنا . ويريد بالحفة : الشعوذة ، فإنها بخفة في اليد . وقد سبق وصف الهنود بذلك .

(٢) « أجمتها » .

(٣) « غبي » .

(٤) في الأصل : « يحصل بل تسلّم » ومعنى الكلّتين لا يناسب السياق . ويريد أنها

لا تخص أمة دون أمة ، بل تجمع الأمم كلها .

(٥) موضع هذه الكلمة حروف مطموسة في الأصل تتعذر قراءتها .

(٦) يعار : يعاب .

والهوى الغالب من النفس الغضبية ، والنزاع الهاجج من القوة الشهوية .
 وها هنا شيء آخر ، وهو أصل كبير لا يجوز أن يخلو كلامنا من الدلالة عليه
 والإيحاء إليه .

[وهو أن^(١)] كل أمة لها زمان على ضدها^(٢) ، وهذا بين مكشوف إذا
 أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر ، لَمَّا غَلَبَ وساس ومَلَك ورأس وفتق
 ورَتَق ورَسَمَ ودَبَّرَ وأمر ، وحَثَّ وزجر ، ومحا وسَطَّرَ ، وفعل وأخبر ؛ وكذلك
 إذا عطفت إلى حديث كسرى أنوشروان وجدت هذه الأحوال بأعينها ، وإن
 كانت في غُلفٍ غيرِ غُلفِ الأوَّل ، ومعارضٍ غيرِ معارضِ المتقدم ؛ ولهذا قال
 أبو مسلم صاحبُ الدولة حين قيل له : أي الناس وجدتهم أشجع ؟ فقال : كل
 قوم في إقبال دولتهم شجمان . وقد صدق ؛ وعلى هذا كل أمة في مبدأ سعادتها
 أفضلُ وأمجِدُ وأشجعُ وأمجِدُ وأسخى وأجودُ وأخطبُ وأنطقُ وأزأى وأصدق ؛
 وهذا الاعتبار ينساق من شيء عامٍ لجميع الأمم ، إلى شيء شاملٍ لأمة أمة
 إلى شيء حاوٍ لطائفةٍ طائفة ، إلى شيء غالبٍ على قبيلةٍ قبيلة ، إلى شيء معتادٍ
 في بيتٍ بيت ، إلى شيء خاصٍ بشخصٍ شخص وإنسان إنسان ؛ وهذا التحولُ
 من أمة إلى أمة ، يشير^(٣) إلى فيض جود الله تعالى على^(٤) جميع بريته وخليقته
 بحسب أستجابتهم لقبوله ، واستعدادهم على تناول الدهر في نيل ذلك من فضله
 ومن رَقَى إلى هذه الرَبُوة بعين لا قَدَى بها ، أبصر الحقَّ عيانا بلا مرية ، وأخبر

(١) هذه التكملة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) ضدها ، أي لها زمان تكون لها فيه الدولة والغلبة على عدوها . وفي الأصل :
 « ضد هذا » وقوله : « ذا » زيادة من الناسخ كما يدل عليه سياق الكلام الآتي .

(٣) « وهو يشير » . والظاهر أن قوله « وهو » زيادة من الناسخ .

(٤) « إلى » .

عنه بلا [فريه^(١)] ؛ ومتى صدق نظرك في مبادئ الأحوال وأوائل الأمور
وضح لك هذا كله كالنهار إذا متع^(٢) ، وأستنار كالقمر إذا طلع ؛ ولم يبق
حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب ، إلا ما يكتات بالهوى ، ويستنج
بالتعصب ، ويحبب اللجاج ، ويخرج إلى المحك^(٣) ؛ فهناك يطبخ^(٤) المعنى
ويضلل المراد ، فإذا آثرت أن تعرف صحة هذا الحكم وصواب هذا الرأي ،
فاسمع ما أرويه : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : انصرف العباس بن مرداس
السلمي من مكة فقال : « يا بني سلم ، إني رأيت أسرا ، وسيكون خيرا ، رأيت
بني عبد المطلب كأن قُدودهم الرماح الردينية^(٥) ، وكان وجوههم بدور الدجنة
وكان عماتهم فوق الرجال ألوية ، وكان منطلقهم مطر الوبل على المحل ؛
وإن الله إذا أراد نمرأ^(٦) غرس له غرسا ، وإن أولئك غرس الله ؛ فترقبوا ثمرته
وتوكفوا^(٧) غيثه ، وتفتشوا ظلالة ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به . » ولقد قرع
العباس بهذا الكلام باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحسن بالخافي ، وأطلع عقله
على المستتر ، وأهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ؛ وهذا
شئ فاش في العرب ، لعل وحدثها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بنيتها
وأعتدال هيتها ، وصحة فطرتها ، وخلاء ذرعها ، وأتقاد طبعها ، وسعة لغتها
وتصاريف كلامها في أسماؤها وأفعالها وحروفها ، وجولانها في اشتقاقاتها ، وما أخذها

(١) هنا كلمة مطبوسة الحروف في الأصل تنمذ قراءتها . واستقامة الكلام تقتضى ما أمبنا أو ما يفيد هذا المعنى .

(٢) متع النهار : ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال .

(٣) المحك : المنازعة والتماهى في اللجاج .

(٤) « يطبخ » .

(٥) الرماح الردينية : نسبة الى ردينة ، وهي امرأة من العرب كانت تقوم الرماح .

(٦) « نمرأ » .

(٧) الحرفان الأولان من هذه الكلمة في الأصل مطبوسان تنمذ قراءتهما بموسيقا

الكلام يقتضى ما أمبنا . ومعنى « توكفوا غيثه » ارتقبوه وانتظروه .

البديمة في أستعاراتها ، وغرائب تصريفها في اختصاراتها ، ولطف كنياتها في مقابلة تصريفاتها ، وفنون تبجيجها^(١) في أكناف مقاصدها ، وعجيب مقاربتها^(٢) في حركات لفظها ؛ وهذا وأضعافه مسلم لهم ، وموفر عليهم ، ومعرف فيهم ومنسوب إليهم ، مع الشجاعة والتجدة والتمام^(٣) والصفاء والفطنة والخطابة والعصية والأتفة والحفاظ والوفاء ، والبذل والسخاء ، والتهاك في حب الثناء والتكلم^(٤) الشديد عن النعم والمجاء ؛ إلى غير ذلك مما خُصت به في جاهليتها قبل الإسلام ، مما لا سبيل إلى دفعه وجحوده ، والبهت فيه ، والمكابرة عليه ؛ وقد سمعنا لغات كثيرة — وإن لم نستوعبها — من جميع الأمم ، كلمة أصحابنا العجم والروم والمند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا شيء من هذه اللغات نصوع^(٥) العربية ، أعنى الفرج التي في كلماتها ، والنضاء الذي نجد بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمادة التي ندونها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تجدد في أبيتها ؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وصحة هذا الحكم ، فألحظ عرض^(٦) اللغات التي هو بين أشدها تلايسا وتداخلًا ، وترادفًا وتماثلًا^(٧) وتصيرًا وتعوضًا^(٨) ، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفاً ، وأرق

(١) تبجيجها ، أي اتسامها .

(٢) « مقاربتها » .

(٣) « والتمام » .

(٤) التكلم بالتحريك : لغة في التكلوم ، أي التكلوم عن الشيء والتلجج عنه .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل مطبوسة الحرفين الأولين ، ولم يظهر منها غير الواو والعين .

(٦) « عرض » .

(٧) تماثل الكلام : تراكمه وتوالي بعضه فوق بعض . وكان زهير لا يماثل بين الكلام

أي لا يكرره .

(٨) في الأصل : « وتعوضا » بالالف والصاد ؛ ولم نجد من معاني التعويض ما يناسب

السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه عطلة على التصير ، إذ مؤدى الكلمتين واحد .

لفظا ، وأخفُ اسما ؛ وألطفُ أوزانا^(١) ، وأحضرُ عيانا ؛ وأحلى مخرجا وأجلى منهجا^(٢) وأعلى^(٣) مدرجا ؛ وأعدلُ عدلا ، وأوضحُ فضلا ، وأصحَّ وصلا إلى أن تنزل^(٤) إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي إلى العربية ، فإنك تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماص ، سرى^(٥) قليلا قليلا حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض .

وهذا شيء يجده^(٦) كل من كان صحيحَ البنية ، بريئا من الآفة ، متنزها عن الهوى والعصبية ، محبا للإنصاف في الخصومة^(٧) ، متحررا للحق في الحكومة ، غير مسترق^(٨) بالتقليد ، ولا مخدوع بالإلف ، ولا مسخر^(٩) بالعادة ، وإني لأعجب كثيرا ممن يرجع إلى فضل واسع ، وعلم جامع ؛ وعقل سديد ، وأدب كثير ، إذا أبى هذا الذي وصفته ، وأنكر ما ذكرته ؛ وأعجب أيضا فضل عجب من الجيهازي^(١٠) في كتابه وهو يسبّ العرب ، ويتناول

(١) « أوراقا » .

(٢) في الأصل : « وأخطر » ومعناه لا يناسب السياق . ويريد بقوله : أحضر عيانا : أنها شديدة الظهور .

(٣) « منهجكم » .

(٤) « ولعلا » .

(٥) « تترك » .

(٦) « سرى » ؛ والناء زيادة من الناسخ .

(٧) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير النال والماء . وسياق الكلام يقتضى إيجابها على هذا الوجه .

(٨) « الخصوصية » .

(٩) في الأصل : « مستفرغا » . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(١٠) « مستخرنا » .

(١١) الجيهازي : نسبة إلى جيهان مدينة بخراسان . وقد شهر بهذه النسبة اثنان : أحدهما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير السامانية ببخارى ، كان أديبا فاضلا له من الكتب كتاب آيين نامه وكتب أخرى ؛ وجيهازي آخر اسمه محمد بن أحمد كان كذلك وزيرا للسامانيين . =

أعراضها ويحطّ من أقدارها ، ويقول : يأكلون اليرابيع والضباب والجُرذان والحيات ويتعاورون^(١) ويتساورون ، ويتهاجون ويتفاحشون ، وكانهم قد سلخوا من فضائل البشر ، ولبسوا هُجَبَ الخنازير . قال : ولهذا كان كسرى يسمّى ملك العرب : « سَكَّانَ شاه » ، أى ملك الكلاب . قال : وهذا^(٢) لشدة شبههم بالكلاب وجرائها ، والذئب وأطلائها^(٣) وكلاما كثيرا من هذا الصوّب أرفع قدره عن مثله ، وإن كان يضع من نفسه بفضل قوله . أتراه لا يعلم لو نزل^(٤) ذلك القفر وتلك الجزيرة وذلك المكان الخاوى وتلك الفيافي والعمامى ، كل كسرى كان فى الفرس ، وكل قيصر كان فى الروم ، وكل بلهور^(٥) كان بالهند ، وكل يقفور كان بخراسان ، وكل خاقان كان بالترك وكل أخشاد^(٦) كان بفرغانة وكل صهبهذ^(٧) كان من أسكنان^(٨) وأردوان

== قال فيه ياقوت : كان أديبا فاضلا شهما جسورا . وقد ترجم لكليها ياقوت . وقال ابن النديم فى الأخير : إنة من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويطنون الزندقة ويصنفون فى نصرمة الأئمنية . والظاهر أن الأخير هو المراد هنا .

(١) يتساورون ، أى يذكر بعضهم عورة بعض .

(٢) « ولهذا » ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٣) أطلائها : أولادها .

(٤) فى الأصل : « كوثر » وبعد الراء حرف مطموس يشبه أن يكون « لاما » .

(٥) بلهور : لقب لكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيبويه فى كتابه ، وفسره السيرافى .

(٦) أخشاد وأخشيد لقب كان للملك فرغانة ، ولهذا لقب الرضى باقة العباسى محمد بن

طنج صاحب مصر والشام بالأخشيد ، لأنه كان فرغانيا . وفرغانة مدينة وكورة واسعة وراء النهر مناخمة لبلاد تركستان .

(٧) فى الأصل : « شبه » بالشين ؛ وفيه تحريف وتمس حرفين إذ لم نجد بالمعنى المناسب

فيما راجعناه من معجمات اللغتين العربية والفارسية ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، فقد ورد فى شفاء

القليل أن صهبذ معناه الأمير ؛ وهو معرب ورد فى شعر جرير . وفى كتاب الألفاظ الفارسية

العربية أن صهبذ بالفارسية معناه قائد العسكر وهو مركب من كلمتين « سبه » أى عسكر

و « بد » أى صاحب .

(٨) لعله « أشكيشان » كما فى معجم البلدان ، وهى من قرى أصبهان . وأردوان :

ويقال فيه : أردوال ، بلدة صغيرة بين واسط والجبل وبلاد خوزستان .

ما كانوا يَتَدُونُ هذه الأحوال لأنَّ من جاعَ أكل ما وجد ، وطيمَ ما لحق^(١) ،
 وشرب ما قدرَ عليه ، حباً للحياة ، وطلباً للبقاء ، وجزعاً من الموت ، وهرباً من
 ألقناء . أتري أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وَبَرَّ (وَبَار^(٢)) وسفوح
 طيبة^(٣) ، وزمل يَبْرين وساحة هَبِير^(٤) ، وجاع وعَطش وعَرِي ، أما كان
 يأكل اليزْبوعَ والجُرْذَان ؛ وما كان يشرب بَوْلَ الجبل وماء البئر ، وما أَسَنَ في
 تلك الوَهْدَات ؟ أو ما كان يلبس البُرْجُدَ^(٥) والخَيْصِمَةَ^(٦) والسَّيْلَ^(٧) من الثياب
 وما هو دونه وأخشن ؟ بلى والله ، ويأكل حشرات الأرض ونبات الجبال ، وكلَّ
 ما حمض ومَرَّ ، وخُبث وضرَّ ، هذا جهلٌ من قائله ، وخيفٌ من منتعله ؛ على أن
 العرب — رحمك الله — أحسنُ الناس حالاً وعيشاً إذا جادتهم السماء ، وصدقَتهم
 الأنواء^(٨) ؛ وأزدانت الأرض ، فهُدَّت الثمار ، وأطردت الأودية ، وكثرت اللبن
 والأقط^(٩) والجبن واللحم والرطب والتمر والقمح ، وقامت لهم الأسواق ، وطابت

(١) « بالحق » .

(٢) وبار : أرض واسعة يبلاد اليمن زهاء ثلثة فرسخ في مثلها ، وهي ما بين الشعر
 إلى تخوم صنعاء .

(٣) طيبة : بلدة عند زرود . ويريد سفوح الجبال التي هناك .

(٤) الهبير : رمل قرب زرود بطريق مكة . وفي الأصل : « هبير » بتقديم الياء على الباء
 ولم نجد فيها راجعاً من الكتب .

(٥) البرجد : كساء غليظ من صوف أحمر . وقال بعضهم : هو كساء ضخم مخطط يصلح
 للخباء وغيره .

(٦) الخيصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٧) السيل من الثياب : الخلق البالي .

(٨) الأنواء : الأمطار ؛ الواحد نوء . وأصل النوء سقوط نجم في المغرب وطلوع
 نجم بجياله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى هذه
 الأنواء .

(٩) الأقط : شيء يتخذ من الخيض الفنى يطبخ ثم يترك حتى يعصل . وقيل : من
 اللبن الحليب .

المزابع وفشا الخِصْب ، وتَوَالَى النَّتَاج ، وأتصلت الميرة ، وصدق المصاب ^(١) وأرْفَعَ ^(٢) المنتجع ، وتلاقى القبائل على المحاضر ^(٣) ، وتقاوَلوا ^(٤) وتضايَفوا ، وتعاقدوا وتعاهدوا ، وتزاوروا وتناشدوا ؛ وعقدوا الذَّم ، ونطقوا بالحِكم ؛ وقرَوا الطُّرَاق ووصَلوا العُفاة ، وزَوَّدوا السَّابِلة ، وأرشدوا الضُّلال ، وقاموا بالحمالات ^(٥) وفكَّروا الأسرى ، وتَدَاعَوْا ^(٦) الجفلى ، وتعاَفوا النَّقْرى ، وتنافَسوا في أفعال المعروف ؛ هذا وهم في مساقط رهوسهم ، بين جبالهم ورمالمهم ، ومناشئ آبائهم وأجدادهم ، وموالدِ أهلهم وأولادهم ، على جاهليتهم الأولى والثانية ، وقد رأيت حين هبت ريحهم وأشرقت دولتهم بالدعوة ، وأنتشرت دعوتهم بالملَّة ، وعزَّت ملتهم بالنبوة ، وغلبت نبوتهم بالشرعية ، ورسخت شريعتهم بالخلافة ، ونُصِّرت خلاقهم بالسياسة الدنيوية والذنيوية ، كيف تحوَّلت جميع محاسن الأم إليهم وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم من غير أن طلبوها وكَدَحُوا ^(٧) في حيازتها أو تعبوا في تيلها ، بل جاءتهم ^(٨) هذه المناقبُ والمفاخر ، وهذه النوادرُ من المآثر عفوا ^(٩) ، وقطنت بين أطناب بيوتهم سهوا رهوا ^(١٠) ؛ وهكذا يكون كلُّ شيء

- (١) المصاب : المقصد . يريد المكان الذي يقصدونه للاتجاع ، من صاب يصوب إذا قصد .
(٢) أرفع له الماش : وسعه .
(٣) المحاضر : المناهل ، لحضور القبائل واجتماعها عليها ، الواحد محضر بفتح الميم والصاد .
(٤) « وتقاوَلوا » بالفين والزاي ؛ وهو تصحيف .
(٥) الحملات بفتح الحاء : الديات والفرامات يحملها قوم عن قوم .
(٦) تداعوا الجفلى ، أى دعا بعضهم بعضا إلى الطعام دعوة عامة لا تخصيص فيها .
والنقري : الدعوة الخاصة ، قال طرفة : (نعم في الشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الأدب فينا ينقصر) وتعاَفوا أى كرهوا ، من عاف الميء يافه .
(٧) « وقدحوا » بالفاء .
(٨) « جلتهم » .
(٩) « حقوا » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
(١٠) سهوا رهوا ، أى عفوا بلامشقة . يقال : أتاه هذا الأمر سهوا رهوا ، أى في سهولة ورفق .

تولاه الله بتوفيقه ، وساقه إلى أهله بتأييده ، وحلّى مستحقّيه بأختياره ؛ ولا غالب لأمر الله ، ولا مبدّل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . والله في خلقه أسرار ، تتصرف بها دوائر الليل والنهار ، وتذلّلها تجارى الأقدار ، حتى يُتَمَتَّى بمحبوبها ومكروهها إلى القرار .

عزّ إلها معبودا ، وجلّ ربّا محودا مقصودا . وبعد ، فالنبي لا شك فيه من وصف العرب ، ولا جاحد له من حالها ، أنه ليس على وجه الأرض جيلٌ من الناس ينزلون القفر ، وينتجعون السحابَ والقَطْرَ ؛ ويعالجون الإبلَ والحليل والنعم وغيرها ، ويستبدون في مصالحهم بكلّ ما عندهم ، وبكلّ ما قلّ وكثُر ، وبكل ما سهّل وعسّر ؛ ويرجون الخير من السماء في صَوْبِهَا^(١) ، ومن الأرض في نباتها ؛ مع مراعاة الأوان بعد الأوان ، وثقةً بالحال بعد الحال وتبصرةً فيما يُفَعَلُ ويُجْتَنَبُ ؛ ما للعرب فيما قدّمنا وصفه ، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخِصْبِ والجَدْبِ ، واللّين والقسوة ، والحرّ والبرّد ، والرياح المختلفة والسحابِ الكاذبة ، والمخايلِ الصادقة ، والأنواءِ المحمودةِ والمذمومة ، والأسبابِ القريبةِ العجيبة .

وهذا لأنهم مع توحّشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون ، فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسنُ المادات ، ومن أخلاق البادية أظهرُ الأخلاق . وهذا المعنى على هذا النظم قد عدمه أصحاب المُدُنِ وأربابُ العَصْرِ ، لأن الدناءة والرقة والكيس والهمين والخلافة والخداع والحيلة والمكر والخبّ تغلّب

(١) « صوتها » بالناء ؛ وهو تصحيف .

على هؤلاء وتمليكهم ، لأن مدارَ أمرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس^(١) ، والخلف في الوعد .

- (٤) والعرب قد قدّسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجبّلها على أشرف الأخلاق بقدرته ؛ ولهذا تجد أحدهم وهو في بَتٍ^(٢) حافيا حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالحمدة ، وينتحل النجدة ، ويحتمل الكلّ^(٣) ، ويضحك في وجه الضيف ويستقبله بالبشر ، ويقول : * أحذنه إن الحديث من القرى * ثم لا يقنع بيث الثرف وفعل الخير والصبر على النوائب حتى يحضّ الصغير والكبير على ذلك ويدعو إليه ، ويستنهضه نحوه ، ويكلفه مجهوده وعفوه .

وقد قيل لرجل منهم في يوم شاتٍ وهو يمشى في سَمَلٍ^(٤) : أما تجد البرد يا أخا العرب ؟ فقال : أمشى الخيزلي^(٥) ويكفيني حسبي . والفارسي لا يُحسِن هذا النمط ، ولا يذوق هذا المعنى ولا يحلم بهذه اللطيفة ؛ وكذلك الرومي والهندي وغيرهما من جميع العجم .

- (٥) ومما يدل على تحضرم في باديتهم ، وتبديهم في تحضرم ، وتحليلهم بأشرف أحوال الأسرى ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية ، مثل دومة^(٦) الجندل بقرى

(١) في الأصل : « الحسة » والناء زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « بيت » والياء زيادة من الناسخ . والبت : كساء غليظ من صوف

أو وبر .

(٣) الكل : الضعيف ؛ يقال هو يحمل الكل ، أي يمون الضعفاء الذين لا يستطيعون

الكسب ويقوم بأمرهم .

(٤) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٥) « الخيزلي » وهو تصحيف . والخيزلي : مشية فيها تتأقل وانكسك ، كالخوزلي .

(٦) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طى وبينها وبين دمشق

سبع مراحل ، وكانت منازل لسكناة من كلب .

كَلْبٌ^(١) وهي النصف بين العراق والشام ، كان ينزلها الناسُ أوَّلَ يومٍ من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء ، والأخذ والمطاء ؛ وكان يمشرون أكيدير^(٢) دومة ، وربما غلبت على السوق كلب فيمشرون^(٣) بمض رؤساء كلب ؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر^(٤) ، وهو المشقر^(٥) في شهر ربيع^(٦) الآخر ، فتقوم أسواقهم ؛ وكان يمشرون المنذر بن ساوي أحد بني عبد الله بن دارم ، ثم يرحلون نحو عُمان^(٧) ، فتقوم سوقهم بديار دبا^(٨) ، ثم بصحار^(٩) ، ثم يرحلون فينزلون إرم^(١٠) ، وقرى الشحر^(١١) فتقوم أسواقهم أيتاما ، ثم يرحلون فينزلون عدن أبين ، ومن سوق عدن تشتري اللطائم^(١٢) وأنواع الطيب ، ولم يكن في الأرض أكثر طيبا ، ولا أحذق صنفا للطيب من عدن ؛ ثم يرحلون فينزلون الرايبة من حضرموت ، ومنهم من

(١) في الأصل : « كليب » والياء زيادة من الناسخ .

(٢) أكيدير ، هو صاحب دومة الجندل .

(٣) يمشرون ، أي يأخذ منهم العشر .

(٤) مدينة هجر : قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . قال ياقوت :

وهو الصواب .

(٥) المشقر : حصن بالبحرين قديم كان لعبد القيس على حصنا لم آخر يقال له : الصفا

قبل مدينة هجر .

(٦) ذكر صاحب بلوغ الأرب أن هذه السوق كانت تقوم في أول يوم من جادى الآخرة .

(٧) عمان : كورة عربية على ساحل البحر ، وهي في شرق هجر .

(٨) في الأصل : « دبا » وهو تحريف . قال ياقوت : « دبا سوق من أسواق العرب

بهمان ، وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديما

قصبية عمان » .

(٩) صحار : بلدة بهمان كانت فيما مضى قصبية هذه الكورة ، وهي على البحر وتلى الجبل .

(١٠) إرم : فلاة قرب عدن كما في كتاب صفة جزيرة العرب .

(١١) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن وعمان .

(١٢) اللطائم : نوافج المسك ، أي سرره ، الواحد لطيمة .

يجوزها ويرد صنعاء ، فتقوم أسواقهم بها ، ومنها كانت تُجلب آلة الخرز والأدم والبرود ، وكانت تُجلب إليها من معافر^(١) ، وهي معدن البرود والخبر^(٢) ثم يرحلون إلى عكاظ وذى المجاز في الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون ، ومن له أسير يسمى في فدائه ، ومن له حكومة أرتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم ، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ؛ ثم يقفون برفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ؛ ثم يتوجهون إلى أوطانهم . وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة ، فيحضرها من قُرب من العرب ومن بَدُ . هذا حديثهم ، وهم همّل لا عنّ لهم إلا بالسؤدد ، ولا تعقل لهم إلا السيف ، ولا حصون إلا الخليل ، ولا غفر إلا بالبلاغة .

(٦) ثم لما ملكوا الثور والقصور والجنان والأودية والأنهار والمعادن والقلاع والمدن والبلدان والسهل والجبل والبر والبحر ، لم يعمدوا عن شأو^(٣) من تقدم بألاف سنين ، ولم يعجزوا عن شيء كان لهم ؛ بل أبرؤوا عليهم وزادوا ، وأغربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ؛ ليس إلى مرده سبيل ولا لجاحده^(٤) ومنكره دليل .

فليستحي الجياني^(٥) بعد هذا البيان والكشف والإيضاح ، بالإيضاف من التذع والسفه اللذين حشا بهما كتابه ، ويرفع نفسه عما يشين العقل ، ولا تقبله حكّام العدل ؛ وصاحب العلم الرصين ، والأدب المسكين ؛ لا يسلط

(١) في الأصل : « معافر » والياء زيادة من الناسخ . ومعافر : خلاف باليمن تنسب إليه الثياب المعافرية .

(٢) في الأصل : « والخبر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : شا « و » والصواب ما أثبتنا .

(٤) « مجاحدة » ؛ وهو تحريف

(٥) في الأصل : « الجاني » .

خصته على عرضه بلسانه ، ولا يستدعى مرّ الجواب بتعرضه ويرضى بالميسور في غالب أمره ؛ فإن المصيبة في الحق ربما خذلت صاحبها وأسلمته ؛ وأبدت عورته ، واجتلبت مسأته^(١) ؛ فكيف إذا كانت في الباطل ونعوذ بالله أن نكون لفضل أمة من الأمم جاحدين ، كما نعوذ به أن نكون بنقص أمة من الأمم جاهلين . فإن جاحد الحق يدل من نفسه على مهانة ، وجاهل النقص يدل من نفسه على قصور ؛ فهذا هذا ؛ وفي الجملة المسلمة ، والدعوة المرسلّة ، أن أهل البرّ وأصحاب الصّحارى الذين وطاؤم الأرض ، وغطّأوم السماء ، هم في المدد أكثر وعلى بسيط الأرض أجول ، ومن الترفه والرفاهية أبعد ، وبالحول والقوة أعلق وإلى التكره والنطنة أفرع^(٢) ، وعلى المصالح والمنافع أوقع ، ومن التخازى آنف والقبائح أعيف ؛ وهذا للدواعى الظاهرة ، والحاجات^(٣) الضرورية ، والملائق الحاضرة^(٤) على الألفة والمودة ، والشدائد المؤذية ، والموارض اللازبة^(٥) ؛ ولهذا يقال : عيب الغنى أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة ؛ وهذا معنى كريم ، لا يُقرّ به إلا كلُّ نقاب عليم .

(٢) وقال الجيهاني أيضا : مما يدل على شرفنا وتقدّمنا وعزّنا وعلو مكاننا ، أن الله أفاض علينا النعم ، ووسّع لدينا القسّم وبوأنا الجنان والأرياف ، ونعمنا وأترّفنا . ولم يفعل هذا بالعرب ، بل أشقّام^(٦) وعذبهم ، وضيق عليهم وحرّمهم ،

(١) « ماته » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « أفرع » .

(٣) في الأصل : « والى الحاجات » وقوله « إلى » زيادة من الناسخ .

(٤) في الأصل : « الحاضرة » والراء زيادة من الناسخ .

(٥) اللازبة ، أى التاجية الشديدة .

(٦) « سقام » .

وَجَمَعَهُمْ فِي جَزِيرَةِ حَرَجَةَ ، وَرُقْمَةَ صَغِيرَةَ ، وَسَقَامَ^(١) بَارْتَقَ ضَاحِرٌ ؛ وَبِهَذَا يُعْمَ أَنْ الْخُصُوصَ بِالنِّعْمَةِ وَالْمَقْصُودَ بِالنِّكْرَامَةِ فَوْقَ الْمَقْصُودِ بِالْإِهَانَةِ .

فَأَطَالَ هَذَا الْبَابَ بِمَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِشَيْءٍ لَا جَوَابَ عَنْهُ ، وَلَا مَقَابِلَ لَهُ ؛ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لِمَا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ وَتَجَلَّى لَهُ ، بَلْ قَدْ خَصَّتِ الْعَرَبُ بَعْدَ هَذَا بِأَشْيَاءٍ تَطُولُ حَسْرَةُ^(٢) مَنْ فَاتَتْهُ عَلَيْهَا ، وَلَا يَفِيدُ أَلْفَاتُهُ بِالنَّبِيْظِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ دَلَّ كَلَامُهُ عَلَى أَنَّهُ جَاهِلٌ بِالنِّعْمَةِ ، غَافِلٌ عَمَّا هُوَ سَرُّ الْحِكْمَةِ .

وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا لَبَسَ الثَّوْبَ النَّاعِمَ ، وَأَكَلَ الْخَبِيزَ الْخَوَّارِيَّ^(٣) وَرَكِبَ الْجَوَادَ ، وَتَقَلَّبَ عَلَى الْحَشِيَّةِ ، وَشَرِبَ الرَّحِيقَ ، وَبَاشَرَ الْحَسَنَاءَ ، هُوَ أَشْرَفُ مِنَ الْعَالِمِ إِذَا لَبَسَ الْأَطْيَارَ ، وَطَعِمَ الْعُشْبَ ، وَشَرِبَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، وَتَوَسَّدَ الْأَرْضَ ، وَقَنَّعَ بِالْيَسِيرِ وَرَخِيَ الْمَيْشَ ، وَسَلَا عَنِ الْفُضُولِ ؛ هَذَا خَطَأٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَرْدُودٌ مِنَ الْحُكْمِ ، عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَا ، ثُمَّ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحِجَابِ ، وَأَصْحَابِ التَّقَى وَالنَّهْيِ ؛ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ أَيْضًا أَنَّ الْبَصِيرَ أَشْرَفُ مِنَ الْأَعْمَى ، وَالغَنَى أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ .

أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْعَقْلِ الَّذِي مَنَ حُرْمِهِ فَهُوَ أَنْقَصُ مِنْ كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعَلَى الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ عَرِيٍّ مِنْهُ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ كُلِّ مُوسِرٍ ؛ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى صُرَبِينَ : أَحَدُ الضَّرْبَيْنِ عَمَّ بِهِ عِبَادَهُ ، وَغَمْرٌ بِفَضْلِهِ خَلِيقَتَهُ ، بَدَأَ بِهَا أَسْتَحْقَاقَ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ وَرَزَقَ وَكَفَلَ وَحَفِظَ وَنَعَشَ وَكَلَأَ وَحَرَسَ وَأَمَهَّلَ وَأَفْضَلَ وَوَهَّبَ وَأَجْرَلَ ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَدْلُ الْخَلُوطُ بِالْإِحْسَانِ ، وَالتَّسْوِيَةُ الْعَمُومَةُ بِالتَّفَضُّلِ

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل ساقطاً منها الحرف الأخير ، وهو القاف ، وأرتق ، أي أكدر من رتق الماء من باب نصر وفرح إذا كدر . وضاح ، أي متعرض للشمس .

(٢) « حره » .

(٣) الحوارى : لباب الدقيق وخالصة .

والقدرةُ المشتملةُ على الحكمة ؛ والضرب الثاني هو الذي يُستحقُّ بالعمل والأجتهاد والسعي والأرتياد ، والأختبار والأعتقاد ؛ ليكون جزاءً وثواباً ، ولهذا حَرَّمَ العاميَ الخائف ، وأثال الطائع الموافق ؛ ففسد بان الآن أن المدار ليس بالجنان والترفة ، ولا بالذهب والفضة ، ولا الوبر والتدر .

وقد مرَّ (١) هذا الكلام كله فليسكن من الجبهاني جأشه ، وليفارق طيشه ؛ وليعلم أن من أنصف أعطى بيده ، وسلم الفضل لأهله ؛ فإن التواضع للحق رفعة والترفع بالباطل ضمة (٢) .

(٨) وههنا بقيةُ ينبغي أن يُتبصر فيها ؛ من عرف النقص البحث ، والنقص المشوب بالزيادة ؛ والفضل الصَّرف ، والفضل المزوج بالنقيصة لم يجحد بالهوى الثغوى فضلاً ، ولم يدع للمصيبة المرديَّة شرقاً ، ولم يُنكر بالحسد مزنيَّة ؛ والعَلق كلُّهم في نعم الله تعالى مشتركون ، وفي أياديهم مضموسون وبمواهبه متفاضلون ، وعلى قدرته متصرفون ؛ وإلى مشيئته صائرون ، وعن حكمتهم مخبرون ، ولآلائه ذاكرون ، ولنعمائه شاكرون ، ولأياديهم ناشرون ، وعلى اختلاف قضائه صابرون ، ولثوابه بالحسنات مستحقون ، ولعقابه بالسيئات مستوجبون ، ولعفوه برحمته منتظرون ، والله خيرٌ بما يعملون ، وبصير بما يُسرون وما يُعملون مع الجماعة ، وأبو سليمان يقول : القرب (٣) أذهب مع صفو العقل ؛ ولذلك هم (٤) بذكر المحاسن أبده ، وعن أصدادها أنزه . ولو كانت رؤيتهم في وزن بديتهم ، كان الكمال ؛ ولكن لما عزَّ الكمالُ فيهم ، عزَّ

(١) « وقدم » .

(٢) « ضمة » .

(٣) « كقرب » .

(٤) في الأصل : « لهم » واللام زيادة من الناسخ .

أيضا^(١) في غيرهم من الأمم ، فالأمم كلها شرعٌ واحد في عدم الكمال إلا أنهم متفاضلون بعد هذا فيما نالوه بالخَلقة الأولى ، وبالأختيار الثاني ؛ وأختلفت أبصارهم في هذا الموضع ، فأما ما مُنِعَ الإنسانُ في الأول فلا عتب عليه فيه ، لأنه لا يقال للأعمى : لِمَ لا تكون بصيرا ، ولا يقال للطويل : لِمَ لا تكون قصيرا وقد يقال للقصير : سَدِّدْ طَرَفَكَ ، وأكْحِلْ عَيْنَكَ ، ومُدِّ^(٢) ناظِرَكَ ؛ كما يقال للطويل : تَطَامَنْ ، في هذا الزُّفَاقِ حتى تَدْخُلَ ، وتَقَاصِرَ حتى تَصِلَ ؛ وأما ما لم يُمنِعْهُ الإنسانُ في الأول ، بل أُعْطِيَهِ وَوُهِّبَ لَهُ ، فهو فيه مَطَّابٌ بما عليه وله كما أنه مَطَّابٌ بما له وعليه .

(٩) وقال الجبهياني أيضا : ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقى ولا كتاب الفلاحة ، ولا الطب ولا العلاج ، ولا ما يجري في مصالح الأبدان ، ويدخل في خواص الأنفس .

فليعلم الجبهياني أن هذا كله لهم بنوع إلهي لا بنوع بشري ، كما أن هذا كله لغيرهم بنوع بشري لا بنوع إلهي ، وأعني بالإلهي والبشري الطباعي والصناعي ؛ على أن الإلهي^(٣) هؤلاء قد مازجه بشري هؤلاء ، وبشري هؤلاء قد شابه إلهي هؤلاء ؛ ولو علم هذا الزاري لعلم أن المجسطي وما ذكره ليس للفرس أيضا ، وما عندي أنه مكابر فيدعي هذا لهم . فإن قال : هو لليونان ، ويونان من العجم ، والفرس من العجم ، فأنا أخرج^(٤) هذه الفضيلة من العجم إلى العجم فهذا منه حيف على نفسه ، وشهادة على تقصه ؛ لأنه لو فآخر يونان لم يستطع أن

(١) رسمت هذه العبارة في الأصل هكذا : « عزا يضا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وقد » بالثاف ؛ وهو تحريف وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) في الأصل : « للهي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « أخرج » ؛ وهو تصحيف .

يدعى هذا للفُرس ، ولا يمكنه أن يقول : نحن أيضا عجم ، وفضيلتكم في هذه الكتب والصناعة متصلة بنا ، وراجمة إلينا . ومتى قال جُبِهَ^(١) بالمكروه وقوبل بالقَدْح^(٢) ، وقيل له : صد ،^(٣) كما يقال للجاهل — إن لم تقل له : « أخسأ » ، كما يقال — في كل^(٤) الأحاديث ، وإن أغفلته^(٥) ظلمتُ نفسي ؛ ومن حابي خصمه غلب .

(١٠) قال القاضي أبو حامد المروروذى^(٦) : لو كانت الفضائل كلها بمقدِّها وسمِّعها ، ونظِّمها ونثرها ، مجموعة للفُرس ، ومصبوبة على أروسهم ، ومعلقة بأذانهم ، وظالمة من جباههم ؛ لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها ، وأن يخرسوا عن دِقِّها وجِأها ، مع نيكهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كرية بالطباع ، وضعيف بالسماع ، ومردود عند كل ذى فِطرة سليمة ، ومستبشع في نفس كل من له جِبَّة^(٧) معتدلة . قال : ومن تمام طغيانهم ، وشدة بهتانهم ، أنهم زعموا أن هذا يأذن من الله تعالى ، وبشريعة أتت من عند الله ، والله تعالى حرَّم الخبائث من المطاعم فكيف حلَّ^(٨) الخبائث من المنكوحات ؟

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الباء والماء والسياق يقتضى ما أئبنا .

(٢) القدح : الشتم والرمى بالفحش وسوء القول .

(٣) في الأصل : « تأكل » وهي زيادة لا معنى لها .

(٤) في « كل » وهو تحريف لا يستقيم معناه .

(٥) « أغفلته » بالمعنى والقاف ؛ وهو تصحيف .

(٦) هو القاضي أبو حامد أحمد بن بشر البصرى المروروذى ، كان عالما بفنون العلوم الدينية والأدبية . قال فيه أبو حيان : « كان بحرا يتدفق حفظا للسير ، وقياما بالأخبار ، واستنباطا للبعان ، وثباتا على الجدل وصبرا في الحصام » . وكان يقول فيه : « إنه أنبل من رأيت في عمرى » . توفي سنة ٣٦٢ .

(٧) « لكيم » ؛ وهو تحريف لا معنى له ، وسياق الكلام يقتضى إثبات ما يفيد معنى

الجليلة كما أئبنا وإن كان بيّداً عن الرسم الموجود في الأصل .

(٨) « على » .

قال : وكذب القوم ، لم يكن زرادشت نبيا ، ولو كان نبيا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مُبَلِّغٍ عنه . وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة التلك الذي قبل ذلك منه وحمل الناس عليه طوعا وكرها ، وترغيبا وترهيبا ؛ وكيف يبعث الله نبيا يدعو إلى الإهين أثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل ، وما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للمُحِقِّ والباطل للمُبْطِلِ ؛ ولو كان شرعا لكان ذلك شائعا عند أهل الكتابين ، أعنى اليهود والنصارى ؛ وكذلك عند الصابئين ، وهم كانوا أكثر الناس عناية بالآديان والبحث عنها ، والتوصل إلى معرفة حقائقها ، ليكونوا من دينهم على ثقة ؛ فكيف صارت النصارى تعرف عيسى ، واليهود تعرف موسى ؛ ومحمد — صلى الله عليه وسلم — يذكرها ويذكر غيرها ، كداود وسليمان ويحيى وزكريا ، وغير هؤلاء ، ولا يذكر زرادشت بالنبوة وأنه جاء من عند الله تعالى بالصدق والحق كما جاء موسى وعيسى^(١) لكنني بُعثتُ ناسخا لكل شريعة ، ومجددا لشريعة خصى الله بها من بين العرب .

قال : وهذا بيان نافع في كذبهم ؛ وإنما جاءوا إلى وهي فرقومه ، وإلى حرام بللعقل فأباحوه ، وإلى خبيثٍ بالطبع فارتكبوه وإلى قبيحٍ في العادة فاستحسنوه . وقد وجدنا في البهائم ما إذا أنزى الفحل منها على أمه لم يطاوع ، وإذا أكره وخُدع وعرف غضب على أهله وندَّ عنهم ، وشرَّ ر عليهم ؛ فما تقول في خلقٍ لا ترضاه البهيمة ، ولا تطاوعه^(٢) فيه الطبيعة ، بل ياباه حسه مع كُلوله^(٣)

(١) يلاحظ أن موضع هذه النقط كلام ساقط من الأصل فيما يظهر لنا .

(٢) تطاوعه ، أى تطاوع الفحل .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « ككوكه » ؛ وهو تعريف .

وتبرُد شهوته مع اشتغالها ، ويرضاه هؤلاء القوم مع عجبهم بمقولهم ، وكبيرهم في أنفسهم .

ولو كان زرادشت أقام لهم على هذه الحصلة اللثيمة والفعلة الذميمة كل آية وكل برهان ، ونثر عليهم نجوم السماء ، وأطلع لهم الشمس من المغرب ، وقتت لهم الجبال ، وغَيِّض لهم البحار ، وأراهم الثريا تمشي على الأرض تحترق السكك وتشهد له بالصدق ، لكان من الواجب بالعقل والنيرة والحكمة وبالأنفة وبالتعزز وبالتعزز ألا يجيبوه إلى ذلك ، ويشكوا في كل آية يرون منه ، ويقتلوه ، ويُنكّلوا به .

ولكن يمثّل هذا العقل قبلوا من مزدك ما قبلوه مرّة ، ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مزدك ما كان الأمر إلا واحداً ، ولا كان الحق إلا منصورا ، ولا كان الباطل إلا مقهورا ، ولكن أتفق على مزدك ملك عاقل فوضع باطله ، واتفق لزرادشت ملك ركيك فرفع باطله ؛ وما نزع الله عنهم الملك إلا بالحق ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) . ثم قال : وبعد ، فكل شيء خارج من الحكمة الإلهية والمقلية والطبيعية فهو ساقط بهرج ، ومردود مردول ، إذا فعله جاهل عذر بالجهل ، وإذا أتاه عالم عذر للعلم .

قال : وكانت العرب بهذا الخلق الذميم ، وهذا الفعل اللثيم ، لو فعلته أعذر ، لأنهم أشد غلّة من غيرهم وأكثر تهيجا ، وأقوى على البضاع ، وأوثب على النساء يدلك على هذا غزلهم وعشقهم ونظمهم ونثرهم وفراغهم وشهوتهم ، وترام مع هذه الدواعي والبواعث لم يستحسنوا هذا ولم يفعلوه ، ولو أكرههم على هذا مكروه ودعاهم إليه داع لما أطاعوه ، ولذلك لم يتنجس منهم ناسم بالحيلة

فدعا إلى هذا ؛ ولو كان لكان أولَ نَدَقِ رأسه بالعَدَد ، ويُعجج بطئهِ
بالخنجِر ؛ وما منعهم من هذا إلا الأُنس الكريمة ، والطباع الممتدلة ، والشكائم
الشديدة ، والأرواح العيِّفة ، والمعادات الرضيّة ، والضرائب الطيِّبة ؛ وكان
وأد البنات عندهم أنقى للتعابير ، وأطرَدَ للقبائح من هذا الذي أستحسسه
زرادشت وقيل منه الفرس ، وهم يدعون الحُكْم والعِلْم والعَزْم والعزم ، ولقرط
جهلهم وغلبة شهوتهم غفلوا عما يجوز أن يكون الله سبحانه مبيحا له أو حائرا ،
أو مطلقا أو مانعا ، أو محلا أو محرّما ؛ هيات ما كلف الله أهل العقل التيام
بالدين والتصفّح للحق^(١) من الباطل إلا لما شرّفهم به في العاجل ، وعرضهم
له في الآجل ؛ والمأقبة للمتقين .

قال أبو الحسن الأنصاري^(٢) — وكان حاضرا — الهند أوضح عذرا في هذا
الحديث لأنهم جعلوه من باب القربة في بيوت الأصنام ، وبلغوا مرادهم بهذه
الخدیعة ، ولم ينسبوا إلى الله شيئا منه ، ولا أستجازوا الكذب عليه ، ولا
علّقوه أيضا على نبيّ من عند الله ، بل رأوه صوابا بالوضع^(٣) ثم طابت أنفسهم
من هذا الفعل بالمران والمادة . وبعد ؛ فمقولهم مدخولة ، والبارع منهم قليل ، وهم
إلى الإفك^(٤) والوهم والسحر أميل ، وفي أبوابها أدخل ؛ ثم قال أبو الحسن : انظر
إلى جهل زرادشت في هذا الحُكْم وإلى ضعف عقول الفرس في قبولهم منه هذا

(١) « بالحق » بالباء ، والسياق يقتضى اللام كما أثبتنا .

(٢) كُننا بالأصل ولله الأنطاكى ، فإننا لم نجد قيا بين أيدينا من الكتب من يلقب
بالأنصاري . وأبو الحسن الأنطاكى هو أبو القاسم علي بن أحمد أصله من أنطاكية ونزل بغداد ،
وكان مهندسا حاسبا له مشاركة في علوم الأوائل مع فصاحة لسانه وعذوبة بيانه . مات ببغداد
سنة ٣٧٦ .

(٣) « لوضع » ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) « الفكر » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

العمل ، وخيّرَ بينها وبين عقول العرب ، فإنهم قالوا : « اغتربوا لا تُضَوُّوا^(١) » .
 وأستفاض هذا منهم حتى سُمِعَ من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، وذلك
 أن الضوى مكروه ؛ والعرب قالت هذا بالإلهام ، لقراءتهم الصافية ، وأذهانهم
 الواقدة ، وطنيتهم الحرّة ، وأعرافهم الكريمة ، وعاداتهم السليمة : وإنما شعروا
 بهذا لأن الضوى الواصل إلى الأبدان هو سار في العقول ، ولكن الفرس عن
 هذا السرّ غافلون ، ولا يفطن لهذا وأمثاله إلا الأملعيون الأحمديون^(٢) ؛ ثم قال :
 أنشد الأحمى عن العرب قولَ قائلهم في مدح صاحب له :

فنى لم تلده بنت عمّ قريبةً قيصوى وقد يَصَوَّى رديد الأقرابِ

قال : وقالت العرب : « أضواء حقّه » : إذا نقصه . قال : وقال آخر لولده :
 والله لقد كفيتك الضؤولة ، وأخترت لك الخؤولة .

وقال أيضا : العرب تقول : « ليس أضوى من القرائب ، ولا أنجب من

القرائب » وقال الشاعر :

أنذرت من كان بعيد الممّ تزويج أولاد بنات الممّ
 ليس بناج من ضوى أو ستمم وأنت إن أطعمته لا ينجي
 وقال الأمدى يفتخر :

ولست^(٣) بضوى تموج عظامه ولادته في خالد بمسد خالد
 تردّد^(٤) حتى عمه خال أمه إلى نسب أدنى من السرواحد

(١) اغتربوا لا تضؤوا ، أى تزوجوا في بباد الأنساب لا في الأقارب لثلاثى أولادكم
 أى تنحف وتضمف .

(٢) الأحمدي : الحاذق المشير للأمور القاهر لها لا يشذ عليه شيء . وفى الأساس :
 « رجل أحمدي » : يسوق الأمور أحسن مساق لمله بها .

(٣) فى الأصل : « وكنت » ، وهو تحريف ؛ ومقام الفخر يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « تردده » والهاء زيادة من الناسخ .

ثم قال : والعرب لم تُرد بهذا إلا نقص الذهن والعقل ، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة ، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة .
ثم قال : وعلى هذا طباع الأرض ، ولذلك يقال : إذا كثرت المؤتفكات^(١) زكت الأرض ، لأنّ الرياح إذا أختلفت حولت تراب أرض إلى أرض ، وإذا كان الأغرّاب يؤثّر من التراب إلى التراب ، فبالجرى^(٢) أن يؤثّر^(٣) الإنسان في الإنسان بالأغرّاب ، لأن الإنسان أيضا من التراب .

قال أبو حامد : فما ظنّك بقوم يجهلون آثار الطبيعة ، وأسرار الشريعة^(٤) ؟ ما أذّتهم الله باطلا ، ولا سلبهم ملكهم ظلما ، ولا ضربهم بالجرى والمهانة إلا جزاء على سيرتهم القبيحة ، وكذبهم على الله بالجرأة والمكابرة ، وما الله بظلام للعبيد .

فما بلغ القول مداه قال^(٥) : لله^(٦) [دَرٌّ]^(٧) هذا النَّفس الطويل والنَّفث^(٨) الغزير ! لقد كنتُ قَرِما إلى هذا النوع من الكلام ، ففرغَ نَسكٍ لرسمه في جزءٍ لأنظر فيه ، وأشربَ النفسَ حلاوته ، وأستنحجَ العقيمَ منه ؛ فإنّ الكلام إذا مرّ بالسمع حلق ، وإذا شارفَه البصر بالقراءة من كتاب أسف ؛ والمخلّق بعيد المتعال ، والمُسِفّ حاضر العين ، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ

(١) المؤتفكات : الرياح التي تهب الأرض ؛ أو التي تختلف مهاجها .

(٢) في الأصل : « فيه لجرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل : « يوحش » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد في الأصل بعد قوله : « الفريضة » قوله « من الفريضة » وهي زيادة من

الناسخ لا تتسق مع الكلام .

(٥) أي الوزير .

(٦) « الله » والألف زيادة من الناسخ .

(٧) موضع هذه الكلمة في الأصل حرفان مطموسان ؛ وسباق الجملة يقتضى ما أثبتنا .

تذكر منه الشيء بعد الشيء باليوم الذي لا أنقاده ، والخيال الذي لا مرجح عليه . فقلت : أفضل سامعا مطيعا — إن شاء الله — .

الليلة السابعة

(١) ولما عدتُ إليه في مجلس آخر ، قال : سمعتُ صياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، فقيم كنتما ؟ قلتُ : كان يذكر أن كتابة الحساب أرفعُ وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه أحوج ، وهوبها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جد ، والأخرى هنل ؛ ألا ترى أن التشادق والتفهيق والكذب والخداع فيها أكثر ؛ وليس كذلك الحسابُ والتحصيل والأستدراك والتفصيل . قال : وبعد هذا فتلك صناعةٌ معروفةٌ بالمبدأ ، موصولةٌ بالناية ، حاضرة الجدوى ، سريعة المنفعة ؛ والبلاغة زخرقة وحيلة ، وهي شبيهة بالتراب ، كما أن الأخرى شبيهة بالماء . قال : ومن خسارة البلاغة أن أصحابها يُسترقعون ويُستحمقون ؛ وكان الكتاب قديما في دور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعة النشئين ، وحقاقه المعلمين ، وركاكة النحويين ، والنشئ^١ والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا لعلات ؛ والآفة تشملهم والمادة تجمهم ، والنقص يغرهم ، وإن أختلفت منازلهم ، وتباينت أحوالهم قال : ولولم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن الملكة العريضة الواسعة يُكتنق فيها بمنشئ واحد ، ولا يُكتنق فيها بمائة كاتب حساب (١) وإذا كانت الحاجةُ إلى هذه أمتس ، كانت الأخرى في نفسها أحسن ؛ وبعد ، فصالح أحوال

(١) لم يرد جواب « لو » للمعلم به ، أي لكن كتابة الحساب غرا على كتابة الإنشاء ، أو ما يفيد هذا المعنى .

العامة والخاصة معلقة بالحساب ؛ على هذه الجديلة^(١) والوتيرة يجري الصغار والكبار والعلية والسفلة ، وما زال أهل الحزم والتجارب يحثون أولادهم ومن لهم به عناية على تعلم الحساب ، ويقولون لهم : هو سلة الخبز . وهذا كلام مستفيض ؛ ومن عبر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأهم غيره ، وبلغ به إرادته ، وأبلغ غيره ، فقد كفى ؛ والزائد على الكفاية فضل والفضل يُستغنى عنه كثيرا ، والأصل يُفتقر إليه شديدا ، قال : ومن آفات هذه الكتابة أن أصحابها يُقرّون بالريبة ، ويرمون بالآفة ، كآل الحسن بن^(٢) وهب وآل ابن ثوابة . قال : هذه ملحمة منكّرة ؛ فما كان من الجواب ؟

قلتُ : ما قام من مجلسه إلا بعد النلّ والقماء ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وأنتحل الباطل ونصر البطل ، وأبطل الحق وزرى على الحق . قلت : أيها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائنة من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة^(٣) . فأما وهي متصلة بها وداخلة في جملتها ومشملة عليها وحاوية لها ، فكيف يطرد حُكْمُك وتسلم دعواك ؟ ألا^(٤) تعلم أن أعمال

(١) الجديلة : الشاكلة ؛ يقال : عمل على جديلته ، أى على شاكلته .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى ما فعله الواثق بالله مع الحسن بن وهب كاتبه ، فقد حبسه وأغرّمه أربعة عشر ألف دينار ، كما حبس كتابا آخرين وقبض منهم أموالا جمّة ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائتين . وإلى نكبة أبي الهيثم بن ثوابة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فقد حبس حتى مات في حبسه بالكوفة بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران أموالا جزيلة لنفسه والسلطان . ويقال : إنه احتال على قتله خفية أن يقر عليه بما أخذ منه .

(٣) المؤامرة : عمل تجميع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجميع جميع ما يحتاج إليه من استئثار واستدعاء توقيع .

(٤) في الأصل : « الا أن تعلم » « وأن » زيادة من الناسخ .

الدواوين التي يتفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصنفونه ويتعاملونه ؛ بل لاسبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان للكشوف والأحتجاج الواضح ، وذلك يوجد من الكاتب المنشي الذي عبته وعرضته^(١) ، وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ؛ وأنا أحصيها لك كي تعلم أنك غلط وعن الصواب فيها منحرف .

فنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان الفس^(٢) ، وديوان النقد والعيار ودور الضرب ، وديوان النظام وديوان الشرطة والأحداث ؛ هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين^(٣) والمؤامرات ، وباب النوادر^(٤) والتواريخ ، وإدارة الكتب ومجالس الديوان وقبل وبعد ، كما^(٥) يلزم كاتب الحساب أن يعرف وجوه الأموال^(٦) حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعماله فيها ، فلا يمكنه^(٧) أن يجي^(٨) إلا بالكتب البليغة والحجج اللازمة واللطائف المستعملة ، ومن تلك الوجوه التي ، وهو أرض الصنوة وأرض الصلح وإحياء الأرض والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع

(١) يقال : عبه بلسانه ، إذا تناوله بمكروه الكلام .

(٢) في الأصل : « الفس » بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف ، والمراد بالفس : فس الكتب المحتومة .

(٣) يريد بالعين : خراج العين ، وهو ما يقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقايئ ويستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف . وكان هذا في البلاد الشامية . انظر الجزء الثامن من نهاية الأرب ص ٢٦١ طبع دار الكتب المصرية .

(٤) لعل صوابه : « التقادير » أي تقادير ما تخرجه الأرض من غلة .

(٥) « فا » .

(٦) في الأصل : « الأعمال » وهو خطأ من الناسخ ؛ و لعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله

جد : « حتى إذا جباها » .

(٧) في الأصل : « فيمكنه » . والسياق يقتضى زيادة « لا » النافية .

(٨) « يجي » .

وجزية رءوس أهل الذمة وصدقات الإبل والبقر والغنم وأخماس الفنائم والمعادن والركاز^(١) والمال المدفون ، وما يخرج من البحر وما يؤخذ من التجار إذا مروا بالماشر^(٢) والألقطة والضالة وميراث من لا وارث له ومال^(٣) الصدقة ؛ إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المكاتبات البالصة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية ، كعهد يُنشأ في إصلاح البريد وتقسيم الشرب ، وكتاب في العبارة وإعادة ما نقص منها ، وفي^(٤) حَزْرِ الفلّة^(٥) والدياس^(٦) ، وفي الدوالي والدواليب والفرافات ، وفي القلب والتسمة ، وفي تقدير الخصر^(٧) المبكرة وفي المساحة وفي الطراز^(٨) ، وفي الجوالي^(٩) ، وفي قبض فرائض الصدقات ، وفي افتتاح الخزانات ، إلى غير ذلك من كُتُب^(١٠) المحاسبين .

فإن قلت : « هذا كله مستغنى عنه » كبرت وبهت ، لأن مدار المال ودوره ، وزيادته ووفوره على هذه الدواوين التي إما أن يكون حظّ البلاغة فيها أكثر ، وإما أن يكون أثر الحساب فيها أظهر ، وإما أن يتكافأ ؛ فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملا ، ولا لأسمه مستحقا ، إلا بعد أن ينهض

(١) الركاز ، هو دفين الجاهلية من الأموال .

(٢) الماشر ، هو الذي يأخذ منهم عشر ما معهم .

(٣) « وفي مال » .

(٤) في الأصل « في » ب سقوط واو المطف ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) في الأصل « حرز السلم » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا يستقيم معناه ؛ والصواب

ما أثبتنا . والحزر : التقدير بالظن .

(٦) دياس الحنطة ؛ دراستها .

(٧) « الحصر » .

(٨) الطراز : مقسم الماء في النهر كما ذكره . صاحب مفاتيح العلوم في الكلام على مصطلح

كتاب ديوان الماء . ثم قال : وتسمى مقاسم المياه في بلاد ما وراء النهر : السرقات والمزقات .

(٩) يريد بالجوالي : مال الجوالي ، وهو الجزية المضروبة على أهل الذمة ، والجوالي هم الذين

جلوا عن أوطانهم .

(١٠) « كسوة » .

بهذه الأتقال ، ويجمع إليها أصولاً من الفقه مخلوطة ^(١) بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سمته ^(٢) فيها ، وأخباراً كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عُدّة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والآيات النادرة ؛ والفقر البديعة ؛ والتجارب المهودة ، والمجالس للشهود ، مع خطّ كتبر مسبوك ، ولفظ كوشى تحوك ؛ ولهذا عنّ الكامل في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نظنّ أنّه أجمع هذا كله إلاّ الجعفر بن يحيى فإنّ كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سعبائية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ^(٣) ، وشماله عراقية ؛ أفلا ترى كيف غرق الحساب في غمار هذه الأبواب ؟ ثم اعلم أنّ البليغ مُستلَب بلاغته من العقل ، وما أخذ فيها من التمييز الصحيح ، وليس كذلك الحساب في متناوله [فلو ^(٤)] ظنّ ظانّ بأن مدار الملك على الحساب — [فهو ^(٥)] صحيح — ولكن بعد بلاغة النشئ ، لأنّ السلطان يأمر وينهى ويلطف ويخاطب ويحتج وينصف ويوعد ويعد ويضمن ويمنى ويملّق الأمل ويؤكّد الرجاء ويحسم المادّة الضارة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويحبّبهم مرارة الجور ، ثم يجيى ، فإذا جى احتاج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالماً ، ثمّ يتقدّم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمناً ، فانظر إلى المزلتين كيف اختلفتا ؟ وكيف حصلت المزية لإحدهما ؛ ولو أنصفت لعلت أنّ الصناعة جامعة بين الأمرين ، أعنى الحساب والبلاغة ؛ والإنسان لا يأتى إلى صناعة فيشقّها نصفين ويشرّف ^(٥) أحد النصفين على الآخر .

(١) « مخلوطة » .

(٢) إلى سمته فيها ، أى إلى تبره في فهمها .

(٣) « عقلية » .

(٤) هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم ليستا بالأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتهما أو

إثبات ما يؤدّى معناهما .

(٥) « يسرف » .

وأما قولك : « إحدى الصناعتين هزلٌ والأخرى جدٌ » فبئسما سؤلتَ لك نفسك على البلاغة ، هي الجدُّ ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنها تُحقِّقُ الحقَّ وتُبطلُ الباطلَ على ما يجب أن يكون الأمرُ عليه ؛ ثم تحقيق الباطل وإبطال الحقِّ لأغراض تختلف ، وأغراض تأتلف ، وأمورٍ لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خيرٍ وشرٍّ ، وإباء وإذعان ، وطاعةٍ وعصيان ، وعدلٍ وعدول^(١) ، وكفر وإيمان ، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة ؛ وهذا هو حدُّ العقل والآخِر حدُّ العمل .

وأما قولك : « الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ » فقد خَرَفْتَ^(٢) ، لأنَّ مبدأها من العقل ، وممرُّها على اللفظ ، وقرارها في الخطِّ ؛ وأنت إذا قلتَ هذا دَلَلْتَ من نفسك على أنه ليس لك [ما] ^(٣) تبصر^(٤) به هذا المبدأ الشريف وهذا الأوَّل اللطيف .

وأما قولك : « والبلاغة زخرقة وهي شبيهة بالسراب » فقد أوضخنا لك فيه ما كفى ، فإن لم يكف فأنت محتاج إلى بيِّنة أخرى .

وأما قولك : « إن أصحابها يُسترقعون » فهذا شنعٌ من القول ، ولو عرفتَ الصِّدق^(٥) فيه لم تنبِس به ولم تنطق بحرفٍ منه ، فإن فيه زرابةً على السافِ الصالح والصدر الأوَّل ، ولو وجب أن يُسترقع البليغ إذا كان عاقلاً ، لوجب أن يُستعقل العي^(٦) إذا كان أحمق ؛ وهذا خُلِف .

(١) يريد بالدول : الجور ، من عدل عن الطريق عدولا إذا نكب عنه وانحرف .

(٢) صدقت .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٤) تنصر .

(٥) الصرف .

(٦) العي .

وأما قولك : « المنشئ والعلم والنحوى إخوة فى الركاكة » فما يتعلم الناس إلا من العلم والعالم والنحوى وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق .
 وأما قولك : « إن الملكة تكتفى بمنشئ واحد » فقد صدقت ، وذلك أن هذا الواحد فى قوته بنى بأحد كثيرة ، وهؤلاء الأحاد ليس فى جميعهم وفاء بهذا الواحد ، وهذا عليك لالك . لكن بقى أن تفهم أنك محتاج إلى الأسا كفة أكثر مما تحتاج إلى المطارين ، ولا يدل هذا على أن الإسكاف أشرف من المطار ، والمطار دون الإسكاف ؛ والأطباء أقل من الخياطين ، ونحن إليهم أحوج ، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط .

وأما قولك : « ما زال الناس يحنون أولادهم على تعلم الحساب ويقولون : « هوسلة الخبز » فهو كما قلت ، لأن الحاجة إليه عامة للكبار والصغار ؛ وأشرف الصناعات يحتاج إليها أشرف الناس ، وأشرف الناس الملك ، فهو محتاج إلى البليغ والمنشئ والمحزر ، لأنه لسانه الذى به ينطق ، وعينه التى بها يبصر ، وعيسته التى منها يستخرج رأى ويستبصر فى الأمر ، ولأنه بهذه الخاصة لا يجوز أن يكون له شريك ، لأنه حامل الأسرار ، والحديث بالمكنونات ، والمنفضى إليه بينات الصدور .

وأما قولك : « من عبّر عما فى نفسه بلفظ ملحون أو محرف وأفهم غيره فقد كفى » فكيف يصح هذا الحكم ويُقبل هذا الرأى ؟ والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال ؛ وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف ؛ ولقد قال رجل بالرسى كان نبيلاً فى حاله جليلاً فى مرتبته عظيماً عند نفسه : « أقمد حتى تنغذى بنا » . وهو يريد : « حتى تنغذى معنا » ؛ فأ نظر إلى هذا المُحال الذى ركبه بلفظه

وإلى المراد الذى جانتبه بجملة ؛ ولهذا نظائر غيرُ خافية عليك ولا ساقطةٍ دونك وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ؛ فانظر كيف وجدت في استقلالها بنفسها ما يُقَلِّها ويُقِلُّ غيرها ؛ وهذا أمرٌ بديعٌ وشأنٌ عجيب .

وأما قولك : « ومن آفاتنا أن أصحابها يُقرِّفون بالريبة ويُنالون بالسيب » فهذا ما لا يستحقّ الجواب ، وما يضرُّ الشمسَ نباحُ الكلاب ؛ وصيانة اللسان عن هذا النوع أحسن ؛ قال الله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ؛ وقال عمر بن الخطَّاب — رضى الله عنه — لو كان المرء أقومَ من قِدْحٍ لُوْجِدَ له غامر . وآل ابنِ وهبِ وابنِ ثوبانِ كانوا أنبلَ وأفضلَ وأعقلَ من أن يُظنَّ بهم ما لا يُظنَّ بخساس العبيد وسفهاء الناس وداصة^(١) الرعيّة وسفلةِ العامة ؛ على أنا ما سمعنا هذا إلا في مجلس ابنِ عبّاد ، منه وممن كان يخبِط^(٢) في هواه ، ويتحرى بمثل هذه الأحاديث رضاه ؛ وحسده لم في صناعتهم ييمته على هذه الأكاذيب عليهم ؛ فالعجب أنه يظن أن كذبه على غيره ينفي الصدق عن نفسه ؛ ولو نزه^(٣) لسانه ومجلسه ومذهبه وأبوتّه لكان أولى به وأزین له ، ولكن النعمة والقدرة إذا عَدِمتا عقلا سائسا وحزما حارسا مودينا متينا وطريقا قويا أوزدتا ولم تُصدرا وخَدَلتا ولم تنصرا ؛ ونعود بالله من نعمة تحوُّرِ بلاء ، ومرحبا ببلاء يورث يقظة ويكون تمحيصا لما نقص من التقصير ؛ ولكن من هذا الذى يشرب فلا يسكر ولا يثمل ؟ ومن هذا الذى إذا سكر عقل ؟ ومن هذا الذى إذا سجا لا يمتقب من شرا به تُمارا يصدع الراس ويمكن الوسواس ؟

(١) الداصة : الخساس الجبناء . والصورس أيضا .

(٢) في الأصل : « يخبط » ؛ وهو تصحيف .

(٣) كله .

فقال : هذه جملة قامعة لمن أدعى دعواه أو نحا منحاها ؛ وأتى لك هذا ؟
 لِمَ لا تُدَاخِلُ صاحبَ ديوانٍ وَلِمَ تَرْضَى لنفسك بهذا اللبوس ؟ فقلتُ :
 « أنا رجلٌ حُبُّ السلامة غَالِبٌ عَلَيَّ ، والقناعَةُ بالطفيف محبوبَةٌ عندي » .
 فقال : كُنيتَ عن الكسل بحبِّ السلامة ، وعن الفُسُولة بالرضا باليسير .
 قلتُ : إذا كُنيتُ لا أُصِلُّ إلى السلامة إلا بالفُسُولة ، ولا أتجتمُّ الراحة إلا
 بالكسل ، فمرحبا بهما .

فقال : لكلِّ إنسانٍ رأيٌ وأختيارٌ وعادةٌ ومَنشأٌ ومألوفٌ وقُرْآنٌ متى زُحِرِحَ
 عنها قَلْبٌ ، ومتى أُرْبِعَ^(١) على سواها فَرِقٌ ؛ أَظنُّ أَنَّهُ قد نَصَفَ اللَّيْلَ . قلتُ :
 لعلهُ . قال : في الدَّعَةِ ؛ قد خَبأتُ لك مسألةً ، وسألتها عليك بمدَّها — إن شاء
 اللهُ تعالى — وانصرفتُ .

الليلة الثامنة

وقال لي مرةً أخرى : أوَصَلَ وهبُ بنُ يَمِيش الرُّقِيُّ^(٢) اليهوديَّ رسالةً يقول
 (١) في عَرْضِها بمدَّ التقريظ الطويل العريض : إن هنا طريقاً في إدراك الفِلسفة
 مدلَّةً مسلوكةً مختصرةً فسيحةً ، ليس على سالِكها كدٌّ ولا شقٌّ في بلوغ ما يريد
 من الحكمة ونيل ما يطلب من السعادة وتحصيل الفوز في العاقبة ؛ وإن أصحابنا
 طولوا وهولوا وطرحوا الشوك في الطريق ، ومَنَمَوا من الجواز عليه غشاً منهم وبمخلا
 ولوَّم طبايع وقلةً نصح وإتباعاً للطالب وحسداً للراغب ، وذلك أَنهم أَتخذوا
 المنطق والمهندسة وما دخل فيهما معيشةً ومكسبةً ، وما كلةً ومشربةً ، فصار ذلك

(١) « أربع » .

(٢) ورد هذا الاسم في المقابسات ؛ وكان أبو حيان يسأله في مسائل فلسفية .

كسور من حديد لطلاب الحكمة والمحبتين للحقيقة والمتصفحين لأئناء العالم
وكلاما هذا معناه ، وإلى هذا يرجع مغزاه .

فكان من الجواب : قد عرفتُ مذهب ابن يعيش في هذا الباب ، وهو
جاري ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة
سبعين^(١) ، وتقرّب بها ، ونعمته بالمسألة والتفقد له ، فإنه شديد الفقر ، ظاهرُ
الخصاصة ، لاصق بالدقماء^(٢) ؛ ولذّى قاله وأدعاه ، وقصده وأنتحاه ، وجه واضح
وحجّة ظاهرة ؛ ولذّى قاله أصحابنا — أعنى مخالفيه — وجهٌ أيضا وتأويل
وللقولين أنصار وحمّة ، وحفظة ورعاة .

قال : هاتِ — على بركة الله — فإني أحب أن أسمع في هذا الخطب^(٣)
كلّ ما فيه وأكثر ما يتصل به ؛ فكان من الجواب أن ابن يعيش يريد
بهذه الخطبة أن عمر الإنسان قصير ، وعلم العالم كثير ، وسيره^(٤) مغمور ؛
وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركّبة بالوضع^(٥) المحكم ، وذو نضائد
مزيّنة بالتأليف المحجّب المتقن ؛ والإنسان الباحث عنه وعمّا يحتويه ذو قوّمى
مقاصرة ، وموانع معترضة ، ودواعٍ ضعيفة ، وإنه مع هذه الأحوال منتبه
بالحسّ ، حالم بالعقل ، عاشق^(٦) للشاهد ، ذاهل عن الغائب ، مستأنس بالوطن
الذى ألقه ونشأ فيه ، مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يُلمّ به وإن كان صدّر
عنه^(٧) ، فليس له بذلك معرفة باقية ولا ثقة تامّة ؛ وإن الأولى بهذا الإنسان

(١) يعنى بعد الثلاثمائة .

(٢) الدقماء : الأرض لا نبات بها . والتراب . وهذه العبارة كناية عن الفقر الشديد .

(٣) الخطب : الشأن .

(٤) « وشره » .

(٥) « بالوصف » .

(٦) « ماشق » .

(٧) عنه ، أى عن البلد .

المنعوت بهذا الضمف والمجزأ أف يلتمس مسلكا إلى سعاده ونجاته قريبا ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه ؛ وإن أقرب الطرق وأسهل الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف هذه الجملة بالتفصيل ، وأطلع على هذا التفصيل بالجملة ، فقد فاز الفوز الأكبر ونال الملك الأعظم ، وكفى مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكثير ، مع العناء المتصل في الدرس والتصحيح والنصب في المسألة والجواب ، والتنفير عن الحق والصواب ؛ وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحيف ولا خارج عن حومة الحق ، وإن كان الأمر فيه أيضا صعبا وشاقا وهائلا وعاملا ، ولكن ليس لكل أحد هذه القوة الفائضة ، وهذه الخصوصية الناهضة ؛ وهذا الأستبصار الحسن ، وهذا الطبع الوقاد ، والذهن المتقاد ، والقريحة الصافية والأستبانة والتأمل ، لأن هذه القوة الإلهية ، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية ؛ وإن لم تكن ملكية فهي في أفق البشرية ؛ وليس يوجد صاحب هذا النعت إلا في الشاذ النادر ، وفي دهر مديد بين أمة جمّة العدد ؛ والفائق من كل شيء والبائن من كل صنف عزيز في هذا العالم الوحشي ، كما أن الرديء والفاسد معدوم في هذا العالم الإلهي ، ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من بتكلم بالإعراب والصحة ولا يلحن ولا يخطئ ويجري على السليقة الحميدة والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ، ويجري على منهاجه ، ويقف بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومبهماتهما ؛ ومتى أتفق^(١) إنسان بهذه الحلية^(٢) وعلى هذا النجار ، فلعمري إنه غني عن تطويل

(١) اتفق إنسان ، أي وجد بطريق الاتفاق ، أي الصدقة .

(٢) لعله « الجبلة »

النحويين كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض ، وهكذا يستغنى صاحب تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن ذلك ، ولكن أين ذلك الفرد والشاذ والنادر ؟ فإن حضر فما تفعل معه إلا أن تقلده وتأخذ عنه وتتبعه .

وإنما المدار على أن تكون أنت بهذا الكمال حائزاً لهذه الغاية ، ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك ، فإذا بالضرورة وبالواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والعناء والتكلف والدؤوب حتى تصير متشبهاً بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبدیع النادر ؛ فقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابن يعيش وأنكشف أيضاً وجه ما حث عليه مخالفوه ؛ ولا عيب على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل المجهود ، وإن الكامل مربوط بما منح من العطية من غير طلب . وأما قوله في صدر كلامه : « إن القوم صدوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه ، وأتخذوا نشر الحكمة فتحاً للمثالة^(١) العاجلة » ، فما أبعد ، بل قارب الحق فإن متى^(٢) كان يُبلى ورقة بدرهم مقتدرى وهو سكران لا يعقل ، ويتهم ، وعنده أنه في ربح ، وهو من الأخسرين أعمالاً ، الأسفلين أحوالاً .

ثم إنى أيها الشيخ - أحيك الله لأهل العلم وأحبي بك طالبيه - ذكرت^(٣) للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح [الفضل بن^(٤)] جعفر بن القرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر^(٥) متى وأختصرتها ؛ فقال لى : اكتب هذه

(١) المثالة : بحسن الحال ؛ ومنه قولهم : كلما زدت مثالة ، زادك الله رعاة ؛ والرعاة : الحق .

(٢) « متى » .

(٣) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) هاتان الكلمتان لم تردا بالأصل وقد أثبتناهما عن معجم ياقوت . وأبو الفتح هذا كان

وزير المقتدر الخليفة العباسي سنة عشرين وثلاثمائة .

(٥) موضع هذا الاسم حروف مطبوسة في الأصل ؛ وقد أثبتناه هكذا نقلاً عن المقابسات

وأخذنا من الكلام الآتي . وأبو بشر متى ، هو ابن يونس الفئاني من أهل دير قتي . كان =

المناظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه بين هذين الشيخين بمحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُنضمَّ سماعه ، وتُوَعَى فوائده ، ولا يُتَهَوَّنَ بشيء منه . فكتبت^(١) : حدثني أبو سعيد بلُعم من هذه القصة . فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة .

لما أنفذ المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة — وفيهم الخالدي وأبن الأخشاد والسكتي وابن أبي بشر وأبن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وأبن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طنج من مصر والرزباني صاحب آل سامان^(٢) — : ألا^(٣) ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها^(٤) من المنطق وملكناه من القيام به ، وأستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلمنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لَمَن يفتي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإني لأعدكم في العلم بحارا ، وللدِّين وأهله أنصارا ، وللحق وطلابه منارا ؛ فما هذا الترامز والتغامز اللذَّان^(٥) تجلَّون عنهما ؟ فرجع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال : أعذر أيها الوزير ، فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المروض في هذا

نصرانيا طالا بالمنطق ، وإليه انتهت رئاسة المنطقين في زمنه ، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة ، وكانت وفاته في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

- (١) « وكنت » .
- (٢) « ساسان » .
- (٣) « أن ينتدب » .
- (٤) « جريناه » .
- (٥) في الأصل : « اللذين » .

الجلس على الأسماع المصبيخة^(١) والميون المحدقة والعقول الحادة^(٢) والألباب الناقدة؛ لأن هذا يستصحب الهيبة، والهيبة مكسرة، ويحجب الحياء، والحياء مغلبة؛ وليس البراز في معركة خاصة كالصاع^(٣) في بقعة عامة.

قال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فأعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك. قال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما رسمه هجنة، والأحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير؛ ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسال حسن العونة في الحرب والسلم؛ ثم واجه متى [قال^(٤)]: حدثني عن المنطق ما تعني [به]؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على ستن مرضي وطريقة معروفة.

قال متى: أعني به أنه آله من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كاليزان، فإني أعرف به الرئحان من النقصان، والشائل^(٥) من الجايح.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية؛ وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إذا كنا نبحث بالعقل؛ وهبك عرفت الراجح من الناقص من

(١) «الطنجة».

(٢) في الأصل: «الجمامة» وهو تحريف. وفي مسجم الأدباء ترجمة أبي سعيد السيرافي: الجمادة؛ وهو تحريف أيضا لا يستقيم به المعنى، ولعل صوابه ما أنبتنا.

(٣) الصاع: من صاع الشجاع أقرانه: إذا حمل عليهم ففرق جمهم.

(٤) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل.

(٥) في الأصل: «والسائل» بالسين للهمة؛ وهو تصحيف. والشائل: المرتفع.

والجايح: اللائل.

طريق الوزن ، فمن لك^(١) بمعرفة الموزون أيما^(٢) هو حديد أو ذهب أو شبه^(٣) [أو رصاص]^(٤) ؟ فأراك بمد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ؛ فلي هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان أجهادك ، إلا نغما يسيرا من وجه واحد ، وبقيت عليك وجوه ، فأنت^(٥) كما قال الأول^(٦) :

* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء *

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء هاهنا ، ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يُكّال ، وفيها ما يُدْرَج ، وفيها ما يُمَسَّح [فيها ما]^(٧) يُحَوَّر وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئية ، فإنه على ذلك أيضا في المقولات المقررة ؛ والإحساسات^(٨) ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبعيد ، مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة . ودع هذا ؛ إذا كان المنطق وَصَّه^(٩) رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فن أين يلزم التُّركَ والمهندَ والفرسَ والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وسكيا لهم وعليهم ، ما شهد لهم به قبوله ، وما أنكره رفضوه ؟

(١) « من ذلك » .

(٢) « إغنا » .

(٣) الشبه بالحريك : التعاسر الأصفر .

(٤) الكلمة التي بين مربعين عن بالقوت .

(٥) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) هو أبو نواس ؛ وأول البيت : فقل لمن يدعى في العلم فلسفة * حفظت شيئا الخ .

(٧) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات

لأبي حيان .

(٨) « والاحتباس ظلال العقول تحكيها » .

(٩) « وصفه » .

قال متى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث^(١) عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السائجة والسوانح الماحجة؛ والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت الطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البيئية في أربعة وأربعة وأنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موّهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التويه؛ ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا^(٢) باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لظمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم.

قال: أخطأت، قل في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.

قال: انت إذا لست تدعوننا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعوننا إلى لغة لا تقي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وأنقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها؛ على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة^(٣) بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

(١) «بحث».

(٢) ورد في الأصل بعد قوله: «إلا» جيم وألف وذال، وهي زيادة ممن الناسخ والصواب حذفها.

(٣) «محوكة».

الخائفة ، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم ، والحق تكفل بهم ، والخطأ تبرأ منهم ؛ والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم ، والذائل بمدت من جواهرهم وعروقهم ؛ وهذا جهل^١ ممن يظنه بهم ، وعناد ممن يدعيه لهم ؛ بل كانوا كثيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسئون في أحوال ؛ وليس واضع المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عن قبله كما أخذ عنه من بعده ؛ وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ؛ ومع هذا فالأختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ^(١) وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه ؟ [هيات^(٢)] هذا محال ، ولقد بقي العالم بمد منطقه على ما كان عليه قبل منطقه ؛ فأمسح وجهك بالسوة عن شيء لا استطاع لأنه منمقد بالفطرة والطباع ؛ وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها ، وتجارينا فيها ، وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بمادة أصحابها ، لملت أنك غنى عن [معاني^(٣)] يونان كما أنك غنى عن لغة يونان .

وهاهنا مسألة ، تقول : إن الناس عقولهم مختلفة ، وأنصباؤهم منها متفاوتة . قال : نعم . قال : وهذا الأختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالأكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الأختلاف

(١) السنخ : الأصل . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من الخط .

(٢) الكلمة التي بين سرهين عن معجم الأدباء .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين سرهين في الأصل . وقد أبتناها من اللغات من ص ٣

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت^١ وما حرّفت^٢ ، ووُزنت^٣ وما جرّفت^٤ ، وأنها [ما]^(٢) أثاثت ولا حافت ، ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدّمت ولا أخرت ، ولا أخلت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا [بأخصّ الخاصّ^(٣) ولا] بأعمّ العامّ — وإن كان هذا لا يكون ، وليس هو في طبائع اللغات ولا في مقادير المصاني — فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول يونان ، ولا برهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ، ولكنهم من بين الأمم أصحابُ عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه ، وعن كلّ ما يتصل به وينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وأنتشر ما أنتشر وفتشا ما فتشا [ونشأ ما نشأ] من أنواع العلم وأصناف الصنائع ؛ ولم نجد هذا لغيرهم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعصبت ومِلت مع الهوى ، فإن عِلِمَ العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه الماقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جَدَدِ^(٤) الأرض ؛ ولهذا غلب علم في مكان دون علم ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ؛ وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ؛ ومع هذا فإنما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونانُ معروفةً من بين جميع الأمم بالمصمة الغالبة ، والقطننة الظاهرة ، والبنينة

(١) في الأصل : « ووريت وما حرّفت » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . يقال جرف فلان الميء ، أى باعه أو اشتراه جزاء بلا كيل ولا وزن .
 (٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل .
 (٣) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقاييس .
 (٤) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض . وفي الأصل « جديد » ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال أبو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ؟ ودع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميّزة عند أهل العقل ؛ فأستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدلّ به وتباهى بتفخيمه ، وهو (الوار) ما أحكامه ؟ وكيف مواقفه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فهبت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ^(١) [والنحو يبحث ^(٢) عن اللفظ] ، فإن مر المنطق باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضح من المعنى .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن الكلام ^(٣) والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والأستخبار ^(٤) والعرض ^(٥) [والتعنى] والنهي والحضّ والنعاء والنداء والطلب كلّها من واد واحد بالمشاكلة والمائلة ، ألا ترى أن رجلا لو قال : « نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق ، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعرّب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان للمراد ولكن ما أوضح ، أو فاه بماجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبا » ، لكان في جميع هذا محرّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ، ومستميلا اللفظ على غير

(١) في الأصل : « اللفظ » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

(٢) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ، وقد أثبتناها عن نقاسات ، إذ

لا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) في النقاسات : « لأن النحو والمنطق » .

(٤) الظاهر أن في قوله « والاستخبار » تبديلا من الناسخ صوابه « والإبنا » بدليل

قوله في التتميل الآتي « أو أخبر ولكن ما أنبا »

(٥) الكلمة التي بين مربعين عن مسجع الأدباء .

شهادة [من] عقله^(١) وعقل غيره ؛ والنحو منطوق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة [بأثر آخر^(٢) من الطبيعة] ولهذا كلف المعنى ثابتا على الزمان ، لأن مستمل المعنى عقل ، والعقل إلهي ؛ ومادة اللفظ طينية ، وكل طيني متهايت ؛ وقد بقيت أنت بلا أسم لصناعتك التي تنتحلها ، وآلتك التي تزهي بها ، إلا أن تستعير من العربية لها أسما فتعار ، ويسلم لك ذلك بمقدار ؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة^(٣) فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة وأجتلاب الثقة والتوقى من الخلة اللاحقة .

قال متى : يكفيني من لتكم هذه الأسم والفعل والحرف ، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هدبت لها لي يونان .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحرير في الحركات كالخطأ والفساد في المتحرّكات ، وهذا باب [أنت^(٤) وأصحابك ورهطك عنه في غفلة ؛ على أن هاهنا سرا ما علق [بك ، ولا أسفر لملك ؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق^(٥) لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود

(١) « وغفلة » .

(٢) العبارة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

(٣) « التجرية » .

(٤) هذا الكلام الذي بين هذين المربعين لم يرد في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن المقابسات .

(٥) « تتاطق » .

صفاتها ، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، وأستعارتها وتحقيقتها ، وتشديدها وتخفيفها ، وسعتها وضيقها ونظما ونثرها وسجما ، ووزنها وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُسكاة من عقل أو نصيب من إنصاف ، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف الماعى اليونانية ؛ على أن الماعى لا تكون يونانية ولا هندية ، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية ؛ ومع هذا فإنك تزعم أن الماعى حاصلة بالعقل والفحص والفكر ، فلم يبق إلا أحكام اللغة ، فلم تُزرى على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها ، مع جهلك بحقيقتها ؟

وحدّثني عن قائل قال لك : حالى في معرفة الحقائق والتصريح لها [والبحث عنها^(١)] حال قوم كانوا قبل واضع المنطق ، أنظر كما نظروا ، وأتدبر كما تدبروا ، لأن اللغة قد عرقتها بالمشأ والوراة ، والماعى نقرت عنها بالنظر والرأى والأعتقاد والاجتهاد . ماتقول له ؟ أتقول : إنه لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر ، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرقتها أنت ؟ ولما لك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق ؟ وهذا هو الجهل المبين ، والحكم المشين^(٢) .

ومع هذا ، محدّثني عن الواو ما حكاه ؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يفتى عنك شيئا ، وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها إلى

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أئبناها عن معجم الأدباء لياقوت والمقابس للمؤلف .

(٢) في رواية أخرى « غير المستين » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

حكمة يونان ، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهد حروفاً ، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهد اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهد كلها ولكن يجهد بعضها ، فلهذا يجهد ما يحتاج إليه ، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه . وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وخبى القياس وصحيح البرهان ؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد ، فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها ، ومطالبك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق ، والتي لها بالتجوّز ؛ سمعتم تقولون : إن « في » لا يعرف النحويون مواضعها ، وإنما يقولون : هي « للواء » كما [يقولون] : « إن الباء للإصاق » ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال « الشيء في الإناء » « والإناء في المكان » « والسائس [في السياسة] » والسياسة في السائس .

أرى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ؟ ولا يجوز أن يُعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب ؟ فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطأٌ من القول الذي أفاض فيه ؛ النحويُّ إذا قال « في » للواء^(١) فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ؛ ومثل هذا كثير ، وهو كافٍ في موضع التّكنيّة^(٢) .

قال ابن الفرات : أيها الشيخ الموقّ ، أجهه بالبيان عن مواقع « الواو »

(١) في الأصل : « لوما » وما أثبتناه عن المقاييس ص ٧٧ إذ به يستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « التبيكيت » وفي المصادر الأخرى « السكت » ؛ وفي كلا القطين

تعريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

حتى تكون أشدَّ في إخمامه ، وحقَّق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ، ومع هذا فهو مشنَّع^(١) به .

قال أبو سعيد : للواو وجوه ومواقع : منها معنى العطف في قولك : « أكرمت زيدا وعمرا » ومنها القسم في قولك : « والله لقد كان كذا وكذا » ومنها الاستثناء في قولك : « خرجتُ وزيد قائم » لأن الكلام بمدّه ابتداء وخبر ومنها معنى رُبِّ التي هي للتقليل نحو قولهم^(٢) : * وقَاتِمِ الأعماقِ خاويَ الخترِقي * ومنها أن تكون أصلية في الأسم ، كقولك : واصِلٌ واقِدٌ وافِدٌ ، وفي الفعل كذلك ، كقولك : وَجِلٌ يَوْجِلُ ؛ ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل . (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ) ، أي ناديناه ؛ ومثله قول الشاعر^(٣) :

* فلما أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتحى * المعنى : انتحى بنا ؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا) أي يكلم الناس في حال كهولته ؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجرِّ ، كقولك : استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة .

قال ابن الترات : [لمتى] : يا أبا بشر : أكان هذا في نحوك^(٤) .

ثم قال أبو سعيد : دع هذا ، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل الإخوة » ؟

(١) في الأصل والمقابسات « متشيع » . وفي معجم ياقوت « متشيع » . وفي كلا اللغتين تصحيف .

(٢) هذا الشطر من شعر رؤبة بن المبراج .

(٣) هذا الشطر صدر بيت لامرئ القيس ، ومجزه :

بنا بطن خبت نبى حفاف عقتل .

(٤) في المقابسات « في منطك » ؟ وهي ألسب .

قال : صحيح . قال : فما [تقول ^(١)] إن قال « زيد أفضل إخوته » ؟ قال : صحيح .
 قال : فما [الفرق بينهما] مع الصَّحَّة ^(٢) [فتلحَّح ^(٣)] وجنَّح وخصَّ بريقه .
 فقال أبو سعيد : أفتبتَ على غير بصيرة ولا أستبانة ؛ المسألة الأولى جوابك
 عنها صحيح وإن كنتَ غافلا عن وجه محتها ؛ والمسألة الثانية جوابك عنها غير
 صحيح وإن كنتَ أيضا ذاهلا عن وجه بطلانها .

قال متى . بين لي ما هذا التهجين ؟

قال أبو سعيد : إذا حضرتَ الحلقة ^(٤) استفدتَ ، ليس هذا مكان التدريس
 هو مجلس إزالة التلبيس ، مع من عادته التمويه والتشبيه ؛ والجماعة تعلم أنك
 أخطأتَ ، فلم تدعى أن النحوى إنما ينظر في اللفظ دون المعنى ، والمنطقي ينظر في
 المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويجمل ^(٥) فكره
 في المعاني ، ويرتب ما يريد بالوهم السامخ والخطاير العارض والحدس الطارى ؛
 فأما وهو يريد أن يبرر ^(٦) ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر ، فلا بد
 له من اللفظ الذى يشتمل على مراده ، ويكون طباقا لقرضه ، وموافقا لقصده ^(٧) .
 قال ابن الفرات لأبى سعيد : تمَّ لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون
 الفائدة ظاهرة لأهل المجلس ، والتبكيكُ عاملا في نفس أبى بشر .

(١) هذه العبارة الموضوعية بين مربين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات
 وبها يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة التي بين مربين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٣) بلع : أعيى وعجز . وجنح ، أى مال .

(٤) « المختلفة » .

(٥) « ويجيد » .

(٦) « يزن » .

(٧) « لضده » .

فقال : ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا مثلَ الوزير ؛
فإن الكلام إذا طال مثلٌ .

فقال ابن الفرات : ما رغبتُ في سماع كلامك ويني وبين المللِ علاقة ؛
فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر .

فقال أبو سعيد : إذا قلت : « زيد أفضل إخوته » لم يجز ، وإذا قلت :
« زيد أفضل الإخوة » جاز ؛ والفصل بينهما أن إخوة زيدم غيرُ زيد ، وزيدٌ خارج
عن جملتهم . والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال : « من إخوة زيد » .
لم يجز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد [وإنما ^(١) تقول : بكر وعمرو وخالد]
ولا يدخل زيدٌ في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم ، فلم يجز
أن تقول : أفضل إخوته ، كما لم يجز أن تقول : « إن حمارك أفره ^(٢) البقال »
لأن الحمير غير البقال ، كما أن زيدا غيرُ إخوته ، فإذا قلت : « زيد خير الإخوة »
جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والأسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا
ترى أنه لو قيل : « من الإخوة » ؟ عددته فيهم ، قلت : « زيد وعمرو وبكر
وخالد » فيكون بمنزلة قولك : « حمارك أفره الحمير » لأنه داخل تحت الأسم
الواقع على الحمير . فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل
على الجنس ، فتقول : « زيد أفضل رجل » و« حمارك أفره حمار » فيدلّ « رجل »
على الجنس كما دلّ الرجال ؛ وكما في « عشرين درهما ومائة درهم » .

فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ، ولقد جلّ علم النحو عندي
بهذا الاعتبار وهذا الإسفار .

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات إذ بها
يستقيم الكلام .
(٢) في المقابسات « أفضل » ؛ والمعنى عليها يستقيم أيضا .

فقال أبو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النص فإنه لا يخلو من أن يكون سائفاً بالأستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم ، وكل ذلك محصور بالتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقتهم ونظرم وتكلفهم ، فترجموا لغةً هم فيها ^(١) ضعفاء ناقصون . وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال : أما تعرف ^(٢) يا أبا بشر أن الكلام أسم واقع على أشياء قد أتلفت بمراتب ، وتقول ^(٣) بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوبا ، لأنه نُسجَ بعد أن غزل ، فسَدَاتُهُ لا تكفي دون لُحْمَتِهِ ولُحْمَتُهُ لا تكفي دون سَدَاتِهِ ، ثم تأليفه ^(٤) كنسجه ، وبلاغته كقصارته ^(٥) ورقةً سَلِكِهِ كرقّة لفظه ، وغِلْظُ غِزْلِهِ ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ، ولكن بعد تقدمه كل ما يحتاج إليه فيه .

قال ابن القرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى

- (١) عبارة الأصل : « فترجموا لفهمهما » ؛ وهو تحريف .
- (٢) رواية المقابسات : « ألا تعلم » والمعنى عليه يستقيم أيضا .
- (٣) عبارة المقابسات : « مثال ذلك أن تقول » والمعنى يستقيم عليه أيضا .
- (٤) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « بالنقل » ؛ وهو تحريف .
- (٥) في الأصل : « لنضارته » ؛ وهو تحريف .

عليه بأن أقطاعه ، وأنخض أرتفاعه ، في المنطق الذي ينصره ، والحق الذي [١٧] يُبصره .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل يقول : « لهذا على درهم غير قيراط ؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط » . قال : مالي علم بهذا التَّمَط . قال : لست نازعا عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب محرقة وزرُق^(٢) ، هاهنا ما هو أخف من هذا ، قال رجل لصاحبه : « بكم الثوبان المصبوغان » ، وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغان » وقل آخر : « بكم ثوبان مصبوغين » بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ .

قال متى : لو ثرت أنا أيضا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبته ، ثم لا أبالي أن يكون موافقا أو مخالفا ، وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك ، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضا لأنه لا سبيل إلى إحداث لفة في لفة مقررة بين أهلها .

ما وجدنا لكم إلا ما أسترتم من لغة العرب [كالسبب والآلة^(٣)] والسلب والإيجاب والموضوع والحمول والكون والفساد والمهمل والمحصور وأمثلة لا تنفع ولا تُجدي ، وهي إلى العي أقرب ، وفي الفهاة أذهب .

(١) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .
 (٢) يريد بالزرُق : الخداع كما يستفاد من كتب اللغة فقد ورد في اللسان ومستدرک التاج « رجل زراق » ، أي خداع . ولم يذكر في هذين الكتابين فعله ولا مصدره .
 (٣) الزيادة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

ثم أتم هؤلاء في منطقتكم على نقص ظاهر ، لأنكم لا تقولون^(١) بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشعر ولا تعرفونه^(٢) وتذكرون^(٣) الخطابة وأتم عنها في منقطع التراب ؛ وقد سمعتُ قائلكم يقول : الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان . فإن كان كما قال فلمِ قَطِع الزمانُ بما قبله من الكتب ، وإن كانت الحاجة قد مستت إلى ما قبل البرهان ، فهي أيضا ماسةٌ إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلمِ صُنِفَ مالا يُحتاج إليه ويُسْتغنى عنه . هذا كله تخليط وزرُق وتهويل ورعد وبرق .

وإنما بودكم^(٤) أن تشغلوا جاهلا ، وتستدلوا عزيزا ؟ وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهلية^(٥) والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولوية والصورية والأيسية^(٦) والليسية والنفسية ؟ ثم تتناولون^(٧) فتقولون : « جئنا بالسحر » في قولنا : « لا » في شيء من « ب » و « ج » في بعض « ب » ، ف « لا » في بعض « ج » و « لا » في كل « ب » و « ج » في كل « ب » فإذا ن « لا » في كل « ج »^(٨) ؛ هذا بطريق الخلف ، وهذا بطريق الاختصاص .

(١) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « تقولون » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تدكرونه » ؛ وما أثبتناه عن المقابسات .

(٣) في المقابسات « وتدعون » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف .

(٥) الهلية والأينية : نسبة إلى « هل » و « أين » الاستفهاميتين ؛ والنسبة في الألفاظ

التي بعدها معروفة .

(٦) الأيسية والليسية : الإنبات والنفي .

(٧) في المقابسات : « يسطون » أى بتشديد الطاء .

(٨) كذا في الأصل ، ولعل صحة العبارة : لا « ا » في شيء من « ب » و « ج » في

بعض « ب » ف « ا » إذن لا في « ج » و « ا » لا في كل « ب » و « ج » في بعض « ب »

ف « ا » إذن ليس في « ج » كما يقتضيه علم المنطق .

وهذه كلها خرافات وتُرّهات ، ومغالق وشبكات ؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقّب رأيه وأنارت نفسه أستغنى عن هذا كله — بعون الله وفضله — وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأى وإنارة النفس من منائح الله الهنيئة ، ومواهبه السنية ، يختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لأستطالتكم بالمنطق وجها ، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقتكم ، وبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم تقدرُوا إلى اليوم أن تردوا عليه [كلمة واحدة ^(١)] مما قال ، وما زدتم ^(٢) على قولكم : لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم تحاجز ونكول ورضى بالعجز وكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فليكن فيه ^(٣) اعتراض هذا قولكم في « يفعل ويفعل » لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقفهما ، ولم تقفوا على مقاصدهما ، لأنكم قنعت فيهما بوقوع الفعل من « يفعل » وقبول الفعل من « يفعله » ، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ، ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الإضافة .

فأما البدل ووجوهه ، والمعرفة وأقسامها ، والنكرة ومراتبها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، فليس لكم فيه مقال و [لا] مجال .

وأنت إذا قلت للإنسان . « كن منطقيا » ، فإنما تريد : كن عقليا أو عاقلا أو عقل ما تقول ^(٤) لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ؛ وهذا قول مدخول ، لأن النطق على وجوه أتم عنها في سهو .

(١) البارة التي بين مربعين عن المقابسات .

(٢) في الأصل : « زدتم » والكاف زيادة من الناسخ .

(٣) « عليه » .

(٤) « ما يكون » .

وإذا قال لك آخر: «كن محويًا لغويًا فصيحًا» فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك .
وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به. فأما إذا حاولت قرّش المعنى وبسط المراد فأجل اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقرّبة، والاستعارات الممتعة، وبين^(١) المعاني بالبلاغة، أعني لوّح منها لشيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفّر به على هذا الوجه عزّ وحلا، وكرّم وعلا؛ واشرح منها شيئًا حتى لا يمكن أن يُتمرى [فيه] أو يُتعب في فهمه أو يُمرّج عنه لأغماضه؛ فهذا المذهب يكون جامعًا لحقائق الأشباه ولأشياء الحقائق؛ وهذا باب إن أستقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس؛ على أنى لا أدرى أيؤثر فيك ما أقول أو لا؟

ثم قال: حدّثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين، أو رفتم الخلاف بين اثنين؛ أترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله^(٢)؟ هيئات، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتدق عن عقولهم وأذهانهم.

ودع هذا، هاهنا مسألة قد أوقعت خلافا، فأرفع ذلك الخلاف بمنطقتك .
قال قائل: «لفلان من الحائط إلى الحائط» ما الحكم فيه؟ وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معا وما بينهما. وقال آخرون:

(١) في معجم الأدباء: «وسدد» .

(٢) «ما هو له» .

له [النصف من كلٍ منهما . وقال آخرون^(١) : له] أحدهما . هات الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأنى لك بهما ، وهذا قد بان بغير نظرك ونظري أصحابك .

ودع هذا أيضا ؛ قال قائل : « من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم محال ، ومنه ما هو مستقيم قبيح ، ومنه ما هو محال كذب ، ومنه ما هو خطأ » . فسر هذه الجملة . وأعرض عليه عالم آخر ، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعرض وأرنا قوة صناعتك التي تميز [بها] بين الخطأ والصواب ، وبين الحق والباطل ؟ فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعتُ مقالته ، والآخر لم أحصل اعتراضه ؟ قيل لك : استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتلا له ، ثم أوضح الحق منهما ، لأن الأصل مسموع لك ، حاصل عندك وما يصح به أو يرد عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر^(٢) علينا ، فإن هذا لا يخفى على [أحد^(٣) من] الجماعة .

فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل ؛ والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة ؛ وليس في قوة اللفظ من أى لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به ، وينصب عليه سورا ، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج ، ولا شيئا من خارجه أن يدخل ، خوفا من الأختلاط الجالب للفساد ، أعنى أن ذلك يخلط الحق بالباطل ، ويشبه الباطل بالحق ؛ وهذا الذى وقع الصحيح منه فى الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح فى الثانى بمد^(٤) المنطق ؛

(١) التكلفة التي بين مرعين لم ترد فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) « تنقلش » .

(٣) كذا فى المقابسات . والذى فى الأصل : « على من حضرته » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به معنى الجملة .

(٤) فى المقابسات « بهذا » .

وأنت لو عرفتَ تصرفَ العلماء والفقهاء في مسائلهم ، ووقفتَ على غورهم في نظريهم وغوصهم في استنباطهم ، وحسنِ تأويلهم لِمَا يَرِدُ عليهم ، وسعفة تشقيهم للوجوه المحتملة والكنائيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحققتَ نفسك ، وأزدريتَ أصحابك ، ولكان ما ذهبوا إليه وتابَعوا عليه أقلَّ في عينك من الشها عند القمر ، ومن الحِصاة عند الجبل . أليس الكِنْدِيُّ وهو قَلَمٌ في أصحابك يقول^(١) في جواب مسألة « هذا^(٢) من باب عدِّ » . فَمَدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوم بلا ترتيب ، حتى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوه بها وأرَوْه أنها من الفلسفة الداخلة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو^(٣)] مريض العقل فاسد المزاج حائلُ الفريزة مشوشُ اللب .

قالوا له : أخبرنا عن أصطِكَالِكِ^(٤) الأجرام ، وتَضَاعُطِ الأركان ؟ هل يدخل في باب وجوب الإمكان ؟ أو يخرج من باب التَّفُقدان إلى ما يَخْفَى عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضا : ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصُّور الهَيُولاتِيَّة ؟ وهل هي ملابسة للكِيان في حدود النظر والبيان ، أو مَرابِلَةٌ له مَرابِلَةٌ على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير تَفُقدان الوجودان في عدم الإمكان عند أمتناع الواجب من وجوبه في ظاهرٍ مالا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حُفِظ جوابُه عن جميع هذا على غاية الرِّكَاكَةِ والضعف [والفساد] والفسالة

(١) في الأصل : « يقولون » ، والوار والتون زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « عدم » ، وفي بعض المصادر الأخرى « عدة » وهي غير واضحة

للمعنى في كلتا الروايتين ؛ ولعلَّ الصواب ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٤) في الأصل : « استقصائك » ؛ وهو تحريف .

والشُخف . ولولا التوقى من التطويل لسردتُ ذلك كله ، ولقد مرّ بي في خطّه :
التفاوت في تلاشي الأشياء غير مُحاطٍ به ، لأنّه يلاقى الاختلاف في الأصول
والإتفاق في الفروع ؛ وكلُّ ما يكون على هذا النهج فالنكرة تُراح عليه
المعرفة ، والمعرفة تُناقض النكرة ، على أنّ النكرة والمعرفة من باب الألبسة
العارية من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضة في
أحوال البشرية .

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يُضحك الشكلى ويُشمت العدو
ويغزو الصديق ، وما ورث هذا كله إلا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق
ونسأل الله عصمة وتوفيقا نهتدى بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والقول
الجارى على التعديل ، إنّه سميع مجيب .

هذا آخرُ ما كتبتُ عن عليّ بن عيسى الرّماني الشيخ الصالح بإملائه .
وكان أبو سعيد قد روى لَمّا من هذه القصة .

وكان يقول : لم أحفظ عن نفسي كلَّ ما قلتُ ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ
حَضروا في ألواح كانت معهم ومحابرُ أيضا ؛ وقد أختلّ عليّ كثير منه .

قال عليّ بن عيسى : وتقوض المجلس وأهله يتمعّبون من جأش أبي سعيد
الثابت ولسانه المتصرف ووجه التهلّل وفوائده المتتامة .

وقال الوزير ابن الفرات : عين الله عليك أيها الشيخ ، فقد نذيت أكبادا
وأقررت عيوننا ، وبيّضت وجوها ، وحُكّت طرازا لا يبلية الزمان ، ولا يتطرق
إليه الحدثان .

قلت لعليّ بن عيسى : ومك كانت سينُ أبي سعيد^(١) في ذلك الوقت ؟

(١) في الأصل : « عليّ بن عيسى » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

قال : مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة ، وقد عَهِثَ الشَّيْبُ بِلَهَازِمِهِ^(١) مع السَّمْتِ وَالْوَقَارِ وَالذِّينِ وَالجِدِّ ، وهذا شِعَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالتَّقَدُّمِ ، وَقَالَ مِنْ تَظَاهِرِهِ أَوْ تَحَمَّلِي بِحَلِيَّتِهِ إِلَّا جَلَّ فِي الْعِيُونَ وَعَظَمَ فِي النُّفُوسِ ، وَأَحَبَّتْهُ الْقُلُوبُ ، وَجَرَتْ بِمَدْحِهِ الْأَلْسُنَةُ .

وقلت لعلِّي بن عيسى : أما كان أبو علي^(٢) الفسويّ النحويّ حاضرَ المجلس ؟ قال : لا ، كان غائبا ، وحُدِّثَ بِمَا كَانَ ، فَكَانَ يَكْتُمُ الْحَسَدَ لِأَبِي سَعِيدٍ عَلَى مَا فَازَ بِهِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ ، وَالثَّنَاءِ الْمَذْكُورِ .

فقال لي الوزير^(٣) عند منقطع هذا الحديث : ذكرتني شيئا قد دار في نفسي سرارا ، وأحبيت أن أقف على واضحته ؛ أين أبو سعيد من أبي علي ، وأين علي بن عيسى منهما ، وأين ابن المرائي أيضا من الجماعة ؟ وكذلك الترمذاني وأبن شاذان وأبن الوراق وأبن حثيرة ؟

فكان من الجواب ، أبو سعيد أجمعٌ لشمل العلم ، وأنظمٌ لمذاهب العرب وأدخل في كل باب ، وأخرج من كل طريق ، وأزَمَ الجادة الوسطى في الدين والخلق ، وأروى في الحديث ، وأقضى في الأحكام ، وأفقه في الفتوى ، وأحضر بركة على المختلفة ، وأظهر أثرًا في المقتبسة . ولقد كتب إليه نوح بن نصر — وكان من أديباء ملوك آل سامان — سنة أربعين^(٤) كتابا خاطبه فيه بالإمام

(١) الهازم : جمع لهزمة بكسر اللام ، وهي مجتمعة اللحم بين الماضغ والأذن ؛ أو هي العظم الثاني في اللحية تحت الأذن ، وما لهزمتان ؛ ويريد هنا الشعر الناتج عليهما .

(٢) أبو علي الفسوي ، هو الحسن بن أحمد بن عبد الفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ، ولد بمدينة فسا سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكان إمام وقته في علم النحو وله فيه كثير من المؤلفات الوافية النافعة ، وتوفي في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

(٣) يريد الوزير أبا عبد الله العارض .

(٤) أي وثلاثمائة .

وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، الغالب عليها الحروف ، وباقى ذلك أمثال مصنوعة على العرب شكَّ فيها فسأل عنها ؛ وكان هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البَلَصَمِيُّ خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل في القرآن وأمثالا للعرب مشكلة .

وكتب إليه التُّرْزُبَان بن محمد ملكُ الدَّيْلَمِ من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام ، سأله عن مائة وعشرين مسألة ، أكثرها في القرآن ، وباقى ذلك في الروايات عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أصحابه رضوان الله عليهم .

وكتب إليه ابن حِزَابَةَ من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل ، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن السلف .

وقال لي الدارَقُطَنِيُّ سنة سبعين : أنا جمعتُ ذلك لأبن حِزَابَةَ على طريق العونة .

وكتب إليه أبو جعفر ملكُ سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتابا يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في الرماية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ؛ وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق التكلمين .

قال لي الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلتُ : نعم . قال : في كم تقع ؟ قلتُ : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة ، لأن أكثرها في الظهور . قال : ما أحوجنا إلى النظر فيها والأستمتاع بها والأستفادة منها ! وأين الفراغ وأين السكون ؟ ونحن كلَّ يوم نُدْفَعُ إلى طامة تُنْسِي ماسلف ، وتُوَعِدُ بالهامية

اللهم هذه ناصيتي بيدك ، فتولّني بالعصمة ، وأخصني بالسلامة ، وأجل عقبائي إلى الحسنى .

ثم قال : صل حديثك .

قلت : وأما أبو علي^(١) فأشدّ تفرّدا بالكتاب^(٢) وأشدّ إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافا مما لغيره ؛ وهو متقد بالغیظ على أبي سعيد ، وبالחסد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، لأن هذا شيء ما تمّ للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم .

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل ، ولكنه قعد على الكتاب^(٣) على النظم المعروف .

وحدثني أصحابنا أن أبا علي اشترى شرح أبي سعيد في الاهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين — لاحقا بالخدمة للمرسومة به ، والندامة^(٤) الموقوفة عليه — بألفي درهم ؛ وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يابون الإقرار به إلا من زعم أنه أراد النقص عليه ، وإظهار الخطأ فيه .

وقد كان الملك السعيد — رضى الله عنه — هم بالجمع بينهما فلم يقض له ذلك ، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(١) يريد أبا علي الفسوي السابق ذكره .

(٢) يريد بالكتاب كتاب سيويه .

(٣) يريد بالكتاب كتاب سيويه . بقول : إنه اقتصر على دراسته على الطريقة المروفة .

(٤) الندامة ، أى المناداة على المراب ، بدليل ما يأتي بعد في سطر (١) من صفحة ١٣٢ .

وأبو علي يشرب ويتخالم ويفارق هدى أهل العلم وطريقة الربانيين^(١)
وعادة المتسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلي إلا في الجماعة ، ويقوم على مذهب
أبي حنيفة ، ويلى القضاء سنين ، ويتأله^(٢) ويتخرج ، وغيره بمنزل عن هذا ؛
ولولا الإبقاء على حرمة العلم ، لكان التلم يجرى بما هو خافٍ ويخبر بما هو مجتم^(٣)
ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى ، والإعراض عما يجلب اللائمة أحرى .

وكان أبو سعيد حسن الخط ، ولقد أراد الصيمري أبو جعفر على الإنشاء
والتهجير فاستغنى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى دُرْبة وأنا عارٍ منها ، وإلى
سياسة وأنا غريب فيها * ومن العناية رياضة الهرم . *

وحدثنا النصري^(٤) أبو عبد الله — وكان يكتب النوبة للمهلبي — بحديث
مفند^(٥) لأبي سعيد هذا موضعه ، قال : كنت أخط بين يدي الصيمري أبي جعفر
محمد بن أحمد بن محمد ، فالتسنى يوما لأن أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب
فلم يجذني ، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته ؛ فظن^(٦) أنه بفضل علمه أقوم
بالجواب من غيره ، فتقدم إليه أن يكتب ويحجب ، فأطال في عمل نسخة كثر
فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرر ، والصيمري يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفا

(١) الرباني : المتأله العارف بالله . وفي الأصل : « الديانين » ولم نجد في كتب اللغة
بهذا المعنى .

(٢) يتأله ، أى يتعبد ويتسك .

(٣) مجتم : من جمع الكلام في نفسه إذا لم يبينه يريد به المستتر الخاف .

(٤) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذي في الأصل :

البرقي ؛ وهو تحريف .

(٥) « مفند » .

(٦) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذي في الأصل : « فبان » .

لجاري العادة لفظا ، مباينا لما يريد^(١) ترتيبا .

قال : ودخلت في تلك الحال ، فتمثل الصيبري بقول الشاعر :

يا باري القومِ برّيا ليس يُصلحه لا تظلم القومَ ، أعطِ القومَ باريها

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك أيها الشيخ وأدفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليحبب عنه ، فحجل من هذا القول ، فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحيّر متى أبو سعيد ، ثم قال : أيها الأستاذ ، ليس بمستنكر ما كان متى ، ولا بمستكر ما كان منك ، إن مال النبي لا يصح في بيت المال إلا بين مستخرج^(٢) وجهيد ، والكتاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه . فتبسم الصيبري وأعجبه ما سمع ، وقال : على كل حال ما أخلقتنا من فائدة .

وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يُقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والقرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والمهندسة والحديث والأخبار وهو في كل هذا إماما في الغاية وإماما في الوسط .

وأما علي بن عيسى^(٣) فعلى الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، وعيب به ، إلا أنه لم يسلك طريق واضح المنطق ، بل أفرد صناعة ، وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتابا قيسا ، هذا مع الدين الثخين ، والعقل الرزين .

وأما ابن الراعي^(٤) فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ ، وسعة الحفظ ، وعزّة

(١) في معجم الأدياء : « لأتورة » .

(٢) مستخرج الأموال ، أي جانيها ومحصلها . والجهيد : الناقد العارف بالجيد والردى .

(٣) يريد بطل بن عيسى أبا الحسن الرماني وهو إمام في العربية ، كان علامة في الأدب ،

إماما في النحو ، بصيرا بالمقالات ، معتزليا ، مات سنة ٣٨٤ .

(٤) ابن الراعي هو أبو الفتح محمد بن جعفر الهمداني وكان معلما في دولة أبي منصور ،

وكان حافظا نحويا بليغا إخباريا في نهاية المرف والحرية ؛ وله من الكتب كتاب البهجة على

مثال كتاب الكامل .

النفس ، وبلبل^(١) الريق ، وغزارة النَّفث ، وكثرة الرواية ؛ ومن نظر في كتاب
البهجة له عرف ما أقول ، واعتقد فوق ما أصف ، ونحل^(٢) أكثر مما أبدل .
وأما المرزباني^(٣) وابن شاذان وابن القرمسيني وابن حَيَّوِيَه^(٤) فهم رواة
وسمعة ليس لهم في ذلك نَقْطٌ ولا إجماع ، ولا إسراج ولا إجماع .

(٤) قال : فصلٌ حديثك [عن^(٥)] هؤلاء بمحدث أصحابنا الشعراء ، صف لي
جماعتهم ، وأذكر لي بضاعتهم ، وما خصَّ كلَّ واحد منهم . قلتُ : لست من
الشعر والشعراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دَحْض^(٦) ، وأحتسى غير
محض . قال : دع هذا القول ، فما خُصْنَا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية
ما كان في النفس ، ونهاية ما أفاد من الأنس ، فكان من الوصف :

أما السَّلاي^(٧) فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يَسِيمُ عن ثغر النمام
خفيُّ السرقة ، لطيفُ الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف الغارس ، جميل اللباس ؛
لكلامه لَيْطَةٌ^(٨) بالقلب ، وعبثٌ بالروح ، وبرْدٌ على الكبد .

- (١) بلل الريق : كناية عن الاتساع في الكلام .
(٢) « نحل » الخ أي أضاف إليه من الفضائل أكثر مما أبدل في وصفه .
(٣) المرزباني ، هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، أصله من خراسان ، كان
من الأدباء الاخباريين المصنفين ، وله كتب كثيرة في الأدب والتاريخ عدتها صاحب الفهرست
وقال : إنه كان صادق المهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ، ومات سنة ٣٧٨ .
(٤) ابن حَيَّوِيَه ، هو محمد بن حَيَّوِيَه بن المؤمل ، عالم نحوي من أهل همدان مات سنة ٣٧٣ .
(٥) لم ترد هذه الكلمة في صل .
(٦) على دَحْض ، أي على مزلة ومزلة للاقتداء .
(٧) السلاي : من أشعر أهل العراق ، عربي الأصل من بني غزوم ، ولد بكرخ بغداد
سنة ٣٣٦ واتصل بالصاحب بن عباد وعضد العولة البوهي ومنحهما ، وقد روى له صاحب
البيبة كثيرا من شعره ، مات سنة ٣٩٤ .
(٨) لَيْطَةٌ بالقلب ، أي التصاق به وتعلق .

وأما الحامئ^(١) فحليظ اللفظ ، كثير المقّد ، يحب^٢ أن يكون بدوياً قطعاً ، وهو لم يتمّ حَضَرِيّاً ؛ غزيرُ المحفوظ ، جامعُ بين النظم والنثر ، على تشابه بينهما في الجفوة^(٣) وقلة السّلاسة ، والبعد من المسلوك ، بادي العورة فيما يقول ، لكأنما يُبرز ما يُخفي ، ويكدر ما يُصفي ، له سكرة في القول إذا أفاق منها خير^(٤) وإذا خُير سدير^(٥) ؛ يتناول شاخصاً ، فيتضاد متعاضباً ؛ إذا صدق فهو مهين ، وإذا كذب فهو مشين .

وأما ابن جَلَبَات^(٦) فجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع الحيلة ، كثير الزوق^(٧) ، قصير الرشاء^(٨) ، كثير النشاء^(٩) ؛ عزّة نفاقه^(١٠) ونفقه نفاقه .

(١) هو محمد بن الحسين الحامئ ، مدح الخليفة القادر بالله ؛ وله الرسالة الحامية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين المنفي ، مات سنة ٣٨٨ .
 (٢) عبارة الأصل : « على تشابه بينهما في المهوة وقلة السياسة والبعد من الشكوك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف لا يستقيم به المعنى في ثلاثة ألفاظ ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .
 (٣) سخر ، أي أصيب بالبحار ، وهو ألم في الرأس وصداع يقبان السكر . والكلام هنا على طريق الاستعارة .
 (٤) سدر : تحير . أو لم يبال ما صنع بولم يهتم . وكلا التفسيرين يستقيم به المعنى .
 (٥) في الأصل : « ابن الحليات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا . وهو أبو القاسم علي بن جلبات ، ذكره صاحب اليتيمة في الجزء الثاني ص ٢٧٠ وروى شيئاً من شعره .
 (٦) في الأصل : « الرزق » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ، فانه بسند الكلام في الشعر لا في الرزق . والرزق بالتحريك : جمع زاووق ، وهو ما يحسن به المعنى ويرزين ، والمراد هنا ما يحسن به الشعر تحسيناً ظاهرياً . والزاووق في الأصل : الزئبق ، وكان يدخل في التصاوير ، ولذلك قالوا لكل مزين : مزوق .
 (٧) الرشاء : الجبل الذي يستقي به ، والمراد هنا قصر بابه في الشعر وقصوره عن الإطالة .
 (٨) النشاء في الأصل : البالي من ورق الشجر المخالط زيد السيل . ويريد به هنا ما لا فائدة فيه ، ولا يعتد به .

(٩) النفاق بفتح النون : الرواج . ونفقه بتشديد الفاء : رواجه . والمراد رواج شعره وانتشاره بين الناس ، وعبارة الأصل : « عزّة نفاقه ونفقه نفاقه » وفي كلتا الجملتين تصحيف .
 هنا لى أنهما على هذا الوضع لا يستقيم بهما السجع القوي يريده المؤلف كما يظهر .

وأما الخالغ^(١) فأديب الشعر، صحيح النحت، كثير البديع، مستوي^(٢) الطريقة، متشابه الصنعة، بعيد من طرفة المتحير، قريب من فرصة المتخير؛ كان ذو الكفايتين يقدمه بالرسمي، ويقبله على النشر والطنى.

وأما مسكويه^(٣) فلطيف اللفظ، رطب الأطراف، رقيق الحواشي، سهل للأخذ، قليل السكب، بطل في السبك؛ مشهور المعاني، كثير التواني؛ شديد التوقي، ضعيف الترقى؛ يرد أكثر مما يصدر، ويتناول جده ثم يقصر؛ ويطير بعيدا ويقع قريبا، ويسقى من قبل أن يغرس، ويمتدح^(٤) من قبل أن يُبنيه؛ وله بعد ذلك ما أخذ كشدو^(٥) من الفلسفة، وتأت^(٦) في الخدمة، وقيام برسوم الندامة^(٧)؛ وسنة^(٨) في البخل، وغرائب من الكذب؛ وهو حائل^(٩) العقل لشغفه بالكيباء.

وأما ابن نباتة^(١٠) فشاعر الوقت، لا يدقع ما أقول إلا حاسدا أو جاهل

- (١) هو أبو علي الحسن بن علي الخالغ شاعر من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وهو من شعراء البتية.
- (٢) في الأصل: «مستوسق»، وهو تحريف. وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «متشابه الخ».
- (٣) انظر التعريف به في ص ٣٢ رقم ٥.
- (٤) متح الدلو ومتح بها: استخرجها من البئر عند الاستقاء، وأما الحافر إمامة: بلغ للماء واستخرجه من الأرض. والكلام كله جار على طريق الاستعارة، يشير بهذه العبارة والتي قبلها إلى أنه يقدم ما حقه التأخير والمكس.
- (٥) شدا شدوا، أخذ طرقة من العلم والأدب.
- (٦) التأني في التلطف.
- (٧) الندامة بكسر النون: حرفة الندامة على الصراب.
- (٨) «وثيقة».
- (٩) حائل العقل، أى متغير متحول من الاستواء إلى العوج.
- (١٠) ابن نباتة السعدي، هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة من شعراء سيف الدولة بن حمدان، واتصل كذلك بابن العميد ومدحه؛ وقد سنة ٣٢٧ ومات ببغداد سنة ٤٠٥.

أو معاند ، قد لَحِقَ عصابة (سيف النولة) وعدًا معهم ووراءهم ، حَسَنُ العَدُوِّ على مثال سَكَّانِ البادية ، لطيفُ الأتِّامِ بهم ، خفيُّ التَّعاصِ في واديهم ، ظاهرُ الإِطلالِ على ناديهم ؛ هذا مع شُعْبة من الجنون وطائِفٍ من الوَسْواسِ .

وأما ابن حجاج^(١) فليس من هذه الزُّمْرَةِ بشيء ، لأنَّه سخيْفُ الطَّرِيقَةِ ببيدٍ من الجِدِّ ، قَرِيعٌ في المزل ؛ ليس للعقل من شِعْرِهِ مِثَالٌ^(٢) ، ولا له في قَرَضِهِ^(٣) مِثَالٌ ؛ على أَنَّهُ قويمُ اللَّفْظِ ، سهلُ الكلامِ ، وشمائلُهُ نائِبَةٌ بِالوَقَارِ عن عادته الجارية في الخَسارِ ؛ وهو شريكُ ابنِ سُكْرَةَ في هذه التَّرَامَةِ^(٤) ؛ وإذا جَدَّ أَمَقَى ، وإذا هَزَلَ حَكَى الأَفْصَى .

وله مع ذى الكفائتين مناظرة طَيِّبَةٌ . قال : ما هي ؟ قلتُ : لما ورد ذوالكفائتين سنة أربع وستين وهزم الأتراك مع أفتكين^(٥) ، وكان من الحديث ما هو مشهور ، سأل عن ابن حجاج — وكان متشوقاً له لِمَا كَانَ يُقْرَأُ عليه مِن قَوافِيهِ^(٦) ، فأحَبَّ أن يلقاه ، لأنَّه ليس الخبير كالمعاينة ، والمسوع والمبصر كالأثني والذكر ؛ يَنْزِعُ كلُّ واحدٍ منهما إلى تمامه ؛ فلَمَّا حضره أبو عبد الله أَحْتَبَسَهُ للطعام ، وسمع كلامه ، وشاهدَ سَمْتَهُ ، واستَحْلَى شمائله ، فقام

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج ، شاعر ماجن في شعره مشهور ، اتصل بالوزير المهلب وسابور بن أزدشير وعضد النولة وابن عباد وابن السبيد ، لشعره منتخبات في اليتيمة وفي المتحف البريطاني وفي مكتبة باريس ؛ وقد مات سنة ٣٩١ .

(٢) « مثال » .

(٣) « حرصته » .

(٤) التراماة : الخسران .

(٥) في الأصل : « الوركين » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ههنا عن الكامل لابن

الأمير وغيره .

(٦) في الأصل : « من فيه » بسقوط القاف والواو والألف ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا

إذ به يستقيم الكلام .

من مجلسه ؛ فلما خلا به قال : يا أبا عبد الله ، لقد والله تَهْتُ^(١) عَجَبًا منك ، فأما
عَجَبِي بك فقد تقدّم ؛ لقد كنت أفلي ديوانك ، فأتممتي لقاءك ، وأقول : من
صاحب هذا الكلام ، أطيّسُ طائش ، وأخفُ خفيف ، وأغرّمُ غارم ؛ وكيف
يجالس من يكون في هذا الإهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس
الكتاب وأصحاب الآداب ؛ حتى شاهدتُك الآن ، فتهاكتُ على وقارك
وسكون أطرافك ، وسكوت لفظك ، وتناسب حركاتك ، وفرط حيائك
وناضر ماء وجهك ، وتعاذل كُلك^(٢) ويمضك ؛ وإنك لمن عجائب خلق الله
وطرف عباده^(٣) ؛ والله ما يصدّق واحد أنك صاحب ديوانك ، وأن ذلك الديوان
لك ، مع هذا التناقى الذى بين شعرك وبينك فى جدك . فقال أبو عبد الله :
أيها الأستاذ ، وكان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارنا على هذا لفلجت عليك
بالتعجب منك . قال : لأنى قلت : إذا ورد الأستاذ فسألنى منه خلُقًا جافيا
وفظًا^(٤) غليظا وصاحب رواسير^(٥) وآكل كوامخ^(٦) وجبليتا ديلميا متكاثبا
متماظلا ، حتى رأيْتُك الآن وأنت أطف من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغرزلُ
من جميل^(٧) بن معمر ، وأعذب من الحياة ، وأرزن من الطوّد ، وأغرر من

(١) تهت ، أى تحيرت .

(٢) فى الأصل : « نجلك » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل من هذه الكلمة العين والباء ، ورسمت اءاء بيبة عنها .

(٤) « وعظا » .

(٥) فى الأصل : « رواصير » .

(٦) الكوامخ : جمع كوامخ بفتح الميم ، وهو إدام يؤتمم به يقال له : المرى ، ويقال :

هو الردى منه ؛ وقيل : هو خبز يخلّ مرّاب « كامه » بالفارسية ؛ وخصه بعضهم بالخللات

التي تستعمل لتفشى الطعام .

(٧) جميل بن معمر ، هو المعروف بجميل بثينة العنبرى .

البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من الغيث ، وأشجع من الليث ، وأنطق من سخبان ، وأندى من الغمام ، وأشد من السهام ، وأكبر من جميع الأنام .
 فقال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع^(١) فضلك ، وبواعث تفضلك .
 ووصله وصرّفه .

قال^(٢) : لم يكن هذا الحديث عندي .

وأما بشر بن هارون فليس من هذه الطبقة في شيء ، لكنه يقرص فيحز^(٣) ويسم فيهز ، ويخرج فيجهز ؛ والمدّهوون^(٤) منه كثير ؛ « وأصحابنا^(٥) يستحسنون قول ابن الحجاج في الوزير حين يقول :

لله دَرُّ الحسين من قر رُدَّت إليه وزارة الشمس

فقال : إن قبلتُ هذا منهم خفتُ أن يقال : مادح نفسه يقرئك السلام ؛
 وما أصنع بهذا البيت وهو مضموم إلى كل بيت سخيف في القصيدة » .

ثم قال : وجب أن نصف قبل هذا عصابة العلماء ، فلم تركنا ذكركم ونحن
 لانخلو في حديثهم من غرّة لأمتة ، وفائدة نافعة ، وصواب زائد في العقل
 وفضيلة على الأدب ، وحلم يزيدان به في وقت الحاجة ، وحكمة يستعان بها في
 داهية ؛ ورأى يكون مقبلا للتمييز عند تهجيرنا به .

(١) من ودائع فضلك ، أى من فضلك الذى تودعه لدينا فنحفظه لك ونؤديه إليك
 جزاء وفاقا .

(٢) قال ، أى الوزير أبو عبد الله العارض .

(٣) فى الأصل : « يقرض فيخر » ، وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين . ويريد بهذه
 العبارة والبارتين اللتين بعدها أن أثره بالغ غايته فى الهجاء .

(٤) المدهون ، أى المتلون بالدواهي منه .

(٥) الظاهر أن هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين مؤخر عن موضعه وموضعه
 الكلام فى ابن حجاج السابق ذكره إذ لا مناسبة بينه وبين ما هنا .

قلتُ : أما أبو عبد الله الجعَل (١) فقد شاهدته . قال : صدقتَ ، ولكن لم أقف على مذهبه ودُخَلتِه وسيرته في أعتقاده .

قلتُ : كان الرجل ملتهب الخاطر ، واسع أطراف الكلام ، مع غثاثة اللفظ ، وكان يرجع إلى قوَّة عجيبة في التدريس ، وطول نفس في الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخصم ومُعَارَكة القِرْن ، بميد العهد بالمصاع والدفاع والوقاع ؛ وكان سببُ هذا الجبن والخَوْر قلة الصَّراوة على هذه الأحوال ؛ ولقد خَزِي في مشاهد عظيمة .

وأما يمينه فكان ضعيفا ؛ وأما سيرته فكانت واقفة على حبِّ الرياسة وبذل المال والجاه إذا حضرا ، مع تعصب شديد لمن قدمه وأحبه ، وإنهاء مفرط على من عاداه ، وكان حَوْضُه في الدول والولايات — ولهذا رغب عنه (٢) الواسطي وكان أخا ورع ودين — وقال (٣) : هذا منفرٌّ (٤) عن الدين والمذهب ، ودافع (٥) للناس عن القول بالحق ، وطارح للشبهة في القلوب .

وكان يجهر بهذا وأشباهه ، ولكن كان جاه الرجل لا يُنتقص بهذا القدر وركنُه لا يتخلخل على هذا الهدى ، لأسباب انعدت له ، وأصحاب ذبوا عنه .

وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب ، شديد التوقُّ ، محمود القناعة

(١) في الأصل « جعل » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . والجعل ، هو أبو عبد الله الحسين بن عليّ ، أصله من البصرة وبها ولد سنة ٣٠٨ وانتهت إليه الرياسة في علم الكلام في عصره ، وكان كذلك فقيها ، وله كتب في الكلام وكتب في الفقه ، من أشهر كتبه في الكلام كتاب تقض كلام الراوندى وتقض كلام الرازي . مات ببغداد سنة ٣٩٩ .

(٢) « فيه » .

(٣) وقال ، أي الواسطي .

(٤) « منفر » .

(٥) « ونافع » .

ظاهر الرضا ؛ تَدُلُّ (١) سيرته الجميلة على أنه حَسَنُ العقيدة .

وأما ابن العَلَمِ (٢) فَحَسَنَ اللِّسَانَ وَالجَدَلَ ، صبور على الخصم ، كثيرُ الحيلة ظنينٌ (٣) السَّرَّ ، جميل العاليتية .

وأما أبو إسحق النصيبي فدقيق الكلام ، يشكُّ في النبوات كلها ، وقد سمعتُ منه فيها شُبُهًا ، ولُغْتَهُ (٤) معقَّدة ، وله أدب واسع ؛ ولقد أضلَّ بهمدان كاتبَ فخر الدولة ابنَ المرزبان . وحمله على قلة الأكرثات بظلم الرعية ، وأراه أنه لا حرج عليه في غَنَبِهِمْ لأنهم بهائمٌ ، وما خرج من الجبل حتى أفتضح .
وأما ابن خيران (٥) فشيخ لا يمدو الفقه ، وفيه سلامة .

وأما الدَّارَكِيُّ (٦) فقد اتخذ الشهادة مكسبةً ، وهو يأكل الدنيا بالدين ، ويغلب عليه اللواط ، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة ؛ ولقد تهتكت بنيسابور قديما ، وبيغداد حديثا ؛ هذا مع القدامة والوخامة ؛ ولقد نذَّ بجُعَلٍ (٧) غلام ، وهو اليوم قاضي الري . وأبن عباد يَكْنُفُهُ ويقربه ليكون داعية له ونائبا عنه ، وليس له أصل وهو من سواد همدان ، وأبوه كان فلاحا ، ولقد رأيتُه ، إلا أنه يأتي لابن عباد في سَمْتِهِ ولزوم ناموسه حتى خفَّ عليه ، وهو اليوم قارون ؛ وقد علت رتبته في

(١) « يدل » .

(٢) ابن العَلَمِ ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ولد سنة ٣٣٨ .

(٣) ظنين ، أى متهم .

(٤) « ولغته » .

(٥) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، أحد فقهاء عصره ، ألف في الفقه كتاب « اللطيف » وكتاب « المقدمات » .

(٦) لعله يريد أبا القاسم الداركي ، نسبة إلى دارك ، قرية في أصفهان ، أحد فقهاء الشافعية وهو بغدادى ، أقام بنيسابور مدة ، وانتهى التدريس إليه بيغداد ، وأخذ عنه عامة شيوخها ؛ مات سنة ٣٧٥ .

(٧) في الأصل : « نذر » ؛ ولعل صوابه ما أجبنا . ويد : هرب .

الكلام حتى لا يزيد عليها ، إلا أنه مع ذلك نَعَلُ^(١) الباطن ، خبيث الخبء ، قليل اليقين ؛ وذلك أن الطريقة التي قد لزموها وسلكوها لا تفضي بهم إلا إلى . الشك والأرتياب ، لأن الذين لم يأت بكرم وكَيْفِ في كلِّ باب ، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر ؛ والقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة ، ولم يأت الجدال بغير قَطْ . وقد قيل : من طلب الدين بالكلام ألحد ، ومن تتبع غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفتقر . وما شاعت هذه الوصية جزافا ، بل بمد تجربة كررها الزمان ، وتطاولت عليها الأيام ؛ يتكلم أحدهم في مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عنده خشوعا ولا رقة ، ولا تقوى ولا دَمعة ؛ وإن كثيرا من الذين لا يكتبون ولا يقرءون ولا يحتججون ولا يناظرون ولا يُكرمون^(٢) ولا يفضلون خيرا من هذه الطائفة وألين جانبها ، وأخضع قلبها ، وأتقى الله عز وجل ، وأذكرُ للعتاد ، وأيقن بالثواب والعقاب ، وأقلق من الهفوة ، وألوذ^(٣) بالله من صغير الذنب ، وأرجع إلى الله بالتوبة ؛ ولم أر متكلما في مدة عمره ببكى خشية ، أو دمعت عينه خوفا ، أو أقلق عن كبيرة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين ، ويتلاقون متخادعين ، ويصنّفون متحاملين ؛ جَدَّ الله عروقهم ، وأستأصل شأقتهم ، وأراح العباد والبلاد منهم ؛ فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آقتهم على صغار الناس وكبارهم ؛ ودبَّ داؤمهم ، وعسر دواؤمهم ؛ وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعضا ، وساكنه متجمجا^(٤) .

(١) « نعل » . والنقل : الفاسد السيء .

(٢) « يلزمون ولا يفضلون » .

(٣) هذه الكلمة مطموسة بالأصل .

(٤) متجمجا ، أي ضاربا بنفسه الأرض من وجع .

قال : فما تقول في ابن الباقلاني ؟ ^(١) . قلت :

فما شرء ^(٢) الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبِحينا

يزعم أنه ينصر السنّة ويُفجِم المعتزلة وينشر الرواية ؛ وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخُرُميّة ، وطرائق الملحدّة . قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمحن الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج .

ثم قال : إن الليل قد ولّى ، والنعماس قد طرق العين عابثا ؛ والرأى أن نستجِم لنشيط ، ونستريح لنتعب ؛ وإذا حضرت في الليلة القابلة أخذنا في حديث الخلق والخلق — إن شاء الله — وأنا أزودك هذا الإعلام ليكون باعثاً لك على أخذ المتاد بعد أختباره في صدرك ، وتحويل الحال به عند خوضك وفيضك ولا تجبن جبن الضعفاء ، ولكن قل وأتسع مجاهرا بما عندك ، منفقاً بما معك . وانصرفت .

الليلة التاسعة

- (١) وعدت ليلة أخرى فقال : فأتحة الحديث معك ، فهات ما عندك . فكان من الجواب : أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صنف الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كدّر النوع الذي هو الإنسان والإنسان صنف الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفوا ومُصاصاً ^(٣) بهذا النظر أنتظم فيه من كل ضرب من الحيوان خلق وخلقان وأكثر ،

(١) ابن الباقلاني ، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أحد أعلام المتكلمين ، ومن أكبر أنصار مذهب الأشعري ، ومؤلف كتاب « إيجاز القرآن » مات سنة ٤٠٣ .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم ؛ وهو هنا على طريق التل .

(٣) المصاص : المصارة .

وظهر ذلك عليه ويطن^(١) أيضا بالأقل والأكثر والأغلب والأضعف ، كالكُمون الذى فى طباع السبع والقارة ، والثبات الذى فى طباع الذئب ، والتحرز الذى فى طباع الجاموس من بنات الليل ، والحذر الذى فى طباع الخنزير ، والتقدم الذى فى طباع الفيل أمام قطيعه تمثلا بصاحب المقدمة .

وكذلك ضد ذلك فى الخنزير تمثلا بصاحب الساقة ، وكالحراسة التى فى طباع الكلب ، وكأوب الطير إلى أوكارها التى تراها كالمعاقل وغيرها بالدَّغْل^(٢) والأشب والنياض .

ولهذا قال بعض الحكماء : خذ من الخنزير بُكورَه فى الحوائج ، ومن الكلب نُصحَه لأهله ، ومن الهرة لطفَ نفسها عند المسألة .

وقالت الترك : ينبغى للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب لحيوان : سخاء الديك ، وتمخّن الدجاجة ، ونجدة الأسد ، وحملة الخنزير وروغان الثعلب ، وصبر الكلب ، وحراسة الكركى ، وحذر الغراب ، وغارة الذئب ، وسمن بمرأ^(٣) ، وهى دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء .

ولما وهب الإنسان الفطرة^(٤) ، وأعين بالفكرة ؛ ورُفِدَ بالعقل ، جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفى نفسه ، وبسبب هذه المزية الظاهرة فضّل جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير^(٥) والإعمال واستخراج المنافع منها وإدراك الحاجات بها ؛ وهذه المزية التى له مستفادة بالعقل ، لأن العقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستعمل منهما ومؤدّر بعضها

(١) « ويطن » .

(٢) الدغل والأشب : الشجر الكثير اللثف بعضه ببعض .

(٣) كذا ورد اسم هذه الدابة فى الأصل . ولم نجد فيها بين أيدينا من الكتب .

(٤) « الفكرة » .

(٥) « بالتنجير والاقال » .

إلى بعض بالفيض الإمكانى والتوزيع الإنسانى ؛ فصوابُ بديهيةِ الفكرة من سلامة العقل ، وصوابُ رويةِ الفكرة من صحة الطباع ، وصحة الطباع من موافقة المزاج ، وموافقة المزاج بالمدد^(١) الاتفاقى والاتفاقِ التبييِّ ؛ أعنى بهذا أن وجه الحادث المجهول عندنا اتفاق ، ووجه الحادث المعلوم عند الله عزَّ وجلَّ غيب ؛ فلو ظهر هذا الغيب لبطل الاتفاق ، ولو بطل الاتفاق لارتفع التيب .

فاتسمت الأحداث [بين ما هو]^(٢) على جديلة^(٣) واحدة معروفة ، وبين نادر لا يدوم المهد به ، فدلَّ ما ظهر وأستمرَّ على ما جاد به ووهب ، ودلَّ ما غاب وأستتر على ما تفرَّد به وغلب .

ولما كان الحيوان كله يعمل صنائعه بالإلهام على وتيرة قائمة ، وكان الإنسان يتصرف فيها بالأختيار ، صحَّ^(٤) له من الإلهام نصيب حتى يكون رفدًا له فى أختياره ، وكذلك يكون النحل أيضا ، صحَّ له من الأختيار قسط فى إلهامه حتى يكون ذلك مُعينًا له فى اضطراره ، إلا أن نصيب الإنسان من الإلهام أقلُّ كما أن قسط سائر الحيوان من الأختيار أنزر^(٥) ؛ وثمرة أختيار الإنسان إذا كان مُعانا بالإلهام أشرف وأدوم وأجدى^(٦) وأقع وأبقى وأرفع من ثمرة غيره من الحيوان إذا كان صرفودًا بالأختيار ، لأن قوة الأختيار فى الحيوان كالعلم كما أن قوة الإلهام فى الإنسان كالظلم .

ومراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأخدم مُلهم

(١) « الندد » .

(٢) هذه التكملة التى بين سرابين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضئها .

(٣) الجديلة : الشاكلة يقال : هم على جديلة واحدة ، أى على شاكلة واحدة .

(٤) « وصح » .

(٥) « أكثر » .

(٦) « وأحد » .

فيتعلم^(١) ويعمل ، ويصير مبدأً للمقتبسين منه ، المتقدين به ، الآخذين عنه ، الحاذين على مثاله ، السائرين على غراره ، القافين على آثاره ؛ وواحد يتعلم ولا يلهم فهو يماثل الأول في الدرجة الثانية ، أعنى التعلم ؛ وواحد يتعلم ويلهم ، فتجتمع له هاتان الخلتان ، فيصير بقليل ما يتعلم مُكثِّراً للعمل والعلم بقوة ما يلهم ويعود بكثرة ما يلهم مصفياً لكل ما يتعلم ويعمل .

والكلام في هذه المواضع ربما جمَّح فلم يمكن كفه ، فينبغي أن يضح العذر إذا عرض تفاوت في الترتيب ، ودخل الخلُّ من ناحية التقريب .

وقال أبو سليمان لنا في هذه الأيام : [الإنسان^(٢)] بين طبيعته وهي عليه وبين نفسه وهي له ، كالمتهب المتوزع ، فإن استمد من العقل نوره وشاعه قوياً ما هو له من النفس ، وضمف ما هو عليه من الطبيعة [وإلا قد قوياً ما هو عليه^(٣) من الطبيعة] وضمف ما هو له من النفس .

وحكى لنا فقال : كان للحكاء الأولين مثلٌ يضربونه ويكتبونه في هياً كيلهم ومتعبداتهم وهو : « الملك للوكل بالدينا يقول : إن ههنا خيراً وههنا شراً ، وههنا ما ليس بخير ولا شر ، فمن عرف هذه الثلاثة حق معرفتها تخلص متى ، ونجا سليماً ، وبقى كريماً ، وملك نبيماً عظيماً » .

ومن لم يعرفها قتلته شرّاً قتلة ، وذلك أني لا أقتله قتلاً وحياً^(٤) يستريح به متى ، ولكن أقتله أولاً فأولاً في زمان طويل ، بحسرات على قوت مأمول

(١) في الأصل : « فيلهم » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا بدليل قوله بعد في القسم الثاني « فهو يماثل الأول في الدرجة الثانية أعنى التعلم » .
 (٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .
 (٣) « له » .
 (٤) وحياً ، أي سريماً .

بعد مأمول ، و بلايا يكون بها كالمغلول المكبول .

قال^(١) : هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة ، لكنك خلّيت يدك من طُرْفِ الحَدِيثِ فِي الخُلُقِ . قلتُ : إذا طاب الحديث بأسرّسال السجّية ووقوع الطمأنينة لها الإنسان عن مبادئه ، وسال مع الخاطر الذي يستهويه ، ولتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطل والزلل حدًّا إذا بلغه كلُّ الخاطر وأختل .

ثم نعود فنقول : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أعنى النفس الناطقة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، وسمات هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع .

ويمكن أن يقال في نعتها على مذهب التقريب : إنها بين المحمودة وبين المذمومة ، وبين المشوبة بالحمد والذم ، وبين الخارجة منها . فمن أخلاق النفس الناطقة — إذا صفت —^(٢) البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنه إذا عرف الإنسان قد عرف العالم الصغير ، وإذا عرف العالم قد عرف الإنسان الكبير ، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بجوده وجد ما وجد ، وبقدرته ثبت ما ثبت ، وبحكمته ترتب ما ترتب ؛ وبمجموع هذا كله دام ما دام .

بهذا البحث يتبين له ما تشتمل عليه القوة الغضبية والقوة الشهوية فإن تواجها تين القوتين أكثر ، لأنهما بالتركيب أظهر ، وفي^(٣) الكثرة أدخل وعن الوحدة أخرج ؛ فإذا ساستهما الناطقة حدّفت زوائدهما ، ونفّت فواضلهما

(١) قال ، أي الوزير .

(٢) « صفت » .

(٣) « وعن » .

وَوَفَّتْ نَوَاقِصَهُمَا ، وَذَيْلَتْ قَوَالِصَهُمَا^(١) أَعْنَى إِذَا رَأَتْ عُلْمَةً فِي الشَّهْوِيَّةِ أَخَذَتْ نَازِحًا ، وَإِذَا وَجَدَتْ السَّرْفَ^(٢) فِي الغَضْبِيَّةِ قَصَّرَتْ عِنَانَهَا^(٣) ؛ فَمِثْنُذُ يَقُومَانِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَعُودُ السَّفَهَ حَلْمًا أَوْ تَحَالُمًا ، وَالْحَسَدَ غِبْطَةً أَوْ تَغَابُطًا وَالغَضْبُ كَقَلْمًا أَوْ تَكَاطُمًا ، وَالنَّيْءُ زُشْدًا أَوْ تَرَاشُدًا ، وَالطَّيْشُ أُنَاةٌ أَوْ تَانِيَا^(٤) وَمَصْرَفَتْ هَذِهِ الْكُومَانِ فِي التَّكَامِينِ — إِذَا سَارَتْ سَوَّرَتْهَا ، وَثَارَتْ ثَوَّرَتْهَا — عَلَى مَنَاجِجِ الصَّوَابِ ، تَارَةً بِالْعِظَّةِ وَاللُّطْفِ ، وَتَارَةً بِالزُّجْرِ وَالنُّصْفِ وَتَارَةً بِالْأَثَقَةِ وَكِبَرِ النَّفْسِ ، وَتَارَةً بِإِشْعَارِ^(٥) الْحِذْرِ ، وَتَارَةً بَعُلُوِّ الْهَمَةِ ؛ وَهَنَاكَ يَصِيرُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْقَادِرِ أَلَدًّا مِنَ الْأَنْتِقَامِ ، وَالْعَفَافُ عِنْدَ الْمَسَائِجِ أَلَدًّا مِنَ قَضَاءِ الْوَطْرِ ، وَالْقَنَاعَةُ عِنْدَ الْمَحْتَاجِ أَشْرَفَ مِنَ الْإِسْفَافِ ، وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ الْمُتَوَتِّرِ آتَرٌ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَالذَّارَةُ عِنْدَ الْمُحْفَظِ^(٦) أَطِيبَ مِنَ الْمَارَاتِ .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، الْخُلُقُ الْحَسَنُ^(٧) مُشْتَقٌّ مِنَ الْخُلُقِ ، فَكَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ الْخُلُقِ كَذَلِكَ لَا قُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الْخُلُقِ ، لَكِنَّ الْحِصْنَ^(٨) عَلَى إِصْلَاحِ الْخُلُقِ وَتَهْدِيبِ النَّفْسِ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْحِكْمَاءِ بِالْعَبَثِ وَالتَّجْزِيفِ ، بَلْ لِمَنْفَعَةٍ عَظِيمَةٍ مَوْجُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَمِثَالُهُ أَنَّ الْحَبْشِيَّ يَتَدَلَّكَ بِالْمَاءِ وَالْفُسُولَ لَا يَسْتَفِيدُ^(٩) بِيَاضًا ، وَلَكِنْ

(١) ذيلت قوالصهما ، أى طولت ما قصر وتبض منهما .

(٢) « البرف » .

(٣) « عنانها » .

(٤) « تانيا » .

(٥) « باشما والحذر » .

(٦) « التحفظ » .

(٧) الظاهر أن قوله « الحسن » زيادة من الناسخ . فسياق الجملة يقتضى أنه يريد

الخلق الحسن وغيره .

(٨) « لكراحص » .

(٩) « يستفيد » .

ليستفيد ثناء شديداً^(١) بالبياض؛ ويقال للمهذار: «أَكْفُفْ» لا يكف^(٢) عن النطق، ولكن ليؤثر الصمت.

ويقال للموتور: «لا تحقد» لا يزول عنه ما حنق^(٣) عليه، ولكن ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا أبداً.

وقد تقرّر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله مختلفة، أعنى أن كل ما يدور عليه ويمحور إليه^(٤) مقابل بالصد^(٥) أو شبيه بالصد كالحياة والموت، والنوم واليقظة، والحسن والقبيح، والصواب والخطأ، والخير والشر، والرجاء والخوف، والعدل والجور، والشجاعة والجبن، والسخاء والبخل، والحلم والسفَه، والطيش والوقار، والعلم والجهل، والمعرفة والنكرة والعقل والعمق، والصحة والمرض، والأعتدال والانحراف، والعفة والفجور والتنبه والغفلة، والذكر والنسيان، والذكاء والبلادة، والعبطة والحسادة والدمائة والكرآزة^(٦)، والحق والباطل، والنجى والرؤشد، والبيان والحصر والثقة والأرتياب، والطمانينة والثهمة، والحركة والسكون، والشك واليقين والخلاعة والوقار، والتوقى والتهوؤر، والإلف والمَلل، والصدق والكذب والإخلاص والنفاق، والإحسان والإساءة، والنصح والنش، والمدح والذم وعلى هذا الجزر والسحب^(٧)؛ ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انقطاع.

(١) « تشبها » .

(٢) « لتكفى عنه » .

(٣) « طيق » .

(٤) « ويجوز عليه » .

(٥) « بالصدأ » .

(٦) « الكرامة » بالمهملتين .

(٧) « الجراء والسجب » .

فما ينبغي أن يُعنى الإنسانُ الحبُّ للتبصرة ، المؤثرُ للتذكرة ، الجامعُ للنافع له ، النافي ^(١) للضارِّ به في هذه الأحوال التي وصفناها بأسمائها معرفةً — ما استطاع — باجتلاب ^(٢) محمودها واجتناب مذمومها ، وتمييزه بما يمكن ^(٣) فيه أو تقليده ، أو إطفاء جهرته ، أو أجتناء ثمرته ، والطريق إلى هذا التمييز واضح قريب ، كأن ^(٤) تنظر إلى الحياة والموت فتعلم أن هذين ليسا من الأخلاق ولا مما يعالج بالاجتهاد ، وإلى النوم واليقظة فتعلم أنهما ضروريان للبدن من وجه ، وغيرُ ضروريَّين من وجه ، فتتفني ^(٥) منهما ما خرج عن حدِّ الضرورة وتُسَلِّمُ البدن ما دخل في حدِّ الضرورة ؛ ولا يكثرن ^(٦) الإنسانُ نومَه ولا سهرَه ، ولكن يطالب العدل بينهما بقدر جهده .

فأما الحسن والقبيح فلا بدَّ له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجور ^(٧) فيرى القبيحَ حسناً والحسنَ قبيحاً ، فيأتى القبيحَ على أنه حسن ، ويرفض الحسنَ على أنه قبيح ؛ ومناشئُ الحسن والقبيح كثيرة : منها طبيعي ، ومنها بالعادة ، ومنها بالشرع ، ومنها بالعقل ، ومنها بالشهوة ، فإذا أعتبر هذه المناشئ صدق الصادق منها وكذب الكاذب ، وكان أستحسانه على قدر ذلك ومثال ذلك الكبر فإنه مصيب بالنظر الأول ، لكنه حسنٌ في موضعه بالعلَّة ^(٨) الداعية إليه ، والحال الموجبة له .

- (١) « الثاني » .
- (٢) « اجتلاب » متعلق بـ « يعني » .
- (٣) « يمكن » .
- (٤) « كأنك » .
- (٥) « فيستعمل » .
- (٦) « يكون » .
- (٧) « يجوز » .
- (٨) « بالعلَّة » .

وأما الصواب والخطأ فأمران عارضان للأقوال والأفعال والآراء ، وليسوا
بمُخْلِفينَ مُخْضينَ ، ولكنهما موكولان إلى نور العقل ، فما أشرق^(١) عليه العقل
بنوره فهو صواب ، وما أفل^(٢) عنه العقل بنوره فهو خطأ .

وأما الخير والشرّ فهما في العموم والشُّمول ليسا بدون الصواب والخطأ
لها مناط بكلّ شيء ، ويغلبان على الأفعال ، وإن كان أحدهما عندما للآخر .
وأما الرجاء والخوف فهما عرَضان للقلب بأسباب بادية وخافية ، ولا يدخلان
في باب الخلق من كل وجه [ولا يخرجان أيضا بكل وجه] وهما كالإماديين
للإنسان قد أستصلح لهما ، ورُبطَ قوامُهُ بقلبيهما وضعفهما .

وأما العدل والجور فقد يكونان خُلُقَيْنِ بالفِطْرَةِ ، ويكونان فِعْلَيْنِ بالفِكرَةِ
وجانباهما بالفعل^(٣) الصق ، وإلى الأكتساب أقرب .

وأما الشجاعة واللين فهما خُلُقَانِ متصلان بالخلق ، ولهذا يعزّ على الشجاع
أن يتحوّل جبانا ، ويتعذّرُ على اللين أن يصير شجاعا ، وكذلك طرفاهما
داخلان في الخلق أعنى التهور والتوق^(٤) .

وأما السخاء والبخل فهما خُلُقَانِ محضان أو قريبان من التخصّص ، ولهذا
تعلق الحمد والذم بهما وبأصحابهما ، والمدح والمجوسر^(٥) إليهما واتصلا بهما ؛

(١) « أشرف » .

(٢) « أفل » .

(٣) « بالفعل » .

(٤) في الأصل : « واللين » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « وكذلك طرفاهما إذ
اللين لا يكون طرفا لللين ، ويدل على صحة ما أثبتنا ذكره التوق بجانب التهور فيما سبق

في ص ١٤٩ س ١٤ .

(٥) « ربا » .

وقد يندم السخى على بذله كثيرا خوفا من الإملاق ، فلا يستطيع ذلك إذا أخذته الأريحية ، وحركته اللوذعية ؛ وقد يلوم البخيل نفسه كثيرا إذا سلقته الأسنة الحداد ، وجبه^(١) بالتوبيخ ، وشمخ^(٢) عند رؤيته الأنف ، وغضن^(٣) الجبين وأولم^(٤) بالعدل وقوبل ؛ ومع ذلك فلا يرشح إلا على بطاء وكلفة وتضجر ؛ والكلام فى هذين الخلقين طويل ، لأنهما أدخل فى تلاقى الناس وتعاطيهم فى عشرتهم ومعاملتهم .

وأما الحلم والسفة فهما أيضا خلقان ، والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخلق ابن الخلق ، والولد شبيه بوالده ؛ وفى الجملة ، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان « لا تفعل هذا » ، « وأقلل من هذا وكف عنه » فإنه فى باب الأفعال أدخل ، وكل ما لم يجر أن يقال ذلك فيه فهو فى باب الأخلاق أدخل ، ثم لبعض هذا نسبة إلى الخلق أو الخلق ، إما ظاهرة غالبية وإما خفية ضعيفة .

وأما الطيش والوقار فهما يختلطان بالحلم والسفة ويجريان معهما ؛ فليس ينبغى أن ينشر الكلام ويطول الشرح .

وأما الجهل واللم فليسا^(٥) من الأخلاق ولا من الخلق وإنما^(٦) يُبرزان من صاحب الأخلاق والخلق للمزاج أثرين قويين^(٧) واحدهما عدم

(١) « وجه » .

(٢) « وسبح » .

(٣) « وعض » .

(٤) فى الأصل « واكيل بالعدل وقوتل » .

(٥) « فلما » .

(٦) فى الأصل : « وإنما كانا يبرزان » .

(٧) « أثر قوى » .

والآخر وجدان ، والعدم^(١) لا يكون أعدمَ من عدم ، والوجدان يكون أئينَ من وجدان .

وأما المعرفة والنكرة فهما في جوار العلم وضده ، ولكنهما أعلق بالحسِّ وألصق بالنفسين ، أى الشهويَّة والنضبيَّة .
وأما العقل والحُموق فليسا من الخُلُق ، والكلام في تفسير العقل مشهور^(٢) ، وعدمه الحق .

وأما الصحة والمرض فليسا أيضا من الأخلاق ، ولكنهما يوجدان في الإنسان بواسطة النفس ، إما في البدن ، وإما في العقل ، ولذلك يقال : أمراض البدن ، وأمراض النفس ، [وصحة البدن]^(٣) وصحة النفس .

وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان في الخُلُق بوجه ، ويخلصان منه بوجه ، ويعتدأ أعراض البدن وأعراض النفس ، ويوصف بهما الإنسان ، على أن الانحراف المطلق لا يوجد ، والاعتدال المطلق لا يوجد ، ولكن كلاهما بالإضافة . وأما العفة والفجور فخلقان لها سَجْمرة^(٤) ومهُود ، والحاجة تمس إلى العدل في استعمال العفة وتنفى^(٥) الفجور ، وإذا قويت العفة حالت عصمة ، وإذا غلب الفجور صار عدوانا .

وأما التنبيه والغفلة فقريبان من الخُلُق ويغلبان على الإنسان ، إلا أن فرط التنبيه موصول بالوَحْى ، وفرط الغفلة موصول بالبهيمية .

(١) « والعدو » .

(٢) « يستمر به » .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضى إنباتها .

(٤) « سجرة » بالمهملة .

(٥) « وتنفى » .

وأما الذكر والنسيان فليسا بخُلُقَيْنِ محضَيْنِ ، ومنشؤهما بالمزاج ، وأحدهما من
علائق النفس العالمة ، والآخر من علائق النفس البهيمية .
[وأما الذكاء والبلادة^(١)] فهما خُلُقَان ، ونعتهما كنعمت الذكر والنسيان ،
إلا أن هذين^(٢) يعرضان في الحين^(٣) بعد الحين ، والأخريان^(٤) كالراسخين
في الطينة .

وأما الغيبة والحسد فخلقان رُسيم الأول منهما بأن تتمنى لنفسك ما أوتيته
صاحبك [ورُسيم الثاني بأن تتمنى زوال ما أوتيته صاحبك]^(٥) وإن لم يصل
إليك . ورسوم هذه الأخلاق أسهل من تحديدها ، لكننا تركنا ذلك ، لأن
الكلام الذي كان يجري هو على مذهب الخدمة .

على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعتمدا حد واحد ، وإنما
اختلفت منازلها لأنها^(٦) تارة تصفو بقوة النفس الناطقة ، وتارة تكدر بالقوتين
الأخريين ؛ ولبعضها حدة بالزيادة ، ولبعضها كلة بالنقص ، فلم يكن التحديد
يُفصّل^(٧) كل ذلك ، فلم نخرج^(٨) على شيء عجزنا عنه قبل أخذنا فيه . وتتم
بقية ما علق بهذه الجملة ، فنقول :

وأما الدماثة والكرهانة فخلقان محضان تابعان للمزاج ، ثم اللان يزيدهما
قوة وضما ؛ وهما للنعمة أقرب ، كالتسوية والمسرة ؛ ولذلك يقال : « ما أدمت

(١) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٢) هذين ، أي الذكر والنسيان .

(٣) « الحين بعد الحين » .

(٤) الأخريان ، أي الذكاء والبلادة . وفي الأصل « والأوليان » .

(٥) هذه العبارة أو ما يفيد معناها سائطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) « لأن » .

(٧) « بنقص » .

(٨) « يرح » .

هذه الأرض » ، أى ما أَرخاها وألِينها ؛ وفي التَّمَثَل : « دَمَّتْ لَجَنِبِكَ قَبْلَ النَّوْمِ ^(١) مُضْطَجِمًا » .

وأما الحق والباطل فليسا من الخُلُق ولا الخُلُق فى شىء ، وهما من نتائج المعرفة والنكرة ، لأنك تعرف الحق وتنكر الباطل ، وذلك لأغراض تتبعهما ، ولواحق تلتبس بهما .

وأما الفى والرُشْد فليسا من الخُلُق ، لكنهما من علائق الأفعال الحميدة والنسيمة ؛ وللرأى والعقل ^(٢) فهما مدخل قوى وحفظ تام .

وأما البيان والحَصْر فليس بينهما وبين الخُلُق علاقة ، وإنما يتبعان الزاج ريزيد فهما وينقصُ الجهدُ والتوانى والطلب والقصور .

وأما الثقة والأرتياب فخلقان يغلبان ينفعان ويضران ويحمدان ويُذمَّان ألا ترى ^(٣) أنه يقال : لا تثق بكلِّ أحد ، « ولا ترتبْ بكلِّ إنسان » وهكذا العُلمانية والتُّهمة ، لأنهما فى طبيهما .

وأما الحركة والسكون فليسا ^(٤) من حديث الخُلُق فى شىء ، لأنهما عامتان ^(٥) لجميع الأحوال سواء كان العمل مباشرا أم كان معتقداً ؛ وفى الحركة والسكون كلامٌ واسع ، وذلك أن ههنا حركة إلهية ، وحركة عقلية ، وحركة نفسية ، وحركة طبيعية ، وحركة بدنية ، وحركة فلكية ، وحركة كوكبية ، وحركة

(١) فى الأصل « الترب » . وهذا صدر بيت ، وعجزه :

* لا تسلكن طريقاً غير مأمون *

(٢) « والمقد » .

(٣) « إلا أن ترى » .

(٤) « فلياً » .

(٥) « علمان » .

كأنها سكون . فأما السكون فهو ضرب واحد ، لأنه في مقابلة كل حركة ذكرناها . فإذا اعتبرت هذه المقابلة في كل مقابل لحظ الأقسام في السكون ، كما وُجد الأقسام في الحركة .

والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي ، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي ؛ وهذا القدر كافٍ في هذا الموضع .
وأما الشك واليقين ، فمن علائق النفس الناطقة ، ولهذا لا يقال في الحيوان الذي لا ينطق : له يقين وشك .

وأما الخلاعة والوقار ، فقد تقدم البحث عنهما ^(١) .
وأما التوقى والتهور ، فهما خلقان في جميع الحيوان ، ويغلبان على نوع الإنسان ، لأن العقل يبطل ^(٢) أحدهما ^(٣) ، والحس ^(٤) يغلب الآخر ^(٥) .
وأما الإلف والممل فخلقان محضان ، يُدَمَّان ويُحَمَّدان على قدر المألوف والمملول ، وإن كان جرَّيان العادة قد وفرَّ الحمد على الإلف ، والذم على الممل .
وقد مُدِّح زيد فقيل : هو أوف . وذمَّ عمرُّو فقيل : هو مملول .
وأما الصدق والكذب ، فمن علائق النفس الناقصة والكاملة ؛ وقد يكونان ^(٦) [راسخين ^(٧)] فيلحقان بالخلق ، إلا أن الصدق ممدوح ، والكذب

(١) بلا حظ أنه لم يرد فيما سبق ذكر للخلاعة والوقار ، ولا ما يفيد معناها .

(٢) « تظل » .

(٣) يريد بقوله « أحدهما » : التهور .

(٤) « والحسن » .

(٥) يريد بقوله : « الآخر » التوقى .

(٦) « يكرَّان » .

(٧) هذه الكلمة التي بين مربعين أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى لإبانتها كما يرشد إليه ما يأتي بعد في صفحة ١٥٧ في الكلام على الإحسان والإساءة : « فإنا رسخ اعتيادهما استعمالاً مختلفين » .

مذموم ، هذا في النظر الأول ، وقد يعرض ما يوجب المصير إلى الكذب لينجى به ؛ فهما إذن بمد الحقيقة الأولى وقف على الإضافة ؛ وقد وجدنا من كَذَّبَ لينتفع ، ولم نجد من صدق ليكتسب الضرر .

وأما الإخلاص والنفاق ، فهما يلحقان بالخلق ، ولكنهما يصدران عن عقيدة القلب وضمير النفس .

وأما الإحسان والإساءة ، فهما يعتمدان الأفعال والأقوال ، فإذا رَسَخَ أعتيادها أستحالا خلقتين .

وأما النصح والنشء ، فهما خلقتان ، وطرفاهما يتعلقتان بالخلق . وكذلك الطمع واليأس ، والحب والبغض ، والألّهج والسؤء ، وما شاكل هذا الباب .

ولم يجر هذا كله في المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضَمَّ هذا كله إلى حَوَمَتِهِ (١) ، وأبلغ الممكن من مقتضاه في تتمته .

وقال (٢) لى : هاتِ الوداع ، فإن الليل قد همَّ بالإقلاع . قلتُ : قال أبو سعيد الذهبي الطيب : لو علم الذى يحمل الباذنجان أن على ظهره باذنجانا لصال على الثيران (٣) .

فضحك — أضحك الله سنه ، وحقق في كل خير ظنه — وقال : إن كنت تحفظ في غرائب أخلاق الحيوان شيئاً فأذكره إذا حضرت ، فقد مرّ في أخلاق الإنسان ما يمكن مجلس الإمتاع والمؤانسة ، فإذا ضمَّ هذا إلى ذاك كان للإنسان فيه تبصر كافٍ ، وتذكر شافٍ . وصدق — صدق الله قوله —

(١) « حرمة » .

(٢) وقال ، أى الوزير .

(٣) « الثيران » .

لأن الإنسان أشرفُ الحيوان ، وإنما كان هكذا لأنه حاز جميع قوى الحيوان ثم زاد عليه بما ليس لشيء منه ، فصار ركباً له سائسا ، ومصرقا له حارسا ، ونظير إلى ما سُخر له منه فاعتبر ، وقاد^(١) نفسه إلى حسن ما رأى ، وعزفها عن^(٢) قبيح ما وجد ، ولم يجز في الحكمة أن يُحرّم الإنسان هذا مع ما فيه من المواهب السنية ؛ والمنافع الهنية ، فإن قال قائل : فالملائكة إذن قد حرمت هذه الفضيلة ، فليعلم هذا القائل أن المَلَك لما خُلِق كاملا لم يكلف أن يكمل ويتكامل ويستكمل ، فصار كل شيء يطلبه ويتوقاه سببا إلى كماله المعد له وغايته المقصودة . فإن زاد فقال : فهلا خُلِق^(٣) كاملا؟ فليعلم أن كلامه على طريق الجدال ، لاعلى طريق البحث عن الملل ، لأنه قد جهل أنه بالحكمة وجب أن يكون الأمر مقسوما بين ما يحوز الكمال بالجيلة^(٤) ، وبين ما يكسب الكمال بالتقصد .

ولما وجب هذا بالحكمة سرت إليه القدرة ، وساج به الجود ، وأشتملت عليه المشيئة ، وأحاطت به الحكمة ، وشاعت فيه الربوبية .

ولهنا زيادة في شرح الخلق يتم بها الكلام ؛ فليس من الرأي أن يقع الإخلال بذكرها ، لأنها مكشوفة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا غلبت الحرارة عليه في مزاج القلب يكون شجاعا بذلا^(٥) ملتها ، سريع الحركة والغضب قليل الحقد ، زكي الخاطر ، حسن الإدراك .

وإذا غلبت عليه البرودة يكون بليدا ، غليظ الطباع ، ثقيل الروح .

(١) « وعاد » .

(٢) « من » .

(٣) خلق ، أى الإنسان .

(٤) « بالجيلة » .

(٥) « دالا » .

وإذا غلبت عليه الرطوبة يكون لين الجانب ، سمح النفس ، سهل التقبل كثير النسيان .

وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابرا ، ثابت الرأي ، صعب القبول يضبط ويحسد^(١) ، ويُمسِكُ وَيَبْخُلُ ؛ وهذا النعت على هذا التنزيل — وإن كان مفهوما — فأسرار الإنسان في أخلاقه كثيرة وخبية^(٢) ، وفيها بدائع لا تكاد تنتهي ، ومجائب لا تنقضي ؛ وقد قال الأول :

كلُّ أمرٍ راجعٌ يوما لشيئته وإن تخلَّقَ أخلاقا إلى حين
وقال آخر :

إزجِعْ إلى خِيَمِكَ المَعْرُوفِ دَيْدَنُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ
ولولا أن النزوع عن الخلق شاق لما قالوا : تخلَّق فلان .

وقد قيل أيضا : « وخالق الناس بخلق حسن » ، وعلى هذا يجري أمرُ الضريبة والطبيعة والتَّحِيَّةِ والغريزة والتَّعْيِيزَةِ والسَّجِيَّةِ والشَّيْمَةِ ، وربما قيل : الطبيعة أيضا ، ثم العادة تاليةٌ لهذه كلها ، أو زائدةٌ فيما نقص فيها ، وموقدةٌ لما سمَّ منها .

الليلة العاشرة

ولما عدتُ في الليلة الأخرى ونَمِمتُ بهذه الفضيلة ، تفضَّل وقال : ما في العلم شيء إلا إذا بُدئ بالكلام فيه أتصل وتسلسل حتى لا يوجد له مَقَطَعٌ ولا منقذ ثم قرأتُ عليه نوادرَ الحيوان ، وغرائب ما كنتُ سمعتهُ ووجدتهُ ، فزاد عجبًا

(١) « ويحسد » .

(٢) « وخبية » .

وأنا أرويه في هذا المكان حتى يكون تذكرةً وفائدة — إن شاء الله تعالى .
يقال : إن أسنان الرجل اثنتان وثلاثون سنا .
وأسنان المرأة ثلاثون سنا .
وأسنان الخصى ثمان وعشرون سنا .
وأسنان البقر أربع وعشرون سنا .
وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .
وأسنان الثيس ثلاث وعشرون .
وأسنان العنز تسع عشرة سنا .
الذي ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلاً : البومة والوطواط .
ومن الحيوان الوحش ما يستأنس سريعاً : الفيل
ويحكى أن الحيوان الذي أسنانه قليلة عمره قصير ، والذي أسنانه كثيرة
عمره طويل .
الفيل إذا ولد نبتت أسنانه في الحال ، فأما أسنانه الكبار وأنيابه الكبار
فتظهر إذا شب وكبر .
قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما خلا الإنسان ، فإن
قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .
الأفعى تبيض في رحمها ، ثم يصير هناك حيواناً .
الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأشعار والحاجبين .
وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين وشعر اللحية :
(إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت في جسده الشعر الذي يتأخر نباته ،
وإن خصى بعد احتلامه فإن ذلك الشعر يزول ، ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبر .
 وشعر الأشفار لا يطول .
 للأرانب في داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .
 القنفذ في فيه خمس أسنان في عمقه .
 والبرية منها تسفد قائمة وظهر الأثني لاصق بظهر الذكر .
 الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء ، والنساء في الصيف .
 الخنزير إذا تمت له من ولادته ثمانية أشهر ينزوع على الأثني .
 الكلبة تحمل وتبقى ستين يوما ويوما ، وهذا أطول ما يكون ، ولا تضع
 قبل أن يتم حملها ستين يوما ، فإن وضعت قبل ذلك فإنها لا تربى ولا يبقى
 لها ولد .
 الفيل الذكر ينزوع إذا تمت له خمس سنين ، وزمان هياجه ونزوه أيام الربيع
 والأثني تحمل سنتين ، ولا تضع إلا واحدا .
 إذا باض الطائر وما كان من أصنافه يخرج من البيضة الطرف العريض
 ثم يرق بمد ذلك .
 كل ما كان من البيض مستطيلا محدد الطرف فهو يفرخ الإناث
 وما كان مستديرا عريضا الأطراف يفرخ الذكور .
 وجرب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض^(١) تمرض .
 القبيج^(٢) إذا هاج ووقفت الأثني قبالة الذكر ، وهبت الريح من ناحية
 الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها .

(١) « الطير » .

(٢) القبيج : الكروان .

الحمامة إذا نُتِفَت ريشة من ريشها احتبس بيضها أكثر مما لها بالطبع .
مبدأ خلق الفَرخ من بياض البيضة ، وغِذاؤه من الصُّفرة ، فإذا خرج
فَرخان كان أحدهما أكبر جِثَّة من الآخر ، والذكر منهما من البيضة الأولى
ومن الثانية الأثني .

الفاخنة^(١) تعيش أربعين عاما .

والصَّجَل^(٢) يعيش عشرين عاما .

الرخمة تُفَرخ على صخور مشرفة عالية لا يغالها أحد ، ولا توجد رَحمة
وفراخها إلا في الفَرط^(٣) .

العُقاب يجلس على البيض ثلاثين يوما ، وكذلك كلُّ طائر عظيم الجِثَّة
مثل الإوز وما أشبهه ، والمتوسط الجِثَّة يجلس على البيض عشرين يوما ، كالحِدَاة
والبُرَاة وما أشبه ذلك .

إناث العُرَبان تجلس على البيض جلوسا دائما ، والذكر يأتيها بالطعم حينئذ .

الصَّجَل تعمل عُشَّين يجلس الذكر على واحد ، والأثني على واحد .

الطاوس يعيش خمساً وعشرين سنة ، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه .

ويحضن بيضه ثلاثين يوما . قيل : وربما أكثر قليلا ، ويبيض في كلِّ سنة

مرة واحدة ، وعدد بيضه اثنتي عشرة بيضة ، ويُلقِي ريشه في زمن الخريف

وبعدَه قليلا ، وذلك حين يُلقِي الشجرُ ورقه ، فإذا بدا أولُ الشجر وظهرتُ

فروعُه ، ونبت ورقه بدأ ريشه يَنْبُت .

(١) الفاخنة : ضرب من الحمام الطوق .

(٢) الصَّجَل : طائر على قدر الحمام كالفراخ أحمر المنقار والرجلين ، ويسمى دجاج البر ؛ وهو

صنفان : نجدي وتهايم ؛ فالنجدي أخضر اللون أحمر الرجلين ؛ والتهايم فيه بياض وخضرة .

(٣) الفَرط : الجبل الصغير أو رأس الأكمة .

الذئبين^(١) له لبن ، ويُرَضِع ، ويَحْمِلُ عشرة أشهر ، وتلد في الصيف ولا تلد في زمان آخر البتة ، وربما غاب تحت الموج في ثلثاء ثلاثين يوما لا يظهر ؛ وهو محب لخبرته يأكله .

الجمل الذكْرُ يكره قُرْبَ الفرس ويقاُتله إذا تمكن منه .

الشاة إن مُطرتْ بعد نَزْوِها أنتَقَضَ حَمْلُها .

الغَمَّ إذا أُزْيِتَ والريحُ جَنُوبٌ تضع أولادها إناثا ؛ وإن كانت العروق التي تحت السُنَّ الكِبَاشِ الفُحُولُ بيضا فإن إناث الغمَّ تضع حَمَلاتنا بيضا ، وإن كانت العروق سُودا فإنها تضع حَمَلاتنا سُودا . وإن كانت لونين تكون مختلفة ؛ وإن كانت شُقرا خرجت شُقرا .

الغَمَّ إذا هاجت المُسِنَّة منها أولا فالسنة ذات خِصْب ، وإن هاجت الفتية أولا فالسنة رديئة على الغمَّ .

الكلبُ السَّلُوقِيُّ [يَبزُو^(٢)] إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنتى منها تحمل ستين يوما ، وربما زادت يوما أو يومين ، وجراؤها عُمى^(٣) اثنتين وعشرين يوما . ومنها ما يحمل ثلاثة أشهر وتكون جراؤها عميا سبعة عشر يوما .

إناث الكلاب تَطْمَثُ في كلِّ سبعة أيام وتبول جالسة ، ومنها ما ترفع رِجْلَها عند البول .

ذكور الكلاب ترفع أرجلها للبول إذا تمت لها من ولادتها ثمانية أشهر . وبعضها في ستة أشهر .

(١) الذئبين من دواب البحر ، اشتهر بأنه ينجى الفريق ؛ وصفته كالزق للنفوخ وله رأس صغير جدا ، ولا يؤذى أحدا ، وهو كثير بأواخر نيل مصر .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) « على » .

ذكور الكلاب السلوقية تعيش عشر سنين ، وإناثها اثنتي عشرة سنة ، ومن
أجناسها ما تعيش عشرين سنة ، وإناثها كلها أطول أعمارًا من الذكور .

قال أوميروس الشاعر : إن كلب إديوس هلك وهو ابن عشرين سنة .
وليس تُلقي الكلابُ شيئًا من أسنانها سوى النابيين ، فإذا تمَّ للكلب
أربعة أشهر أبقاها .

البقر تُلقي أسنانها لسنتين ، وإذا كثرت نرؤُ الذكور منها وحملُ الإناث
يكون ذلك علامةً شتاء وجودِ أمطار وخصب ، وإناثها تَطْمَثُ .

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهرًا ، أو في الثاني عشر .
الحيات رَعِيَّةٌ نَهْمَةٌ ، قليلة شرب الماء ، لأنها لا تضبط أنفسها ، وإذا شمت
الشراب فإنها تشتاق إليه جدًا .

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .

البقر تشتهي شرب الماء الصافي النقي ، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل
الجمال الماء الكدِر الغليظ .

الغنم في الخريف تشرب الماء الذي تصيبه ريح الشمال ، وذلك الوقت
أوفق لها .

الدجاج إذا هبَّت الريح شمالًا تتزاوج ^(١) وتُخصِبُ ، وإن كانت جنوبًا
سادت حالها ومرضت .

السماك الذي يأوى إلى الشطوط من ناحية البرِّ ألد من الذي يأوى إلى البحج
وما كان منها مستطيل الجثَّة فهو يُخصب في الصيف وهبوب الشمال ؛ والعريض

(١) « تتزاوج » .

الجلثة على ضد ذلك ، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعى ، وطلب الطَّم .

والسمك الجاسى الجلد يخصب في السنة المطيرة ، لأن ماء البحر يحلو فيها . الكلب له ثلاثة أمراض : الكَلْب ، والذُّبْحَةُ^(١) — وهو القاتل لها — والبقرس .

والداء الذى يقال له الكَلْب يعرض للجمال أيضا ، فإذا كَلِبَ الجمل بَحْرَ ولم يؤكل لحمه .

الخيل إذا ألتت حوافرها وقت تَنْصُل^(٢) نبت لها حافر آخر عاجلا ، لأن نباته يطلع مع نصول الحافر .

وعلامه ذلك اختلاج الحصية اليمنى .

ويعرض للخيل داء شبيه بالكَلْب ، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية أعرافها ، وامتناعها من المَلْف ، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين .

لا يكون في بلد الهند خنزير . لا أنيس^(٣) ولا برى ، وفي أرض تُعرف بكذا يحجز البقر كما يحجز الغنم ، وفي أرض الثوبة تولد الكباش نابثة^(٤) القرون .

وإناث الكلاب السلوقية أسرع إلى الأدب من الذكور .

جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع ، ما خلا الذئبة ، فإنها أصعب خلقا وأجراً من الذكور .

العقاب والتنين يتقاتلان ، والعقاب تأكل الحيات حينما وجدتتها .

(١) « والدلجة » .

(٢) نصول الحوافر : خروجها من مواضعها .

(٣) « إلا أنس ولا يرى » .

(٤) « نائثة » .

الغُذاف^(١) يخطف بيض البومة نصف النهار فيأكله ، لأن البومة لا تبصر بصراً حاداً في ذلك الوقت . فإذا كان الليل شددت البومة على بيض الغُذاف فأكلته . بين العنكبوت وبين الحرذون^(٢) شرٌّ ، لأن الحرذون يأكل العنكبوت . عصفور الشوك يقا تل الحمار ، لأن الحمار إذا مرّ بالشوك أفسد عشه ، فإذا نهق بالقرب منه وقع بيضه ، وإن كان فيه فراخ خرجت منه ، فهذه العلة يطير هذا العصفور حول الحمار وينقره .

الغراب يعادى الثور والحمار وينقرهما .

والحية تعادى الخنزير وأبن عرس ، لأنهما يأكلان الحية حيث وجداهما . الغُذاف مصادق للثعلب ، والثعلب مصادق للحية ، « والسبب^(٣) في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض ، وهو وكره ، والحمار يرعى ذلك الشوك إذا كان رطباً » .

البقر يكون في الجبال إذا ضلت بقرة تبعثها الأخرى ، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وققدوها من ساعتهم .

الخيل إذا ضلت الأنتى منها أو هلكت ولما ولد فإن إناث الخيل ترضعه وتربيه ، وذلك أن جنس الخيل في طباعها حُبّ أولادها .

الأيائل تُلقي قرونها في أما كن عَمِرة صمبة ، لا تُرْتَقِي لثلاثاً تؤخذ ؛ ولذلك قيل في المثل : حيث تُلقي الأيائل قرونها ، فإذا أَلقتها توقّت أن تظهر إلى أن تنبت ، كأنها قد أَلقت سلاحها . وقيل : إنه لم يماين أحد القرن الأيسر من قرنها ، لأن فيه منعمة عظيمة .

(١) الغُذاف : غراب كبير يكون ضمنم الجناحين .

(٢) الحرذون : دوية شبيهة بالضب ؛ وقيل : ذكر الضب .

(٣) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذه العبارة التي بين هاتين الملامتين .

وإذا وضعت أولادها أكلت مشائمها من ساعتها ، ولا يمكن أخذها لأنها تأكلها من قبل أن تقع على الأرض .

والأيلة تصاد بالصغير والغناء ، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يقف ويصفر ، والآخر يرشقها بالسهم ، فلا يصفأها^(١) إلى الصغير والغناء لا تحذر السهام .

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به ، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك [عليه] .

الفهد إذا أكل المشببة التي تسمى خائقة^(٢) الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتمالج به .

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية .

اللقاق إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صمغاً برياً .

يقال إن ذكور العصافير تبقى سنة فقط ، والدليل على ذلك — أنها من قبل أطواقها التي في أعناقها — لا تظهر في الربيع ، بل بعد ذلك بأيام ، لأنها لا تبقى شيئاً من الذكور التي كانت من العام الماضي ، فأما إناثها فهي أطول أعماراً .
إذا دنا الصياد من عش القبج فخرج الأنتى من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها ، ثم تطير وتدعو فراخها إليها .

وإناث القبج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر منها يطلب موضع بيض أنثاه فيدحرجه — مخافة أن تقعد عليه وتشتغل عنه — فيفسده ، وهي تحتال أبداً في الهرب منه وتخفي موضع عشاها ، فتبيض في أماكن خفية ، ومتى^(٣) قصدها

(١) « ملاصقاً لها » .

(٢) « خائقة » .

(٣) « ومن » .

قامت عنه وأطمعت في نفسها حتى تبعد عن أماكن بيضها ، فإذا بعد طارت
ثم أحتالت في الرجوع إليه .

المدهد يعمل عشه من زبل الإنسان ، فلذلك رأته كريمة .

العقاب تصيد منذ حين الغداة إلى وقت الرواح ، فأما من أوان الرواح^(١)
إلى أن يترحل النهار فهي قاعدة في مكانها لا تتحرك .

ومنقار العقاب الأعلى ينشأ ويعظم ويتعقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها
لأنها لا تنال به الطعم ، فإذا فضلت للعقاب فضلة من طعمه وضعها في عشه
لحاجة فراخه إليها .

أصناف الطير الملققة الخالب لا تجلس على الصخر إلا في القروط ، لأن خشونة
الصخر مخالفة لتعقف مخالبا .

النحل تعمل عشها في زمانين : في الربيع والخريف . والعسل الذي عمله
في الربيع أشد بياضا وأجود من الذي عمله في الخريف

وأضعف العسل يكون أبدا في أعلى الإباء ، والنقي الطيب في أسفله .

الأسد عظامه جاسية جدا ، وإن دُلكت بمض عظامه ببعض خرجت منها
نار كما تخرج من الحجارة .

الحيوان الذي له شعر [في أشفار^(٢) عينيه] ليس في أشفار عينيه شعر إلا
الشعر الأعلى .

والنعامة لها أشفار في الجفنين الأعلى والأسفل .

(١) « الصبح » وهو تبديل وقع من الناسخ يناقض ما قبله .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؟ والسياق يقتضيها .

القنفذ تبيض خمس مبيضات، وليس هو بيضا بالحقيقة، بل هو على صورة البَيْض، يُشبه الشحم .
 قلبُ كلِّ حيوان طرفه حادٌ، وهو أصلب من سائر جسده، وهو موضوع في وسط الصدر سوى الإنسان، فإنه مائل فيه إلى الناحية اليسرى، لأنه يكون بإزاء (١) الجانب (٢) الأيسر فيعادل الناحية اليمنى، فإن اليسرى من الإنسان أكثر بردا .

وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل، وفي جنس من البقر، فإن في قلب هذين عظاما دون غيرها من الحيوان .
 وكل حيوان له قلبٌ كبيرٌ يكون جزوعا .
 الكلاب الهندية تتولد من كلب وسبع شبيه بالكلب .
 والحمار حيوان بارد، ولذلك لا يكون الوحشي منها [إلا (٣)] في المكان البارد .

ذكور البغال لا تشم أبوال إناثها كسائر ذوات الحافر .
 ببيض الطير فيه لونان : بياض وصفرة .
 وبيض السمك فيه لون واحد .
 إذا كانت الريح جنوبا كان المولود أنثى، لأن الجنوب إذا هبت رطبت وإذا أشملت كان المولود ذكرا .
 عيون جميع الصبيان ساعة ولادتهم سُهل (٤)، ثم تنتقل إلى الطباع الغالبة عليها .

(١) « يأناء » .

(٢) « الجانب » .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها .

(٤) سهل : من الصهلة بضم الشين . وهو أن يتوب سواد العين زرقا ؛ وقيل أن

تشوب الحدقة حمرة وليست خطوطا .

وعيون جميع الحيوان لون واحد ، كالبقر فإن عيونها سود . وعيون البشر^(١) ألوان كثيرة .

صاحب العين الناتئة^(٢) لا يُبصر ما بعد عنه بصرا جيدا ، والغائرة تُبصر ما بعد عنها ، لأن حركتها لا تتفرق ولا تتبدد .

العهد ربما نكح الذبّ فيتولد بينهما سبعٌ مختلف المنظر ، لا يتناول الناس ويصيد الكلاب ويأكلها ويستخفي في البحر ، فإذا مرّ به أبلّ مفاجأة وثب عليه وأنشب^(٣) مخالبه في أكتافه ومصّ دمه حتى يضعف الأبل^(٤) ويسقط فيجتمع عليه هذا الصنف من السباع فيأكله ، فإن أجتاز بها أسد نهضت عنه وتركت الفريسة له تقرّبا إليه .

بأرض يونان معزى جمدة الصوف ، يقال لها : المعزى البرية ، فإذا أصابت قرونها شيئا من قصبان الكرم لم يثبت ورقه ولا ثمره ، بل يجف مكانه ويسقط ما عليه من الورق والثمر .

السُّلْحَفَاء تخرج من البحر إلى الرمل فتبيض فيه ، حتى إذا بلغ أوانه وخرج أولادها ، فما كان ناظرا إلى ناحية البحر كان بحريا ، وما كان وجهه إلى ناحية البر كان برّيا .

والسُّلْحَف تمتنع من الذُّكران ، فيأتيها بعدد يحمله في فمه ، ويدنو منها ، فإذا رأت ذلك العود سكنت له .

وما كان من السُّلْحَف بحريا فخرج إلى البر وأصابه حرّ الشمس لم يستطع

(١) « السر » .

(٢) « الثانية » .

(٣) « وأنبت » .

(٤) الأبل .

الرجوع إلى البحر وبقي حتى هلك . وما كان برتياً فوقع إلى ناحية البحر تَلَفَ ولم يستطع الرجوع إلى البرِّ وهلك .

الثعلب يهَيُّ عُنْثَهُ وَوَكْرَهُ ذَا سَبْعَةِ أَجْحَرَةٍ ، فَإِذَا ^(١) طَرَقَتْهُ الْكَلَابُ وَغَيْرُهَا مِمَّا يَتَخَوَّفُ [فِي جَحْرِ ^(٢)] خَرَجَ مِنْ غَيْرِهِ .

وَإِذَا قَارَبَ الزَّرْعَ أَنْ يُسْبِلَ ^(٣) دَخَلَ الثَّلْبُ فِيهِ وَتَمَكَّ فَرِحَا بِهِ ، فَيُفْسَدُ ذَلِكَ الزَّرْعُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَحْتِرَاقُ ^(٤) الشَّعْرِ : دَاءُ الثَّلْبِ ، لِأَنَّهُ ^(٥) يُسْقِطُهُ كَمَا يَذْهَبُ وَرَقُ السَّنْبِلَةِ وَالشُّوكَةِ .

الْقَنْفَذُ يَمْعِدُ إِلَى الْكِرْمَةِ فَيَحْتَرِّكُهَا فَيَقَعُ مِنْهَا الْعَنْبُ ، فَيَتَمَرَّغُ فِيهِ حَتَّى يَمْلَأُ شُوكَهُ وَيَعُودُ إِلَى عُنْثِهِ ، فَإِذَا بَصُرَتْ بِهِ جَرَاؤُهُ أَطْلَفَتْ بِهِ تَلْتَقِطُ ذَلِكَ الْحَبَّ مِنْ شُوكِهِ وَتَأْكُلُهُ .

الذَّئْبُ إِذَا هُمِّيَ مِنْ مِعَاهُ وَتَرَّ وَهَمِّيَ مِنْ مِعَى الشَّاةِ وَتَرَّ ، ثُمَّ عَلَقًا بِأَلَاتِ اللَّامِي ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِمَا ، صَوْتُ الْعَمُولِ مِنَ الذَّئْبِ ، وَخَرَسُ الْوَتْرِ الْعَمُولِ مِنَ الشَّاةِ . وَكُلُّ شَاةٍ يَتَنَاوَلُ الذَّئْبُ مِنْ لَحْمِهَا يَكُونُ لَحْمًا حَلُولًا لِنَيْذِهَا ، وَكُلُّ جِزَّةٍ صَوْفٍ تَهَيُّهَا مِنَ الشَّاةِ الَّتِي قَدْ تَنَاوَلُ الذَّئْبُ مِنْهَا قَبِيلُ الثَّوْبِ الْعَمُولِ مِنْهَا مِنْ قَبِيلِ ^(٦) سُمِّهِ .

الْكَلْبُ إِذَا مَرَّضَ أَكَلَ حَلْفَاءَ رَطْبَةً .

(١) « كما إذا » .

(٢) هذه التكلة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « يسيل » .

(٤) « اختراق » .

(٥) « لأنه » أي داء الثعلب ؛ « يسقطه » ، أي يسقط الشعر .

(٦) « سم » .

والأيل إذا مرض أكل حية .
والضبع إذا مرض أكل كلبا .
الأسد إذا أكل كلبا فإنه يكون قد ضرس فيزول ذلك .

الرخمة إذا ضعف بصرها بقرت حرارة إنسان
الأعنز البرية [تألف^(١)] حيتانا بحرية ، وتدع الجبال وتسلك طريقا بعيدا
حتى تأتي البحر لمكان تلك الحيتان ، فلما عرفت ذلك الملاحون سلخوا جلود تلك
الأعنز ، ودنوا^(٢) بها من شاطئ البحر على ظهورهم ، فإذا نظرت^(٣) تلك
الحيتان إليها خرجت مسرعة إليها فيصيدها الملاحون .

ليس من السباع شيء صلبيه عظم واحد بلا نخرز إلا الأسد والضبع .
من ربط على بدنه سننا^(٤) من أسنان الذئب ولبسه لم يخف الذئب .
والفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجرى .
المعزى البرية تكون صلبة القرون ، تأوى أطراف الجبال وما كان مشرفا
من الصخور على أودية ، فإن بصرت بالصياد ألقت نفسها من تلك الصخور
لتقيا بقرونها ، فإن سقطت على غيرها هلكت ، وفي قرونها خرزات مستديرات
على قدر ما يكون عدد سننها^(٥) .

والعجب أنها تحفظ إنائها عند الكبر وتتمهدها بالمطعم والمشرب تحمله
على أفواها .

(١) في الأصل : « الأعنز البرية حيتانا » بقوطة كلمة « تألف » أو ما يفيد معناها .
(٢) « وذبوا » .
(٣) [ظهرت] .
(٤) « شيتا » .
(٥) « سنوها » .

المعزى البرية إذا صيد شيء من سخالها تبعته ورضيت بالمبودية مع ولدها
وفي أطراف قرونها جحرة تنفّس منها ، فإن سُدتْ هلكت مكانها .

الورشان^(١) يتحرّز بأن يضع ورق النار في عُشه .

والحدأة تضع في عُشها ورق الملق يتحرّز به .

الخطاف يضع في عشه قضيب كرفس .

التدرج^(٢) يضع في عُشه سرطانا نهرياً .

جميع السباع والدواب عند المشى تقدّم اليد اليمنى والرجل اليسرى .

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء .

إذا هم أصحاب الخيل أن يُنزرو^(٣) حماراً على فرس جزوا عرفها فتمتر^(٤) حينئذ

وتذلّ لكدم^(٥) الحمار لها .

يونان ثيران لها أزيمة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجمّع إناث

الخيول ، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر .

الجاموس لا ينام أصلاً وإن أرخى عينيه إرخاء سيراً ، لكنّه ساهر

الليل والنهار .

الجلل إذا وقع على الناقة وقع الضراب سُتر عن الرجال ، فإن نظر إليه

رجل غضب .

قالت الروم : إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع .

(١) الورشان : طائر شبه الحمام ، وهو نوبى وحجازى ، والنوبى أشجاءها صوتاً .

(٢) التدرج : طائر كالدرج حسن الصوت يفرّد في البساتين .

(٣) « يشترّوا » .

(٤) « فيفر » وهو محريف .

(٥) « لكدم » . والكدم : المض .

[لَا يَنَامُ^(١)] البوم إلا إغفاءة^(٢) .

ومن العجب أن السنور يكون صافى العين كثير البريق عند امتلاء الهلال
وينقص ذلك الصفاء^(٣) والبريق عند نقصان الهلال .

الأففى إذا جامعها الذكر وأسمه الأفموان تحوّلت إليه ، فإن ظفرت به
أكلت رأسه من شدة عشقها له .

ذكر المقرب اسمه عُقْرُبَان ، أسود صغير ، سريع المشى ، جاد^(٤) الذهب
الحِرْدُون^(٥) تفسيره بالعربية اللدى يخرج من الزعفران .

التمساح لا يكون إلا فى النيل ونهر بأرض الهند يقال له : الرسيس
ويبيض كبيض الإوز ، وربما يؤلّد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ
طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً كلما أزدادت سنو حياته .
وسنّه اليسرى نافعة لحمى النافس .

وذكر أنه يجامع ستين سرّة فى حركة واحدة ومحل واحد .

الحمار الوحشى يتولد بين الفرس والفيل ، وله قرن يثبت من أنفه كأنه
سيف ، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل الفيل ويبعج^(٦) بطنه بقرنه ، ولم
يُعمّر من هذا الجنس أنثى قط .

فى البحر حوت يقال له : البوس ، يتولّد من الصاعقة إذا كانت فى البحر

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضئها .

(٢) « إغطاء » .

(٣) « الصفا » .

(٤) « جاد » .

(٥) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ما يفيد أن لفظ الحردون غير عربى ولا أن
تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف ، كما أننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة فى الحيوان .

(٦) « وبعج » .

وإن وُضع ذلك الحوت بين اثنتين فأكلا منه تمأباً ولا يحمّد أحد على صاحبه ، ويتأخيان أحسن الإخاء .

كلب الماء أبداً ذنّبه على ظهره واقع مع انطباق والتواء ، يرعى نبات الأرض ، وهو شديد الجزع من النار ، فإذا كان الليل خرج الصيادون بأيديهم شعل النار ، فيأتون بجسمها ، وتلك لا تتحرك لجزعها من النار حتى تؤخذ ، وإن كان منها ذكر لم يجمع أثنى قطاً ، وإذا أرادت الجامعة فانها تجتمع وتجلد^(١) فتفرخ .

وإن أخذ منها صياد بشبكة واحداً وثبت كلها حتى تدخل الشبكة آية فراق بعضها بعضاً .

ومن لبس جورياً من جلودها وبه نفرس انتفع به جداً .
وإذا ابتلى إنسان برعاف ثم أخذ قطعة من جلدها ، ثم أنقذ في ابن وأشتمته أنقطع ذلك الرعاف .

اليرابيع إذا اجتمعت في موضع ارتفع رئيس لها حتى يكون في موضع مشرف أو على صخرة أو تلّ ينظر منه إلى الطريق من كل ناحية ، فإن رأى أحداً مقبلاً أو سبها صرّ^(٢) بأسنانه وصوت ، فإذا سمعته انصرفت عن الموضع إلى جحرتها فإذا أغفل ذلك وعانيت البقية سبها أو راجلا قبل أن يراه ذلك الرئيس انصرفت إليه وقتلته لتضييمه أو غفلته .

وإذا كان حسن الرصد مضت اليرابيع فقطعت أطراً ما يكون من الخصرة وأطيب المشب فحملته بأفواها حتى تأتيه تهمية وتكرمة .

(١) في الأصل « وتجلد وتفرخ » والمراد بالجلد هنا جلد سميرة .

(٢) « صر » .

وإذا كانت في جِجَرَتِهَا خرج الرئيس أولاً فيبصر الطريق ، فإن لم ير أحدا صرَّ بأسنانه وصوت لها لتخرج فترعى .

في البحر حوت يقال له : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، إذا جاع خرج إلى الشاطئ فاستلقى على الرمل فأقام شوكة في رأسه ، فإذا نظر إليه حوت آخر جاء مسرعا لياً كله يظن (١) أنه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

وإذا ألقى الملاح صِنَارَتَهُ ولقيت ذلك الحوت رعى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويترح أداة صيده .

فإذا رأى الحوت أن الصنارة دخلت أضلاعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده ، والملاحون يغطون سُنَمَهُمْ به عندما يتبينون (٢) الصواعق ووقوع المطر ، ويدنو هذا الحوت إلى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه (٣) اللطيف ، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة ، فنأخذ من جلدها وسنر به شراع السفينة لم يخف على سفينته (٤) غرقا .

السريع الحضر أربعة : النمر والحريش (٥) وعنز الجبل وكباشها .

عدو الحيات أربعة : القنفذ والفيل والأيل والعقرب .

(١) فظن .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « سون » .

(٣) بطرفه ، أى طرف مقدم السفينة . واللطيف : العقيق .

(٤) لسفيتها .

(٥) الحريش : دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من قوة الجسم

وسرعة الحركة ما يسجز الفئاس ؛ ولها في وسط رأسها قرن واحد مصبت مستقيم تناطح به .

الجبان اثنان : الأرنب والأيل .
 ذو الزهو ثلاثة : الفرس والديك والطاوس .
 ذو حدة السمع ثلاثة : الذئب والحمار والخلد ^(١) .
 القادر في الأزواج ثلاثة : العصفور والحمام والتمتعق ^(٢) .
 ذو الشهوة ثلاثة : العصفور والثور والباشق ^(٣) .
 لمتحارس بالليل اثنان : السكركي والبط .
 نافي فراخه ثلاثة : النعام والغداف والقاب .
 محب الظلمة ثلاثة : البوم والحفاش والخلد .
 ذو حدة البصر ثلاثة : العقاب والظبي والباشق .
 من أخذ لسان ضبع وصر به بين الكلاب لم تكلم عليه .
 من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلاً من أصول عنب الحية هربت
 منه . وعنّب الحية هو الحنظل .
 وذكر الحباري يقال له : الخرب .
 إذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها بعيانه ^(٤)
 وبين يديه أحدهما .

(١) الخلد : دوية تحت الأرض ؛ وهي ضرب من الجرذان .
 (٢) التمتعق : طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب ، وجناحاه أكبر من جناس
 الحمامة ، ذولونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب .
 (٣) الباشق : ضرب من بزاة الصيد ، وهو طائر خفيف الحمل شديد الملح ، يأنس
 ديناً ويستوحش حيناً .
 (٤) الواو في قوله « وبين يديه » واو الحال ، أى كأنه يعاينها حال كون أحدهما مثلاً
 ن يديه يعاينه . وفي الأصل « بعيانه وبين يديه بأحدهما » .

من الحيوان ما لا يشبه الولدُ الوالدَ كالديبة والنحل والدَّبْرُ^(١) .
 أما الديبة فتضع أولادها توأمَ لا صور لها حين تولد ، غير أن أمها تهيبُ
 ، وتسويها بلحسها إياها بالسنتها...^(٢)
 وأما الدَّبْرُ فإنها تلد دودا يتصوّر بمد ذلك .
 الضفادع والفيالم^(٣) والسرطانات لا ضرر عليها في ماء ولا ييس ، لكنهما
 عندها سيان لا تهلك في برّ ولا تُخنق في بحر .
 كلُّ ما أكل اللحم فهو ذو أسنان قواطع صلاب ، وأعناقٍ قصارٍ شداد ،
 ومخالبٍ وأظفارٍ حداد ، ومناقيرٍ معقّفةٍ جذابة .
 للأسد ثلاث طبائع : الأولى منها أنه إذا مشى فشمّ ريح الصيادين عنيّ
 على آثاره بذنبيه لكيلا يتبعه الصيادون ويقفوا عليه في عرينه فيتصيّدوه .
 والثانية أن البؤة تلد شبلها ميتا ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه في اليوم
 الثالث فينفخ في منخره فيبعثه .
 والثالثة أنه يفتح عينيه إذا نام وهما يقظتان .
 ومن تمسح بشحم كلى الأسد ومشى بين السباع لم يخفها ولم تقربه ؛ وإن
 افترس^(٤) الأسدُ الفريسة ولم يأكلها ميّز أن ريحها منتنة جدا .
 وأصناف الحيوان التي تلغ الدم بالسنتها : الكلابُ والسنائير .

(١) « الدين » . والدبْر : الزناير .

(٢) « سورها » .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ ، إذ كان مقتضى السياق أن يتحدث عن

النحل بعد الديبة .

(٤) الفيالم : ذكور السلاحف ، الواحد غيلم بفتح أوله .

(٥) « وإن لم يفترس » .

الأسد : تضع أولادها غيرَ منفتحة العيون ، وإنما تفتح بعد ذلك .
 وأما الأسد^(١) خاصة فليس له من جنسه قرين ، ولا يرعى شيئا من السباع
 كفتوا له فيصحبه ، ولا يقرب شيئا من بقايا فريسته بالأمس ولو جهده الجوع
 ويهر^(٢) زيرؤه كثيرا من الحيوان الذي هو أعظم منه جسما وقوة .
 وإنما تلد اللبؤة واحدا ويحرق^(٣) بطن أمه بأظفاره ويخرج منه .

الثعلب إذا جاع فلم يقدر على صيد عمده إلى أرض شديدة الحرّ وإلى
 موضع الطير^(٤) إذا حمى ، فاستلقى على ظهره ونظر إلى فوق ، ثم اختلس نفسه
 وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات ، فيقع عليه
 ليا كل منه كما يأكل الجيفة ، فإذا اجتمع الطير انتفض سريعا وقبض على
 ما وجد فأكله ، لأنه ذو خب^(٥) ومكر ، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فأثر
 فيه آثارا وكلّم فيه كلوما أخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا^(٦) فأبرأها به .

القرد أهيأ الحيوان لقبول التعليم ، وهو لعوب غضوب سريع الحس ،
 لا يكون في بلد كثير السباع ، عدو لجميع الحيوان ، مليح الإهاب ، نهوش^(٧)
 خطوف ، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام ، فإذا خرج صاح بصوت

(١) يزيد قوله : « وأما الأسد خاصة » الخ أن هنا كلاما قبل ذلك في أصناف الحيوان

الذي له قرين من جنسه ، وسقط هذا الكلام من الناسخ .

(٢) يهر ، أى يجعلها تصوت من الفزع والخوف .

(٣) « ويحرق » .

(٤) « البير » .

(٥) الحب بكسر الحاء وتشديد الباء : الخداع والسكر .

(٦) كذا في الأصل . والذي في ابن البيطار : قنطوريون ؛ وهو صنفان : كبير وصغير ،
 فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكرنب ؛ وله ساق شبيهة بساق الحمّاض
 طولها ذراعان أو ثلاث . وله شعب كثيرة من أصل واحد ، عليها رهوس شبيهة بالخشخاش الخ
 وهذا هو المراد هنا .

عالٍ تخرج منه رائحة طيبة ، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته .
ومن أراد ختله^(١) فليتمسح بشحم الضبع ويدخل عليه في غاره ، فإنه لا يمتنع ؛
خفيفُ الجرم ، حديدُ الشد^(٢) يَقْظان .

دابة يقال لها بالفارسية (در باست) إذا طلبه القانص^(٣) أستلقى لظهوره
وأراه أنه لا خصية له ، كأنه قد علم ما يُطلب منه .
خُلِقَ الجبانُ من الحيوان الخائفِ سريعِ الحُضْرِ سريعِ الحركة ، وجُعِلَ
الصنْفُ الجريءُ العادي بطيء الحُضْرِ^(٤) مبلدا .

الضبع مخالفة^(٥) لجميع أجناس الحيوان ، وذلك أنها تصير مرة ضبعا ذكرا
ومرة أنثى ، تُلَقَّحُ أحيانا كالذكر ، وتقبل اللقاح أحيانا كالأُنثى .
وطبيعتها أنها إذا رأت الكلب في ليلة مقمرة مشت على الآثار ووطئت
ظله^(٦) فوقه .

« ومن قتل ضبعا وأخذ لسانها ومرّ بين الكلاب لم تكَلِّب^(٧) عليه ، ولم
تعرِّض له .
ومن مرّ بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من حنظل ، أسكتها عنه
وهربت منه » .

(١) « قتله » .

(٢) « السر » .

(٣) « القانص » .

(٤) « الحذر » .

(٥) مخالف .

(٦) عبارة حياة الحيوان : الضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع الكلب فأكلته .

(٧) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين في ص

القنفذ عدو الحيات ، إذا قبض على حية تركها تضطرب على شوكة حتى تموت ، فإذا ماتت قطعها قطعاً .

الدب يقتل (١) الثور ، والغالب عليه الانبحار في مغارته (٢)

الفيل ليس له شهوة السقاد (٣) ، فإذا أراد الولد أنى رياضاً وجناناً (٤) فيها اللقاح (٥) هو وإنائه فهيج له اللقاح برأحمته وقوة حرارته شهوته قسافت ، فإذا ولدت ولدت قائمة ، لأن أوصلها ليست مواتية كأوصال التي تلد باركة وراضة غير أنها تلد في الماء حذراً على دغفها أن يموت إذا وقع على الأرض ، فلذلك تدخل ساحل البحر حتى يبلغ الماء بطنها فتضع ولدها على الماء كالقراش الوثير والدكر في ذلك يحرسها وولدها من الحية .

ما أشد عداوة الفيل للحية ؛ حيثما أصاب الفيل الحية وطئها وقتلها . وإن هو سقط على جنبه لم يستطع القيام ، إنما نومه إذا أتكا على شجرة . ومن هناك — لما عرّف أهل تلك البلاد (٦) كيف نومه — يأتون الشجرة فينشرونها بالمنشار ، فإذا أتاها الفيل واتكا عليها وقعا على الأرض معا ، وحينئذ يشتد صياحه بصوت رفيع ، ويجمع إليه لذلك قبيلة كثيرة تحاول معاونتته على النهوض والأنبعاث ، فلا تقدر على ذلك ، فتصيح جماعتها بصوت واحد جزعاً من ضعف حيلتها وعجزها حتى يأتي الفيل الذي هو في الجسم أصغر ، وفي

(١) في الأصل : « يصل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما يأتي في

س ١٨٥ سطر ١٢ و ١٣ .

(٢) « مفادته » .

(٣) « الفساد » .

(٤) « وحصانا » .

(٥) « اللقاح » باللفاف .

(٦) تلك البلاد ، أى التي تكون فيها القبيلة .

الحيلة أكبر منها ، فيدخل مشفره^(١) تحت القيل الساقط ، وتفعل كفعله جميعا في إدخال مشافيرها^(٢) تحته حتى تدغمه فينبعث ، وإنما كَوْنُ رأسِ القيل في عنق قصير ، وكَوْنُ له بدلَ المنق الطويل المشفر الطويل ليكتفى به من الضيق ؛ وبه يتناول طعامه وشرا به .

وخلقت قوائمها غير منفصلة ، لكنها كالأساطين المصمتة والسواري الوثيقة لتحمل الكثير الثقيل ؛ ورُبطت بمراقيب صغار غير منحنية ولا منثنية على الأوصال ، لكن عظامه مفرغة إفراما .

تطول أعمارها إلى ثلاثمائة سنة ؛ غير أن الجُرْذَانِ والبق تعلق بالقبيلة فتؤذيها . السنندل^(٣) : دابة لا تخاف النار ، لأنها لا تحرقها ، وإن دخلت أخذوداً متأججا مضطربا بالنار لم تحفل بذلك ، وصارت النار التي تُبيد الأجسام مبعثا لهذه الدابة الصميمة الحقيرة ، تستلذ الثقلب فيها أستلذاذ القلب بالهواء البسيط وهبوب أرواحه^(٤) الطيبة ؛ ونضارة جلدها وتنقيته بالنار ، فيزداد بالنار حسن لون .

الأرنب من طباعها الجبن والخوف ، وهي كثيرة الولادة .

الكلب ذو لحص وأقتناء للأثر ، وبشمه يسترشد^(٥) ويهتدى ويستدل إذا شم العوالمى عرفه إن كان له أول غيره .

ومن طباعه الترضى والبصصة والمشاشة^(٦) لمن عرفه .

(١) « مشفره » .

(٢) « مشافيرها » .

(٣) السنندل : دابة دون الثعلب خلجية اللون ، جراء العين ، ذات ذنب طويل .

وقيل : طائر .

(٤) « وأرواح هبوبة » .

(٥) « يسترشد » .

(٦) « والمشاشة » .

ليس في الحيوان أشدَّ حبا لصاحبه منه ، فإن أشار له ^(١) على صيد وثب ناصبا رأسه وافما ذنبه مستمداً كالفارس ، البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب وهو يعلم أن الصيد ليس بمحاضر ، لكن ذلك منه حسن طاعة .
فأما حب بعض جراء الكلاب لبعض إذا كان أخاه لأم ولأب فما قد عهد وشوهد ، وذلك أنه حيث كان يُطرح لها الطعام في الوسط ، فلا يخطف واحد منها ذلك ، لكنها تتعاطاه بينها بسكون وتمكين بعضها لبعض ، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه .

الفرس من طباعه الزهو والحرارة وشهوة الإناث للسفاد . وإن وطئ الفرس أثر وطء الذئب ارتعد وخرج الدخان من جسده كله .
الذئب إذا رأى الإنسان مبطلنا خطوه وهو ساكن سكت عنه ، فإن رآه خاف وجبن اجترأ ^(٢) وحمل عليه وكبسه .

وليس كل ذئب يعدو ، ولكن هو الذي يكون ضاريا ؛ وفيه خلتان : إحداهما أن يكون منفردا يمشى وحده ، والأخرى حدة سمعه ، إن خفي عليه مكان النعم أتى مكانا وعوى صوتين ^(٣) أو ثلاثة ، ثم سكت منصتا لأصوات الكلاب التي مع النعم ونباحها حين سمعت عواهه ^(٤) ، فإذا سمع نباح الكلاب شد ^(٥) مسرعا نحوها ، قاصدا إليها ؛ فإذا قرب من النعم مال إلى ناحية أخرى خالية من محرم ^(٦) الكلاب فاختطف ما أمكنه خطفه من النعم .

(١) عبارة الأصل ؛ « وضع أشلاءه » والكلمة الأولى زيادة من الناسخ ، وفي

الثانية تحريف .

(٢) « واجترأ » .

(٣) « قوتين » .

(٤) « عواه » .

(٥) « مد » .

(٦) « محرم » .

حمار الوحش إذا ولدت الأنتى الأولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى
 تلك الذكور وقطعها بأسنانه لكيلا^(١) تُصَادَ أو تُشَارِكه في طروقة^(٢) ، إلا
 أن الأنتى ربما وضعت ولدها في مكان غامض حتى يشتد جسمه وتصلب
 حوافره ، ويقوى بالشد على النجاة من الفحل ، ولهذا السبب يقل منها القحول .
 الحريش^(٣) دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من
 قوة الجسم وسرعة الحضر ما يُعجز القناص^(٤) عنها ، ثم لها في وسط رأسها قرن
 واحد منتصب مستقيم ، به تُناطح جميع الحيوان فلا يفلها شيء .

احتل لصيدها بأن تعرض لها فتاة عذراء وضيئة ، فإذا رأتها وثبتت إلى
 حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة ، فإذا هي صارت
 في حبر الفتاة أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان
 من الخمر والوسنان من النوم ، فيأتيها القناص^(٥) على تلك الحال فيشد من
 وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة .

الايئل عدو الحيات إن قربت منه حية فأنجحرت في صدع صفا ملاً
 الايئل فاه من القدير أو من حيث وجد فدفعه في ذلك الصدع ، ثم أجتذب
 الحية إليه بالقوة حتى يقتلها ، وإن كانت فوق أنزلها ، وكذلك إن كانت
 أسفل ، فإن كان جائعا أكل ما أصاب منها ، وإن لم يكن به جوع قتلها وتركها
 فصارت الحيات ذوات السم الزعاف المُميت لكل من أصابه أو خالط بدنه

(١) يريد بقوله « لكيلا تصاد » أنها إذا خصيت قويت على الجري فلا يقوى الصيادون
 على اصطيادها .

(٢) يريد بالطروقة : الأتان التي يطرقتها الفحل .

(٣) « الحرس » .

(٤) « القياس » .

(٥) « الناس » .

غذاء هذه الأيائل ، ويكون ملأماً لها لذيذا عندها .
 وإن دخن البيت الذي فيه الحيات بدخان حريق قرن الأيائل فررت
 منه كلها خوفاً .

على أن الأيائل تقسه جبان شديد الرعب ، إذا أكل الحية بدأ بذنبا حتى
 ينتهي إلى رأسها ، ثم يقطعه بأسنانه ، وأكبر^(١) من ذلك [أنه] يتعلق
 برؤوسها وتبقى في الهواء . وتكثر فيه الميرة^(٢) ويعطش عطشا شديدا فيعوج
 إلى غدير الماء .

الغزال ، يقال : ليس في الحيوان أبصر من الغنم ؛ ويقال لها باليونانية
 النظارة والمبصرة .

الثور دابة عمول كدود مقدر جسمه بقدر قوته . من طبيعته كثرة المني
 وتوقد شهوة السفاد ، إن لم يخص لم يذلل للعمل ولم يسكن ولم يصح جسمه
 لأن الغلظة تحمل^(٣) جسما تنجله ، والخصاء يقطع ذلك كله . وبينه وبين
 الذئب^(٤) عداوة شديدة .

أعز^(٥) الجبل وكباشه وهي الأزواء والثياتل هذا جنس متمرّد في الجبال
 سريع الحضر في الشواحق والتوقل^(٦) فيها^(٧) وطبيعتها أن تلد توأم .

(١) أي وأكبر مما مرّ من دلائل جبنه أنه لا يقطع رؤوسها بأسنانه كما سبق ، بل
 يتعلق بها فلا يأكلها خوفاً ولا يلتصق بها من فيه فتبقى رؤوسها معلقة في الهواء . هذا ما يلوح لنا
 من معنى هذه العبارة .

(٢) الميرة : خلط من أخلاط البدن ، وهي الصفراء .

(٣) « تدخل » .

(٤) « الذئب » .

(٥) « أعز » . ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة .

(٦) التوقل : الصعود .

(٧) « في الماء » .

قد يوجد من البهائم ما لا يحميل ، فأما أتى الخليل إذا كانت حاملا فوطئت
أثر الذئب بحافرها أجهضت حملها .

الحارز في طبيعته معرفة صوت الإنسان الذي أعتاد استماعه وإيناسه ، لا يضل عن
طريق مسلكه مرة ولا يخطئه ، إذا ضل راكبهُ الطريق هده وحمله على التحجّة .
وأما حدة السمع ، فليس في البهائم فيما يُذكر أحدٌ سَمما منه .

اليامورة^(١) دابة وحشية نافرة ، لها قرنان طويلان ، كأنهما منشاران
تتشربهما الشجر ؛ إذا عطشت وردت الفرات وعليه غياطل^(٢) وغياض ملتفة
أشجارها تفرغت من أغصانها غصون طول دفاق مشبكة ، فإذا شربت ربها
وأرادت الصّدر أشتت الاستتار^(٣) والتدوّ بين تلك الأشجار «ولجّت^(٤) هناك»
فملق قرّناها بتلك الغصون اللدنة المتينة ، وكلما عالجتها لتفلت أزدادت ارتباطا
فإذا ضجرت مما وقع فيه عجت جزعا ، وسمع القناص صوتها فأتوها فقتلوها .
الجمل : حقود ، يرتصد من ضاربه الفرصة والنخوة لينتقم منه ؛ فإذا أصاب
ذلك لم يستبق صاحبه ، فأما ظهره فذو سنّام مقبب يكون لكثرة الحمل
وأحتمال الثقل ، وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب ، وأوتارها وعروقها
متينة شديدة ، وعصبه وثيق لم يشتد^(٥) بضغط التحام مفاصله وأتصالها ولم
يسترخ مطويا^(٦) ، لكنها هيئت على الاعتدال^(٧) ليهون عليه بذلك البروك

(١) «الغامورة» .

(٢) الغياطل : الكثير اللثف من الشجر والنبات .

(٣) «الانقيار» .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مؤخره عن هذا اللوح ؛ والسياق يقتضى وضعها هنا .

(٥) «لم يستبد» .

(٦) «مطويا» .

(٧) في الأصل «الاعتدال» ؛ وهو تحريف ؛ والمراد بالاعتدال هنا أن أعصابه ليست

شديدة ولا مسترخية ، بل هي بين ذلك .

والنهوضُ بعمله ، مع تسهيل الأرتقاء عليه في ذلك .
البغال : نوعٌ هَجِينٌ قد أنبثنا أنه لا يلد ، إلا أنه أهدى للطريق ^(١) للناس
وأثبت حفظا .

الثيران وكل ذى قرن لا يأخذهُ الفُواق .
وأما سباع الطير وآكلات اللحم منها فصِلاب الأظفار ، حُجْنٌ ^(٢) المناقير
ذات حدة وقوة ، قوية الأجنحة .
والنواهض ^(٣) التي فيها القوادم أكثر طيرا .

الديكُ صِلَفٌ في طبيعته ، غير أن له مع ذلك إيقاظا للنائم بصياحه في آناء
الليل ، والتبشيرَ بإقبال الصباح وطلوع الشمس ، يؤنس السيارات في السفر ^(٤)
بصياحه في الليل ، ويحترضهم على السير ، مع إيقاظه الفلاحين لعملهم ، والصنّاع
لصناعاتهم ، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من ^(٥) ذلك رَوْحٌ وخفةٌ من مرضهم .
الطاوس يحب الزينة ، غير عفيف الطبيعة ، يدعوه زهوه وحرصه على
التزيّن إلى نشر ذنبه وعقده كالطاق لتراه الأنتى بحسن زينته .

الكرّاكى تتحارس ^(٦) بالليل ؛ ويجمل الحارس منها يتردد في الحلة
ويهتف بصوت يسمع محذرا ^(٧) ، فإذا قضى نوبته أستراح وأعقبه الذى كان
مستريحا نائبا عنه حتى تقضى كلهما ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطار
لم تطار

-
- (١) أهدى الطريق للناس ، أى أكثر هداية — لراكبه من الناس — إلى طريقه .
(٢) حجن المناقير ، أى معوجتها ، الواحد أحجن ، والأنتى حجناء .
(٣) النواهض : فراخ العقبان التي وفرت أجنحتها وقويت على الطيران ، الواحد ناهض .
وفي الأصل : « والنواهض » ولم نجد له فيما راجعناه من كتب اللغة .
(٤) « يؤنس في السفر والسيارات بصياحه » .
(٥) « مع » .
(٦) « تتحارس » .
(٧) « محذرا » .

مقطعةً ، لكنّها تطير نَسَقًا غير مشقّعة ، يقدّمها واحد منها كالرأس والمهادى لها حتى تتلوه كلّها لازمةً صفها ، ثم يمقبه بعده آخر متقدّم حتى يصير المتقدم الأول متأخرًا في آخرها ، وتقتسم كرامة المتقدم كلّها بالسوية ؛ وفيها ما يبعد سفره وينتقل عن مصيفه إذا هجم الشتاء .

البط له بقطة حارسة تدل على حدة حسّه .

الجراد معروف الحال .

العقاب تطلب عين^(١) الماء ، فإذا أصابتها تحلّق طائرةً إلى حر الشمس وهو موضع دورانها فيحترق ريشها وما كان من جناح ، ثم تقوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة^(٢) « وتذهب ظلمة عينها »^(٣) .

وأما الطريخ^(٤) فيقتض الله له طائرا يقال له : قاس^(٥) فيضّمه إليه ولا يدعه يهلك ، ولكنّه يقوِّيا ويربّيه مع أفراخه .

وأجنحة العقبان مفصّلة شبيهة ريشها .

وبصرها قوى بعيد تحت الشعاع المستنير .

ويقال : إنها أبصر الطير .

الحَجَبَل يأتي أعشاش نظرائه فيسرق بيضها ثم يحضنها ، فإذا تحرّكت الفراخُ وطارت لحقت بأمتاتها .

البُوم مأواه ومحلّه الخراب ، يوافقه الليل ، لأنّه بالليل بصير وبالنهار كليل ، مع حبّه التوحّد والخلوة بنفسه ، وبينه وبين الغربان عداوة ماتنقضى .

(١) « من » .

(٢) « منابة » .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل قبل هذا الموضع .

(٤) يريد بالطريخ : الملقى الذي لا يفدر على الطيران لضممه من المرض ونحوه .

(٥) لم نجد اسم هذا الطائر فيما راجعناه من الكتب .

النَّسْرُ يَتَّخِذُ وَكَرَّهُ فِي الْمَكَاتِ لِعَالِي الْمَرْتَفِعِ ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ وَفِيهِ يَنَامُ كَالرَّاصِدِ ، إِمَّا فِي ذِرْوَةِ الْجَبَلِ أَوْ فِي وَسْطِهِ مِنْ شِظَايَاهُ^(١) وَثَنَايَاهُ وَمَوْضِعِ التَّمَنُّعَةِ . وَإِذَا حَمَلَتْ زَوْجَتُهُ مَضَى إِلَى الْهِنْدِ فَأَخَذَ مِنْ هُنَاكَ حَجْرًا كَهَيْئَةِ الْجَوْزَةِ إِذَا حُرِّكَ سَمِعَ بِهِ صَوْتُ حَجَرٍ آخَرَ — يَتَحَرَّكُ فِي وَسْطِهِ^(٢) — كَصَوْتِ الْجَرَسِ ، فَإِنْ عَسِرَتْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوِلَادَةُ جَمَلَتْ ذَلِكَ الْحَجْرُ تَحْتَهَا وَعَلَتْ عَلَيْهِ فَيَذْهَبُ عَنْهَا الْمُسْرُ .

قال : ورأيت مرّة أتي من جنس الطير مات زوجها فامتنت من الطعام والنوم ليالي^(٣) كثيرة صارت فيها كالنائمة الباكية على زوجها بتنفّس الصعداء وزفّرات الحزن لا تلتقط أياما متتابعة شيئا .

الْبُزَاةُ مِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَدَاوِيَ أَنْفُسَهَا وَفِرَاحَهَا فَلَا تَمُوتُ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْمَرَضِ وَالِدَاءِ^(٤) نَجْتَةً تَعْرِفُهَا وَتَعْرِفُ طَبَّهَا ... « وَمِنْهُ مَا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ^(٥) » .
النِّعَامُ : لَا يَعْوَلُ أَفْرَاحَهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ يُدْحِضُهَا^(٦) وَيَطْرُدُهَا مِنْ عِنْدِهِ إِنْكَارًا لَهَا .

الْعُدَافُ لَا يَبْيِضُ وَلَا يُفْرَخُ مِنْ سَفَادٍ ، فَإِذَا أَفْرَخَتْ أَثْنَاهُ أَفْرَاحًا لَمْ يَزُقْهَا^(٧) وَلَمْ يُطْعَمْهَا ، إِلَّا [أَنْ^(٨)] الْبَقَّ وَالْبَعُوضُ يَقَعُ عَلَيْهَا لِزَهْوَتِهَا وَتَنُّ لِحْمِهَا ، فَتَفْتَحُ

(١) شِظَايَا الْجَبَلِ : قِطْعَ ضَخَامٍ تَنْقَلِعُ مِنْ عَرْضِهِ وَلَمْ تَنْفَصِلْ انْفِصَالًا تَامًا ، تَشْبِيهَا لَهَا بِالشِّظَايَا الْعُرُوفَةِ . وَثَنَايَاهُ : الْعُقَبَاتُ فِيهِ .

(٢) « صَوْتُهُ » .

(٣) « لَيَالٍ » .

(٤) « وَالِدَانِيَّةٌ » .

(٥) لَمْ يَبْضَحْ لَنَا وَجْهَ الْإِنْتِصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَمَا قَبْلَهَا ؛ فَلَمَّا هُنَا كَلَامًا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) يُدْحِضُهَا : يَدْفَعُهَا .

(٧) « يَدْفَعُهَا » .

(٨) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَحْضِي لِإِتْبَاطِهَا .

أفواها وتبلع ما دخل فيها من ذلك البق ، فهو يسكها ويقويها .
 أسماء طيور الطير مختلفة كاختلاف الطير ، بعضها يطير قريبا من الأرض
 كالبط وما أشبهه ، وبعضها يرتفع ، غير أنه لا يبعد ، كالحمم والفريان ، وبعضها
 يحلق تحليقا ، كالمقاب والصقور^(١) والأجادل والبزاة .

وما كان من الطير بدنه أعظم من جناحه فهو قريب الطيران من الأرض ،
 لسرعة إحناء أجنحته واضطراره إلى الوقوع على الأرض .

البيضانى^(٢) والأبث^(٣) : هذا طائر يخبئ ولده ، فإذا تحررت فراخه
 ودرجت ضربت وجهه بأجنحتها فيدعوه المصحك والغضب المطبوعان فيه إلى
 قتلها ، فإذا ماتت اكتب عليها الأبوان وأقاما عليها شبه المائم ثلاثة أيام ، ثم
 إن الأم في اليوم الثالث تشق جنبها حتى يقطر دما على تلك الفراخ ، فيصير
 ذلك نشورا لما بعد موتها .

مالك الحزين^(٤) ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه ؛ لا يُحسِن
 السباحة ، فإن أخطأه أنتشال فجاع طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض
 ضحاضحه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع [لأكل^(٥)]
 ما يؤكل منه .

من الطير ما يفتح من هبوب الرياح ، لا يحتاج إلى تراوُّج ولا إلى سِفاد .

(١) « والنور » .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم نجد في مراجعنا من كتب اللغة والكتب
 المؤلفة في الحيوان .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل مهملة الحروف من النقط ؛ والصواب إثباتها على هذا
 الوجه . والأبث : طائر من طير الماء كلون الرماد ، طويل الساق ؛ وسمى أبث لبنته ،
 وهي بياض إلى الخضرة ، وهو من شرار الطير .

(٤) مالك الحزين : من طير الماء ، وهو البلشون ، طويل الساق والرجلين .

(٥) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في الأصل .

والخفاش له خصيتان كخصى الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد
 كأسنان ذوات الأربع ، يُرَضِع ولده من اللبن إرضاعا ، وجلده أملس .
 العتق لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، ولكنه يهتئ وكرهه في المواضع
 المشرفة العالية والعرّاء الكاشف وجه الهواء الفسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة
 الزوج ، فإذا باضت الأنتى بيضها حصنته بورق الذئب وغطته كيلا يقربه
 الخفاش ، فإن مسه مرق^(١) البيض من ساعته وفسد .
 النحل يلد من غير لقاح الذكر .

الحية إذا هرمت وكل بصرها واسترخى جلدّها دخلت في صدع صفاة
 ضيق أو جحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدّها فتأق
 عين الماء فتنفس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب ، فإذا هي فعلت ذلك عادت
 شابّة كما كانت . فإذا أرادت أن تضي^(٢) عينها أكلت الرازيح الرطب
 فاشتفت عيناها واحتد بصرها ، وإن ضربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع
 الفرار ، فإن ثنيتها وثبتت وسمت هاربة .
 إن أتبع الحسك^(٣) في الماء ثم نضح ذلك الماء بين يدي جحر الحية فرت
 من هناك .

وإن وضح في جحرها أصل حمص رطب فرت أيضا .
 وإن رأت الحية إنسانا غريانا استحيت منه ولم تقربه .
 وإن رآته كاسيا^(٤) حملت عليه بجرأة شديدة ؛ وما أشد طلبها لثأرها ؛
 وإن شدخ رأسها ماتت من ساعتها .

(١) مرق البيض : صار ماء وفسد . وفي الأصل : مرمت .

(٢) تضي « . »

(٣) الحسك محركا : نبات له ثمرة شائكة مدعرجة تملق بأصواف النمل .

(٤) كاسيا « . »

السَّمْسِيَّةُ ، وهي حَيَّةٌ حراءٌ بَرَّاقَةٌ ، إذا كَبُرَتْ وأصابها وجعُ العَيْنِ وَكَمِدَتْ^(١) التَّمَسَتْ حائطًا مُقَابِلَ المَشْرِقِ ، فإذا تَبَدَّتْ الشَّمْسُ أَحَدَتْ إليها بصرها قَدْرَ سَاعَةٍ فإذا دَخَلَ شُوعُ الشَّمْسِ عَيْنَهَا كَشَطَ عنها العَمَى والإِظْلَامَ ، ولا تَزَالُ تَعْمَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتَجَدَّدَ بصرُها تَامًا .
الأَفْعَى تُزَاجِرُ دَابَّةً بَحْرِيَّةً ، تَأْتِي الأَفْعَى شَفِيرَ البَحْرِ فَتصَوِّتُ ، وَصَوْتُهَا مُهِيجٌ لِتِلْكَ الدَّابَّةِ البَحْرِيَّةِ .

من أَحْرَقَ عَقْرَبًا طَرَدَ بَرَّاقَةً حَرِيْقِيهَا عَقَارِبَ ذَلِكَ البَيْتِ .
فَأَمَّا مِحْمَةُ العَقْرَبِ فَهِيَ جَوْفَاءٌ كَهَيْئَةِ المِزْمَارِ مَعْقِفَةُ الرَأْسِ مَكُونَةٌ لِلدَّغِ ، فَإِذَا ضَرَبَتْ شَيْئًا تَحْرُكَتْ فَتُخْرِجُ سَمَهَا وَجَرِي فِي مِحْمَتِهَا وَسَرَى فِي المَلْدُوغِ .
الإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ عَرَسٍ إِذَا تَلَقَّحَتْ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَتَلَدَ مِنْ آذَانِهَا .
من عَادَةَ هَذَا الجِنْسِ أَنْ يَسْرِقَ مَا وَجَدَ مِنْ حَلِيِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَيَحْبِئُوهُ فِي جِجْرَتِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَيضًا فِي البَيْتِ حُبُوبًا^(٢) خَلَطَ بِمِضْهَا بِيَمِضٍ ، كَأَنَّ عَمَلَهُ عَمَلُ الطَّبَّاخِينَ فِي خَلْطِ التَّرَابِلِ .

الفَارِ الفَارِسِيُّ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ .
وإنْ أَخَذَ إِنْسَانٌ جُرْذًا فَرَبَطَهُ فِي بَيْتِ فَرَّتْ مِنْهُ الجُرْذَانُ كُلُّهَا .
وإنْ وُضِعَ فِي جُحْرِ الجُرْذِ البَرِيِّ وَرَقُ الدُّفْلِيِّ^(٣) مَاتَ الجُرْذَانُ .

(١) كَدَتْ هَيْنَهَا ، أَي ذَهَبَ صَفَاؤُهَا ، مِنْ الكِدْمَةِ ، وَهِيَ تَغْيِيرُ اللَوْنِ وَذَهَابُ صِفَاتِهِ .
(٢) « جَنُوبًا » .

(٣) الدُّفْلِيُّ ، نَبْتٌ مِنَ الطَّمِّ جَدَا ، وَهُوَ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ ، فَوَرَقُ البَرِيِّ كَوَرَقِ الحَقَاءِ بِلِ الأَرَقِ ، وَقَضْبَانُهُ طَوَالَ مَنبَسَطَةِ عَلَى الأَرْضِ ، وَعِنْدَ الوَرَقِ شَوْكٌ ، وَالنَّهْرِيُّ يَنْبَتُ فِي شَطُوطِ الأَنْهَارِ ، وَشَوْكُهُ خَفِيُّ ، وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ الخِلاَفِ وَوَرَقُ اللُّوزِ ، مَرِيضٌ ، وَزَهْرُهُ كَلَّةُ كَالوَرْدِ الأَحْمَرِ ، وَحَمَلُهُ يَشْبَهُ الحُرْتُوبِ .

الدودة الهندية هي دودة القز ، لها في رأسها قرنان ، ثم تتحول بيضة
ثم تتصور في هيئة أخرى ، ذات جناحين عريضين منتصبين ، وصناعتها
دمقس الحرير .

النمل عمول مواظب ، فإذا جمع الحب قطمه كيلا يئبت إذا أصابه الندى
والبلية ، ويخرجه ويبسطه عند فم الجحر ، فإذا يبس أدخله .
ومن جرب طبائع النمل أدرك علم أزمان المطر والصحو .
من أراد أن يقتل النمل فليدق الكبريت والحبق^(١) ويذرهما في جحرته
ولا يولد من تزواج^(٢) ، ولكنه يخرج منه شيء قليل صغير فيقع في الأرض
فيصير بيضا ، ثم يتصور من البيض بالهيئة التي ترى ، وإذا شمت الورد مؤت
وأجنحتها مدمجة لاصقة بها .

البق والبعض لا نتاج لهما ، وإنما تُنجَل^(٣) من عفن الماء ووسخه ونثنه .
ومن وضع غصن العنب في موضع تحت سريره لم يقربه بق ولا بعوض .
ومن أراد ألا يتأذى بالبراغيث فليحفر في وسط البيت حفرة ويملاها
دم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك .

وإن وضع في الحفرة ورق دقلى ماتت البراغيث .
الخلد غير ذى عينين ، دائم الحفر في غير نفع ؛ وطعامه من أصول النبات
وعروقه أذاهبة في الأرض ، فهو يصيب ذلك في خلال حفره .

يقال : إن في بلد كذا نهرا ماؤه في البحر منحدرًا إليه على حال طبيعته

(١) الحبق محرمة : نبات طيب الرائحة ، حديد الطعم ، ورقه كورق الخلاف ، منه سهلى
ومنه جبلى ، وهو الذى يقال له : الفوتنج . وقال أبو حنيفة : إنه يشبه الريحانة التى تسمى
الثمام ، ويكثر نباته على الماء ، وهو أنواع كثيرة .

(٢) « يراوح » .

(٣) تنجل ، أى تولد .

ولذلك يصحب السفن متلذذا بأصوات الناس ، فإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ، فلا يزال زامرا فيها حتى يفرّ الحوت إلى الساحل يطلب خزفاً أو صخرة ، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت .

وركّاب السفينة يخبّونه ويطمعونه ويتفقّدونه ، ليدوم إلتفه لهم وصحبته لسفنتهم ، ويسألوا به من ضرر السمك العادي .

وإذا أتوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلوه حياً وأخذوه^(١) وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء .

وإني [قرأت^(٢)] هذا الفصل على الوزير — كبت الله كل شاني له — في ليلتين ، فتمجّب وقال : ما أوسع رحمة الله ؛ وما أكثر جند الله ؛ وما أغرب صنع الله . قلت : نعم ؛ وما أغفل الإنسان عن حق الله الذي له هذا الملك المبسوط^(٣) ، وهذا الفلك المربوط ؛ وهذه العجائب التي تصعد^(٤) فوق العقول التامة بالأعتبار والأختبار بمد الأختبار ؛ وإنما بثّ الله تعالى هذا الخلق في عالمه على هذه الأخلاق المختلفة والخلق المتباينة ، ليكون للإنسان المشرف^(٥) بالمقل طريقاً إلى تعرف خالقها ، وبيان لصحة توحيد له بما يشهد من أعاجيبها ،

(١) عبارة الأصل « وأخذوا أصناف السمك » ، وقوله : « وأخفوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك .

(٢) عبارة الأصل « وأن هذا الفصل على الوزير كتب الله » ، وفيها همس وتعريف كما هو ظاهر .

(٣) المبسوط .

(٤) تصد .

(٥) المشرف .

ست ساعات ، وفي الست الثانية يحتبس ماؤه في يَنْبوعه ويرسَى جوفهُ ناضبا^(١)
قد يبس .

ونهر آخر يجري في كل سبع سنين نهر كبريت ، ولا يكون فيه سمك ، لأن
مائه يتغير في كل يوم ثلاث مرات ، وينبعث^(٢) منه شبه نور ليس له رأس .
وأهل الشام إذا أرادوا أخذه ألقوه في سفينة ، ولا يستطيعون قطعه
فأس ولا كسره بحجر ، إنما يؤتى بالماء الثنتين ودم الحيض فيخلطان جميعا
ثم يفضحان عليه ، فإذا وقما عليه تحلل وتكثرت كتلا^(٣) صغارا ، وتُسعمل في
أشياء يُنتفع بها .

عين النار تنبع منها نار تضيء بالليل للسيارات فلا تطلقا^(٤) ولا تحتاج إلى
شئ يمسكها ، لكنها محفوظة بالحجارة ؛ إن سمل إنسان منها شملة قبس إلى
موضع لم تُوقد .

البحر الميت يقال له ذلك لأنه يموت فيه كل حي .

السرطان ينسلخ جلده في السنة سبع مرات ، ويتخذ بجُحره بايين ؛
أحدهما شارع إلى الماء ، والآخر إلى اليابس ؛ وإذا سلخ جلده سدَّ عليه الشارع
إلى الماء لكيلا يدخل السمكُ فيأكله ؛ إلا أنه يدع الذي إلى اليابس مفتوحا
فتصديه الريح وما يَنْفَعُ لَحْمَهُ ويمصيه ، فإذا اشتدَّ لحمه وعاد إلى حاله فتحَّ
ذلك المسدود وسلك في الماء وطلب طعمه وما يقيم حياته .

الزامور حوت صغير الجسم ألف لأصوات الناس ، مستأنسٌ بأسماعها

(١) « ناضبا » .

(٢) « ينبعث » .

(٣) « وتكثرت كتلا » .

(٤) « يطفئها » .

وفيل لرضوانه بما يتزود من عبّره التي يجد فيها ، وليكون له موقظٌ منها ، وداع حادٍ^(١) إلى طاعة من أبدأها وأبرزها ، وخلطها وأفردّها .

فقال : قد كنت قلت : إنه يجري كلامٌ في النفس منذ ليالٍ ، فهل

لك في ذلك ؟

قلتُ : أشدّ الميل^(٢) وأوحاه ، لكن بشرط أن أحكي ما عندي ، وأروى ما حصلتُ من هذه العصابة بسماعى وسؤالى . فقال : نستأنف^(٣) الخوض في ذلك — إن شاء الله — فإنّ النعسة^(٤) قد حدثت العين ، فأنا كما قال :

قد جعل النعاسُ يفرّ نديني^(٥) أدقمه عني ويسرّ نديني

أنشدني أبياتا ودّعني بها ، ولتكن من سراة^(٦) نجد ، ليستم منها ريحُ الشَّيخِ والقَيْصُومِ .

فأنشدته لأعرابي قديم :

مُطِرْنَا فلما أن رَوِينَا تهادرت شقاشقُ منها رائبٌ وحليبٌ^(٧)
ورامت^(٨) رجالٌ من رجالِ ظلامَةٍ وعادت ذُحولٌ بيننا وذُنُوبٌ^(٩)

(١) « صام » .

(٢) « المثل » .

(٣) « نستأنف » .

(٤) « النعس » .

(٥) يفر نديني ويسر نديني ، يريد أن النعاس يغلبه ويملوه . وفي الأصل : « يمر نديني »

بالمين المهملّة . ولم يرد في اللسان فائل هذا الشعر .

(٦) « سراة » .

(٧) تهادرت أي تساقطت . والشقاشق : جمع شقشقة ، وهي جرة البعير معروفة ،

وكنى بتهادر الشقاشق عن المصومة بين القوم وتتمر بعضهم لبعض . يقول : لما أخصبت

أرضنا تتمر بعضنا لبعض وتمها كل فريق منا لحاربة فريق ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه .

(٨) « رابت » .

(٩) التحول : جمع ذحل يفتح الذال ، وهو النار .

وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَتَرَوَّحَتْ لَمَنْ بِمَا هَاجَ الحَيِّبَ حَيِّبٌ^(١)
 وَطِئَنٌ^(٢) فِإِنَاءِ الحَيِّ حَتَّى كَانَهُ رَجَاً^(٣) مَنَهْلٍ مِنْ كَرَّهِنَ نَخِيبٍ
 بَنَى عَمَّنَا لَا تَعْمَلُوا يَنْضَبُ الثَّرَى غَلِيلًا وَيَشْفِي المُسْرِفِينَ طَيِّبٌ^(٤)
 فَلَوْ قَد تَوَلَّى النَبْتَ وَامْتِيرَتْ القُرَى وَحُثَّتْ رِكَابُ الحَيِّ حِينَ تَوُوبٌ^(٥)
 وَصَارَ^(٦) عَيُوفَ الخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا — ذُو جِدَّتَيْنِ قَشِيبٌ^(٧)
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خَنْزِرَانَةٌ^(٨) يُنَادِي إِلَى دَاعِي الرَّدَى فَيَجِيبُ
 أَوْلَثُكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الفَتَى أَكَابٌ سَكَيْتُ^(٩) أُمَّ أَشْمٍ نَجِيبٌ^(١٠)
 فَمَجِبٌ وَقَالَ : هَذَا جَنَى غَرَمٍ قَدْ جُدَّ أَصْلُهُ ، وَنَزِيحٌ قَلِيبٍ قَدْ غَارَ مَدُّهُ
 وَجَزْرُهُ ، وَانصرفت .

- (١) وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا ، أَي رَفَعَتْ أَعْنَاقَهَا لِرِيحِ الصَّبَا تَسْتَرُوحُهَا . وَفِي الأَصْلِ :
 « وَفَضَّتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) « وَطِئَنٌ » .
 (٣) رَجَا البُتْرُ : نَاحِيَتُهُ . وَفِي الأَصْلِ : « وَجَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالنَخِيبُ :
 المَنْخُوبُ ، أَي المَنْزُوعُ الجُوفِ . وَفِي الأَصْلِ : « يَجِيبٌ » . شَبَّهَ فَنَاءَ الحَيِّ وَقَدْ وَطِئَتْهُ هَذِهِ
 الرِّكَابُ بِجَانِبِ مَنَهْلِ المَنْخُوبِ الجُوفِ مَهْدَمٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَطَوَّاهُ أَقْدَامُ الوَرَادِ .
 (٤) فَضُوبُ الثَّرَى : كِنَايَةٌ عَنِ التَّقَاعِطِ بَيْنَ القَوْمِ ، قَالَ جَرِيرٌ :
 فَلَا تَوْبَسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ الثَّرَى فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ مَثْرَى
 (٥) امْتِيرَتْ القُرَى : اتْتَجَعَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهَا المَبْرَةَ .
 (٦) صَارَهُ يَصُورُهُ ، أَي ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَمَالَهُ نَحْوَهُ . يُشِيرُ إِلَى حُلُولِ الجُدْبِ وَإِرْخَاصِ الفَقْرِ
 أَقْدَارِ العُلْيَةِ ، فَيَسْتَطِيعُ مِنْ لَهُ ثَوْبِينَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ أَكْرَمَ العُقَائِلِ الكَرِيمَةَ عَلَى قَوْمِهَا بِمَا لَهُ
 مِنْ يَسِيرِ غَنَى وَإِنْ اتَّضَعُ لِسَبِّهِ .
 (٧) « مَشِيبٌ » .
 (٨) الخَنْزِرَانَةُ : الكَبْرُ .
 (٩) « أَكَانَ » .
 (١٠) السَكَيْتُ : الَّذِي يَمْحَى ، آخِرُ خَيْلِ الحَلْبَةِ .

الليلة الثالثة عشرة^(١)

(٢) فلما حضرت ليلةً أخرى قال : هات . قلتُ : إن الكلام في النفس صعب ، والباحثون عن غيبها وشهادتها وأثرها وتأثيرها في أطراف متناوحة^(٣) وللنظر فيهم مجال ، وللوم عليهم سلطان ، وكلُّ قد قال ما عنده بقدر قوته ولحظه ، وأنا آتٍ بما أحفظه وأرويه^(٤) ، والرأى بعد ذلك إلى العقل الناصح والبرهان الواضح .

قال بمض الفلاسفة : إذا تصفحنا أمرَ النفس لحفظناها^(٥) تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان إذا تصوّر بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بألة كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف ، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة [إلى]^(٥) أخرى عند تصوّره بالعقل ، فيظنّ الظانّ منّا أنّ النفس لا^(٦) تفعل بالبدن ، لأنّ هذه الأمور ليست بجسم ولا أعراض جسميّة .

وقد تعرف النفس أيضاً الآن من الزمان والوحدة واليقظة ، وليس لأحد أن يقول : إن النفس تعرف هذه الأشياء بحسّ من الإحساس ، ففعل النفس

(١) يلاحظ أننا ذكرنا في الليلة السابقة أنها الليلة الحادية عشرة ، والصواب أنها ليلتان الحادية عشرة والثانية عشرة ، كما يتبين ذلك من قوله : « في ص ١٩٥ س ١٠ : « وإن قرأت هذا الفصل على الوزير كتبت الله كل شأني له في ليلتين » ولهذا جعلنا هذه الليلة الثالثة عشرة .

(٢) متناوحة ، أي متقابلة .

(٣) « وأرويه » .

(٤) « لحفظناها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) في الأصل : « إنما » والتعليل الآتي بعد يقتضى أداة النفي كما أميتنا .

إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلوة من البدن ، مثل التصور بالعقل ، وكل ما له فعل يخصه دون البدن فإنه لا يفسد بفساد البدن عند المفارقة .

وقال أيضا : وجدنا الناس متفقين على أن النفس لا تموت ، وذلك أنهم يتصدقون عن موتاهم ، فلولا أنهم يتصورون أن النفس لا تموت ، ولكنها تنتقل من حال إلى أخرى إما إلى خير وإما إلى شر ؛ ما كانوا يستغفرون لهم ، وما كانوا يتصدقون على موتاهم ويزورون قبورهم .

وقال أيضا : النفس لا تموت ، لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن ، إذ كان يدبر البدن ويرأسه .

والله جلّ وعزّ الدبر لجميع الأشياء ، والرئيس لها . والبدن أشبه شيء بالشيء الميت من النفس إذ كان البدن إنما يحيا بالنفس .

وقال أيضا : النفس قابلة للأضداد ، فهي جوهر ، فالفائدة أن النفس جوهر .

وقال : النفس ليست بهيولى ، فلو كانت هيولى لكانت قابلة للعظم ، فليست النفس إذا بهيولى .

وقال : ليست النفس بجسم ، لأن النفس نافذة في جميع أجزاء الجسم الذي له نفس ، والجسم لا ينفذ في جميع أجزاء الجسم^(١) ؛ ولا هيولى ، لأن النفس لو كانت هيولى لكانت قابلة للمقادير والعظم^(٢) ، وفائدة هذا أن النفس جوهر على طريق الضرورة .

(١) « النفس » .

(٢) يلاحظ أن هذا الكلام مكرر مع ما سبق من قوله : النفس ليست بهيولى الخ .

وقال آخر: حركة كل متحرك تنقسم قسمين: أحدهما من داخل، وهو قسبان: قسم كالطبيعة التي لا تسكن البتة، وحركة النار مادامت نارا، وقسم هو حركة^(١) النفس تهيج أحيانا وتسكن أحيانا، وحركة جسد الإنسان التي تسكن إذا خرجت نفسه وصار جيفة.

والقسم الآخر من خارج، وهو قسبان: أحدهما يدفع دفعا كما يدفع السهم ويُطلق عن القوس، والآخر يُجرُّ جراً كما تُجرُّ العجلة والجيفة.

وقال: فنقول: ليس يخفى أن جسدنا ليس مدفوعاً دفعا ولا مجروراً جراً و[لنا]^(٢) كان كل مدفوع أو مجرور متحرك من خارج متحرراً كما لا محالة من داخل، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطراباً.

وقال: إن كان جسدنا متحرراً كما من داخل، وكان كل متحرك من داخل إما متحرراً كما حركة لمبيعية لا تسكن، وإما نفسية تسكن.

فليس^(٣) يخفى أن حركة جسد الإنسان ليست بدائمة لا تسكن، بل ساكنة [لا]^(٤) تدوم، وكانت حركة كل ما سكنت حركته فلم تدم ليست حركة طبيعية لا تسكن، بل نفسية من قبل نفس متحررة وتحسسه.

وقال: إن كانت النفس هي التي تحيي الإنسان وتحركه، وكان كل محرك يحرك غيره حياً قائماً موجوداً، فالنفس إذا حية قائمة موجودة.

وقال أيضاً: النفس جوهر لا عرض، وحدّ الجوهر أنه قابل للأضداد من غير تغيير، وهذا لازم للنفس، لأنها تقبل العلم والجهل، والبر والفجور

(١) « حركة ».

(٢) هذه الكلمة سائطة من الأصل.

(٣) في الأصل: « وقال ليس »؛ والظاهر أن قوله: « وقال » زيادة من الناسخ.

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل.

والشجاعة والجلب ، والعفة وضدّها ، وهذه أشياء أصداد ، من غير أن تتغيّر في ذاتها ، فإذا كانت النفس قابلةً لحدّ الجهر ، وكان كلُّ قابلٍ لحدّ الجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : قد استبان أن النفس هي المحيية الحركة للجسد الذي هو الجوهر و [لما] كان كلُّ محيٍّ محركٍ للجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : لا سبيل أن يكون المُحيي الحركيّ جوهرًا ويكون المحييّ الحركيّ غير جوهر ، فإذا كانت هي المحيية الحركة للجسد ، وكان لا يمكن أن يكون المحييّ الحركيّ للموجود غير موجود ، فالنفس إذا لا يمكن [أن تكون ^(١)] غير موجودة .
وقال : إن كانت النفس بها قوَى وحياة الجسد ، فيمتنع أن يكون قوامها بالجسد ، بل بذاتها التي قامت بها حياة الجسد .

وقال : إن كانت النفس قائمة بذاتها التي قامت بها حياة الجسد ، فما كان قائمًا بذاته فهو جوهر ، فالنفس إذا جوهر .

وقد أملى علينا أبو سليمان كلامًا في حديث النفس هذا موضعه ، ولا عنده في الإمساك عن ذكره ليكون مضمومًا إلى غيره ، وإن كان كلُّ هذا لم يجز على وجهه بحضرة الوزير — أبقاه الله ومد في عمره — لكن الخوض في الشيء بالقلم مخالف للإفاضة باللسان ، لأن القلم أطولُ عِنا من اللسان ، وإفشاء ^(٢) اللسان أحرَجُ من إفشاء القلم ، والعرض كلُّه الإفادة ، فليس يكثر الطويل .

قال : ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئًا ليس بجسم له مدّات ثلاث : أعنى الطول والعرض والسّمك ، ولا يجزأ من جسم ولا عرض من

(١) هذه العبارة أو ما يقيد معناها ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) « وقضا » .

الأعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسمية ، لكنه جوهر مبسوط غير مُدرك
بِحس^(١) من الإحساس . ولما وجدنا فينا شيئا غير الجسم وضد أجزاءه بجذته
وخاصته ، ورأينا له أحوالا تُباين أحوال الجسم حتى لا تُشارك في شيء منها
وكذلك وجدنا مباينته للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المباينة للأجسام والأعراض
إنما هي من حيث كانت الأجسام أجساما والأعراض أعراضا ؛ قضينا أن
ها هنا شيئا ليس بجسم ولا جزء من الجسم ، ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل
التغير ولا الحيلولة ، ووجدنا هذا الشيء أيضا^(٢) يطلع على جميع الأشياء بالسواء
ولا يناله فتور ولا ملال ، ويتضح هذا بشيء أقوله : كل جسم له صورة فإنه
لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى البتة إلا بعد مفارقتها الصورة
الأولى ، مثال ذلك أن الجسم إذا قبل صورة أو شكلا كالتثليث ، فليس يقبل
شكلا آخر من التربيع والتدوير إلا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا
قبل نقشا أو مثالا فهذا حاله ، وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء
لا يقبل الصورة الأخرى^(٣) على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه صورتان ، ولا
تم واحدة منهما ، وهذا يطرد في السمع^(٤) وفي الفضة وغيرها إذا قبل صورة
تُنقش في الخاتم ؛ ونحن نجد النفس تقبل الصور كلها على التمام والنظام من غير
نقص ولا عجز ، وهذه الخاصة ضد الخاصة للجسم ، ولهذا^(٥) يزداد الإنسان بصيرة
كلما نظر وبحث وأرتأى وكشف .

(١) « يحسن » .

(٢) هذه الكلمة وردت في الأصل في غير موضعها اللائق بها من العبارة ؛ والسياق

يقضى ومنها في هذا الموضع .

(٣) « الأولى » .

(٤) « السمع » .

(٥) « ولها ما » .

ويتضح أيضا عن كُتُب^(١) أن نفس ليست بعَرَض ، لأنَّ العَرَض لا يوجد إلا في غيره ، فهو محمول لا حامل وليس هو قِوَامًا ، وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تَحْمِلَ ، وليس له شبه من الجسم ولا من العَرَض .

وكان يقول : إذا صدق النظر ، وكان الناظر جارا من الهوى ، وصحَّ طلبه للحق بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين البدن المتحرك بالنفس .

قال : ولما عرضت الشبهة لقوم قصر نظرهم ، ولم يكن لهم لحظ ولا أطلاع فظنوا أن الرباط الذي بين النفس والبدن إذا انحَلَّ فقد بَطَلَ جميعا .

وهذا ظنٌّ فيه عَسْفٌ ، لأنهما لم يكونا في حال الأربطاط على شكل واحد وصورَةٍ واحدة ، أعنى أنهما تباينا^(٢) في تصاحُبهما وتصحَابًا في تباينهما^(٣) .

ألا ترى أن البدن كان قِوَامُهُ ونظامُهُ وتماثُهُ بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النَّفْسِ في شأنها مع البدن ، لأنها واصلته في الأول عند مسقط النطفة ، فما زالت تربيته وتغذيته وتُحْيِيهِ وتُسَوِّيهِ حتى بلغ البدن إلى ما تَرَى ، ووُجِدَ الإنسانُ بها ، لأنَّ النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان ، فإذا الإنسان نصيبه من النفس أكثر من نصيبه من البدن .

وهذه الكثرة توجد في الأول من ناحية شرف النفس في جوهرها ، وتوجد في الثاني من جهة صاحب النفس الذي هو الإنسان بما يستفيد من المعارف

(١) « ونصح أيضا عن كسب » .

(٢) « تباينا » .

(٣) « تبايتهما » .

الصحيحة، ويضته إلى الأفعال الواجبة الصالحة، فأمر المعارف الصحيحة معرفة الله الواحد الحق باليقين الخالص، وأمر الأفعال الواجبة الصالحة العبادة له والرضوان عنه.

وغاية المعرفة الأتصال بالمعروف، وغاية الأفعال الواجبة الفوز بالنعم والخلود في جوار الله، وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إلى الجواز عليه كل من رجع إلى بصيرة وآوى إلى حُسن سيرة.

فأما من هو عن هذا كله عم^(١) وعمّا يجب عليه ساء، فهو في قطع النعم، وإن كان متقلّباً في أصناف النعم.

(٢) وكان يقول كثيراً: الناس أصناف في عقولهم: فصنف عقولهم مغمورة بشهواتهم، فهم لا يبصرون بها إلا حظوظهم المعجلة، فلذلك يكذبون^(٢) في طلبها وتبيلها، ويستعينون بكلّ وسع وطاقة على الظنر.

وصنف عقولهم منتهية^(٣)، لكنها مخلوطة بسبب^(٤) الجهل، فهم يجرّسون على الخيرواكتسابه، ويخطئون كثيراً، وذلك أنهم لم يكملوا في جيلتهم الأولى وهذا نعت موجود في العبادة الجهلة والعلماء الفجرة، كما أن النعت الأول موجود في طالب الدنيا بكل حيلة ومقالة.

وصنف عقولهم ذكّية متهبة، لكنها عمّية عن الآجلة، فهي تدأب في تبيل الحفظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسمة الربانية، وهذا نعت موجود في العلماء الذين لم تثلج صدورهم بالعلم، ولا حقّ عندهم الحق اليقين؛ وقصروا

(١) « عميم » .

(٢) « يكسبون » .

(٣) « منته » .

(٤) « بسببات » .

بن حال أبناء الدنيا الذين يشهرون في طلبها السيوف الحداد ، ويطيلون إلى نيلها سواعد الشداد^(١) فهم بالكيد والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة^(٢) .
وصنف عقولهم مضئئة بما فاء عليها من عند الله تعالى باللطف الخفي ،
الأصطفاء السنّي ، والأجتباء الزكي ، فهم يحملون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة ؛
تترام حضورا وهم غيب ، وأشياعا وهم متباينون .

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة ، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ .
وهذا كما تقول : « الملوك ساسة » ، ولكل واحد منهم خاصة ؛ وكما يقولون :
« هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر » ؛ « هؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم
أسلوب » وكما تقول : « علماء ، ولكل واحد منهم مذهب » .

وعلى هذا أبو سليمان — حفظه الله — إذا أخذ في هذا الطريق أطرب ،
لسعة صدره بالحكمة ، وفيص صوبه من المعرفة ، وصحة طبيعته بالقطرة .

وقال : إنا بعد هذا المجلس تركنا صنفا لم نرسمه بالذكر ، ولم نعرض له^(٣)
بالاستيفاء ، وهم الهمج الرعاع الذين إن قلت : « لا عقول لهم » كنت صادقا ، وإن
قلت : « لهم أشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقا ؛ إلا أنهم في العدد ، من جهة
النسبة العنصريّة والجبلة الطينيّة والفطرة الإنسيّة ، وفي كونهم في هذه الدار عمارة
لها ومصالح لأهلها ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : « لا تسبوا الفوغاء فإنهم يُخرجون
الغريق ويُطفئون الحريق ويُؤنسون الطريق ويشهدون الشوق » .

فضحك — أضحك الله نفره ، وأطال عمره ، وأصلح شأنه وأمره — فقال :

(١) « السداء » .

(٢) « البرحة » .

(٣) « عليه » .

وكالإشارة في العُلم ، وليست حلما ولا أُنْتباها في الحقيقة ، لأن هذين نعتان محمودان في عالم السيلان والتبدل ، جاريان على التخيل والتجوز بزوائد لا ثبات لها ونواقص لا مبالاة بها ، رُوْحَانِيَّة في رُوْحَانِيَّة ، كما يقال : « هذا صفوُّ هذا » ؛ و « هذا صفوُّ الصَّفْو » ومن لحظ هذه الكيفية^(١) وبُوشِر صدره بهذه الحقيقة أستغنى عن رسوم محدودة بألف ولام ، وحقائق مكنونة في عرض الكلام ؛ وإذا جهلنا أشياء هي لأهل الأُنْس^(٢) بلغات قد فُطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها .

فهذا باب واضح ، والطمع في نيئه نازح ؛ وإذا كان المنال صعبا^(٣) في الموضوع الذي عمدنا إليه ، فكيف يكون حالنا في البحث عما في حيز الالوهية وبمحبوحة الرُّبوبيَّة ، ولا كون هناك ولا ما نسبته للكون ؛ وأقوى ما في أيدينا أن نتعلل بالوجود ، فالموجود والوجدان والجود ، وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها .

قلَّ هذا ، الصمتُ أوجدُ للمراد من النطق ، والتسليمُ أغفَرُ بالبخية من البحث .

قال البخارى^(٤) : فشيء كهذا^(٥) بدقيقه وإشكاله ، وغموضه وخفائه ، كيف يظهر على جِبِلَّة بَشْرِيَّة وبنية طينِيَّة وكتْمِيَّة مادِيَّة وكَيْفِيَّة عنصريَّة ؟ .

فقال : يا هذا ، إنما يشع من هدم السكينة على قدر ما أستودع صاحبها من

(١) « الكفَّة » .

(٢) يريد الأُنْس بعمرة الله . وفي الأصل « أندلس » .

(٣) « صعبا » .

(٤) البخارى ، هو أبو العباس البخارى تلميذ أبي سليمان النطقى وصديقه ، كثير السؤال والمجادلة له ، كما يتبين مما حكاه أبو حيان عنه في المقابلات .

(٥) « فقا هذا » .

قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس ، وفيه بلاغ إلى وقت ، وأظن الليل قد تغطى^(١) بصلبه ، وناء بكلكله ؛ وانصرفت .

الليلة الرابعة عشرة

(١) ومرّ بعد ذلك في عرض السمر : ما تقلّد أمرؤ قِلادةً أفضل من سكينه .
 فقال : ذكّرني شيئاً كنت مهتماً به قديماً ، والآن قرعت إلى بابه ؛ ما السكينه ؟
 فإني أرى أصحابنا يردّون هذا الأسم ولا يبسطون القول فيه . فكان من الجواب :
 سألت أباسليمان عن السكينه ما هي ؟ فقال : السكائن كثيرة : طبيعّية ، ونفسية
 وعقلية ، وإلهية . ومجموعة من هذه بأنصباة مختلفة ، ومقادير متفاوتة ومتباعدة .
 والسكينه الطبيعّية اعتدال المزاج بتصالح الأُسْطُقتات ، تحدث به لصاحبه
 شارة تسمى الوقار ، ويكون للعقل فيها أثر ياد ، وهو زينة الرّواء المقبول .
 والسكينه النفسية مماثلة الرّوية للبديهة ، ومواطأة البديهة للرّوية ، وقصد
 الناية بالمهيئة المتناسبة ، يحدث بها لصاحبها سمّت ظاهر ورؤوٌّ دائم وإطراقٌ
 لا وُجومٌ^(٢) معه ، وغيبية لا غفلة معها ، وشهامة^(٣) لا طيش فيها .
 والسكينه العقلية حُسن قبول الاستفاضة بنسبة تامة إلى الإفاضة ؛ ومعنى
 هذا أن القابل مستغرق بقوة المقبول منه ، وبهذه الحال يحدث لصاحبها هدى
 يشتمل على وزن الفكر في طلب الحقّ مع سكون الأطراف في أنواع الحركات .
 والسكينه الإلهية لا عبارة عنها على التحديد ، لأنها كالحلم في الأتباء

(١) يشير إلى قول امرئ القيس يخاطب الليل :

فقلت له لِمَا تَمَطَّى بصلبه وأردف أمجازاً وناء بكلكل
 كنى بذلك عن طول الليل .

(٢) « وجوم » .

(٣) « وشهادة » .

نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار
وأعتدال الأفعال ، وصلاح المادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة
السرِّ ومساواته للعلائية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كلِّ صادر منه ووارد عليه .
وهاهنا تمحى الحيلة البشريَّة ، وتبدد الحيلة الطليئية ، وتبديد الكمية المادية
وتغفو الكيفية^(١) العنصرية ، ويكون السلطان والولاية والتصريف والسياسة
كلُّها لتلك السكينة التي قدَّمنا وصفنا لها ، واشتدَّ وجدنا بها ، وطال شوقنا إليها
ودام تحديقنا نحوها ، وأتصل رُؤونا إليها ، وتناهت نَجواننا بِذِكْرها .

وهذا هو الخلع الذي سمعتَ بِذِكْره ، واللباس الذي سألتَ عنه ، أعنى خلع
ما أنتَ منه إنسان ، وليسَ ما أنتَ به ملك . [الله] المستغاثُ منكم ، ما أشدَّ
بلواي بكم ، لِمَ تتحرَّكون إلا إلى ما لا سكون لكم فيه ؟ ولِمَ تسألون عملاً أطلع
لكم عليه ؟ سلوا ربكم أعيناً بصيرة ، وآذاناً واعية ، وصدوراً طاهرة ، وقوَّة
متتابة ، فإنكم إذا مُنِحتموها هُديتم لها ، وإذا حُرِّمتموها قُطِعتم دونها ، ولا
حول ولا قوَّة إلا بالله .

قال البخارى : وقد تركنا يا سيِّدنا حديث السكينة المجموعة من هذه الجملة

بأنصباء مختلفة .

فقال : لا عجب أن يُنشأ العالمُ بكلِّ ما فيه في هذه الحومة^(٢) التي لُدنا
بها وحاولنا الوصولَ إليها ؛ وأى شيء أعجب^(٣) في هذا المقام ، رسم أو قوام ،
أو ثبات أو دوام ، إلا^(٤) له نصيب من عناية الله تعالى الكريم .

(١) « الكمية » .

(٢) « الحومة » .

(٣) عبارة الأصل : « أعجب له » ، ويلوح أن قوله « له » زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : « إلا ما له » وقوله : « ما » زيادة من الناسخ .

نعم ، والسكينة المجموعة من كل ما سلف القول فيه تقاسمها نوع الإنسان بالزيادة والنقصان ، والنموض والبيان ، والقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، وهذا يتبين بأن تقسيم الطيش والحدة والمجلة والخفة على أحبابها ، فتجد التفاوت ظاهراً .

وكذلك إذا قسمت الهدوء والقرار والسكون والوقار على أهلها ، فإنك تجد التباين مكشوفاً والأختلاف ظاهراً .

ثم قال : أما السكينة التي هي في أعلى المراتب فهي لأشخاص هم فوق البشر ، وليس لهم نسبة من الخلق إلا الأخلقة الحسنية والعشرة البشرية ، وإلا فهم في ذروة عالية ، ومحللة إلهية .

قال : وأما السكينة التي تلى هذه فهي للأنبياء على أختلاف حظوظهم منها لأنها مراتب تنقسم بين المنام واليقظة اتقساماً متفاوتاً بالعرض الحامل للصدق وللشبه بالصدق ، وللحق وللقرب من الحق ، وللصحيح والتالي للصحيح ، ثم يختلف بيانهم عن^(١) ذلك بالتمريض والإيضاح ، والكناية والإفصاح ، والتشبيه والاستعارة .

قال : فأما السكينة التي تتلو هذه فهي التي تظهر على طائفة تتخلف الأنبياء ، وذلك أن بقايا قوام يرثها الذين محبوبهم ، واستضاءوا بنورهم ، وفهموا عنهم ، ولقنوا منهم ، ودخلوا في زميرتهم ، وحاكومهم في السمائل والأخلاق ، وسلكوا منهاجهم في القيادة والسياق ، وصلحوا سفراء بين الأبدن ، كما كانوا سُجَرَاء^(٢) للأقربين ، وهم الذين يفسرون الغامض ، ويوضحون المشكل ، ويسطرون العلوي ، ويشرحون المكفي ، ويبرزون المراد والمعنى ، ويوطدون الأساس ،

(١) « ما بهم طي » .

(٢) « سمرأ » . والسجراء : الأصدقاء الأصفياء .

ويرفون الالتباس ، وينفون الوحشة ويحدثون الإيناس .
وأما السكينة الباقية فهي مفضوذة على أتباع هؤلاء بالسهم العلوية ، والمقادير
العدلية ، والمناسيب العقلية ، من غير جور ولا حيف ، ولا انحراف ولا ميل .
قال البخاري : أهي — أعي السكينة — في معنى فاعلة أو مفعولة ؟ فقال :
النضاء أمرض^(١) مما تظن ، وإن كان في غاية العرض ؛ والنزوة أعلى من أن
ترام وإن كان الإنسان يطلبها بالبسط والقبض .
هي بوجه في معنى فاعلتها إذا شعرت بتأثيرها ، وبوجه آخر في معنى مفعولة إذا
شعرت بتأثيرها .

وبوجه آخر ، ليست من هذين القبيلين في شيء إذا لحظتها في معانيها قبل
تأثيرها وتأثرها ، وأنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترتيب ،
بشائع العادة وقائم العرف ، والسكينة وراء هذا كله بالحق والواجب والصحة والتمام
فإنها صراط الله للمخصوصين بالاستقامة عليه ، فإذا شهدت المخصوص بها كانت
عبارتك عن المحفوظ منها مشاكلةً لعبارتك عن أخلاق رضية وأحوال مرضية ،
وإذا شهدت ذلك المعنى من معاني الحق كانت عبارتك متلجلجة لا نظام لها
ولا تعادل ولا أتساق على العادة الجارية والحال الطارئة ؛ فأحق ما ينبغي لطالب
الحكمة واللائد بهذه الحومة أن يبحث وينظر ، ويكشف وينقر ، ويستقصي ويستبصر^(٢)
ويسأل ويستبصر ؛ حتى إذا بلغ هذه الآفاق ، وشهد هذه الأعلام ، ووجد الصواب
الذي لا شوب فيه ، وصادف اليقين الذي لا ريب معه ، وعرف الاستبانة التي تنفي
عن البيان ، وذاق المعنى الذي هو فوق العيان ، أمسك واتمى ، ووقف واستغنى

(١) « النضاء أغض » .

(٢) « ويصبر » .

لا لَمَرَضٍ ظلامٍ غَشِيهِ ، ولكن لسلطانٍ شُعاعٍ مَلَكه ؛ لأن ذلك النور محيط بكل شيءٍ دونه ، ومستَوَلٍ على كلِّ شيءٍ تحته .

وكان يقول في هذا الفن إذا جدَّ به الكلام وبدا منه المكتوم وشرد عنه الخاطر ما لا يُوعَى بحفظ ، ولا يُروى بلفظ .

وإنما كان أصحابنا ينتظرون منشوره بهذه الحروف لفظا لينظموا منه شذرا وعقدا ، وكانوا إذا تلاقوا اشتركوا في تقويم ذلك كله ، وتعاونوا على تحبيره ، وتصادقوا [على] مفهومهم منه ، وتجنبوا المنازعة والشغب عليه ، وأخذوا بالعمو والممكن منه ، لئلا يفوتهم المعنى ، ولا يتحيرون في المنتهى .

(٢) وسأله الأندلسي في هذا المجلس عن الأمم وأحوالها ، ونقصها^(١) وكملها ؛ فقال :
اشتركت الأمم في جميع الخيرات والشرور ، وفي جميع المعاني والأمور : اشتراكا أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره ، ثم استبدت كلُّ أمة بقوالب ليست لأختها ، واشتراكهم فيها كالأصول واستبدادهم كالفروع ، وفيما اشتركوا فيه الحمود والذموم .

ولم يَجْزُ في الحكمة الإلهية غيرُ هذه القسمة ، لأن الاشتراك لو سبق بلا تفاوت لم يكن اشتراكا ، والتقسام لو عَرِيَ من الاتفاق لم يكن تقاسما ، فصار ما من أجله يفترون ، به يجتمعون ، وما من أجله ينتظمون ، به ينتثرون .

فعلى هذا اشتركوا في الأخلاق واللغات ، والعقائد والصناعات ، وجزَّ المنافع ودفع التضار ، مع اختلافهم فيها بنوع ونوع .

ألا ترى أن لغة الهند غيرُ لغة الروم ، وكذلك الصناعة والعقيدة وما يجري مجراها ، إلا أنهم مع هذه الأصول والقواعد تقاسموا أشياء بين الفطرة والتبني ،

(١) « ونقصها » .

وبين الاختيار والتقدمة ، فصار الاستنباط والعوض والتنقيح والبحث والأستكشاف والأستقصاء والفكر [ليونان^(١)] والوهم والحُدس والظن والحيلة والتحيّل والشعبنة [لهند^(٢)] والحصافة^(٣) واللفظ والأستعارة والإيجاز والأتساع والتصريف والسّحر باللسان للعرب ؛ والروية والأدب والسياسة والأمن والترتيب والرسوم والعبودية والثرثورية للفرس .

فأما الترك فلها الشجاعة . والعرب تشاركها إما بالزيادة وإما بالمساواة ؛ وليس للترك بعد هذا حظٌ ولا دراية إلاّ بتسط من الظلّ من الشخص .
والعرب مع منطقتها البارع لها المزية المعروفة على الترك بعدُ [في^(٤)] السياسة وإن كانت قاصرة ؛ وأما الزّبح والسودان فغلبت عليها الفسولة وشاكلت البهائم الضعيفة ، كما شاكلت الترك السّباع القويّة .

قيل له : إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم . قال : قد رأيتُه وقرأتُه وقد أفاد ، وكلّ من تكلم على^(٥) طريقة الحكماء الذين يتوخّون من الأمور لبابها ، ويصرفون عنها قشورها ، فله السابقة والتقدّم على من يخبط كفلان وفلان .
ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجولانها كلّ مجال وتبزيها باللسان فقد كابر ، ومن أنكر تقدّم يونان في إثارة المعاني من أماكنها وإقامة الصناعات بأسرها ، وبجئها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت .
ومن دفع مزية الفرّس في سياستها وتديراتها وترتيب الخاصّة والعامة بحقّ مالها وعليها فقد عاند .

(١) يلوح لنا أن هاتين الكلمتين اللتين بين مربعين ساقطتان من الأصل كما يدل على ذلك ما يأتي بعد من قوله : « ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني » الخ كما يدل عليه أيضاً كلام سبق في المفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم في أوائل هذا الجزء .

(٢) « والحصلة » .

(٣) كلمة « في » زيادة منا يدل عليها المعنى .

(٤) في الأصل « غير طريقة » .

وهكذا مَنْ دفع ما للهند، فليس من شخص وإن كان زرياً قميثاً إلا وفيه
ميرٌ كامنٌ لا يشرّكه فيه أحد، وإذا كان هذا في شخص على ما قلنا، فكيف
إذا نظرت إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا ارتقيت إلى الجنس ، وهذا لأن
عَرَضَ الجنس أوسع من عَرَضَ النوع ، كما أن عَرَضَ النوع أوسع من عَرَضَ
الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق^(١) . وأما
انقسام هذه الثلاثة على هذا فليكون فضاء العالم غاصاً بالطرف والوسط والأفق
وليكون سحاً بالغاً من المصدر إلى المورد .

وعلى هذا لولا الجنس لم يُوجد نوعٌ ، ولولا النوع لم يُوجد شخص .
وكذلك العكس .

قال أبو سعيد الطيب : ألعالم العلويّ أجناس وأنواع وأشخاص ؟ قال :
كيف يخلو العالم العلويّ من هذا التقسيم ، وإنما هذا الذي لحقنا في العالم السفلي
حكاية ذلك العالم العلويّ حَذَوَ النمل بالنمل والقُدَّة بالقُدَّة . فقال له مستزيداً :
فهل في البسائط الإلهية أجناس وأنواع وأشخاص ؟ فقال : لا ، إلا أن يتخذ
شيءٌ من هنالك قراره في معارض العالم السفليّ بقوة العالم العلويّ ، وذلك كالبرق
إذا خَطَفَ ، والتسيم إذا لطف .

قال : فهل ينال البسائط نقصٌ بالإخبار بالأجزاء المركبة عنها كما ينال
المركبات كالأجزاء البسيطة عنها ؟

فقال ، لا ، لأن ماعلا يؤثر ولا يقبل التأثير ؛ وما سفليّ يتأثر . ألا ترى أن
ماعلا من الكواكب لا يتصل بشيءٍ دونه ، وما سفليّ منها يتصل بما علا عنه .
وقال له أيضاً : إذا قلنا : الرُوحانيات ، فإذا ينبغي أن يُلاحظ منها ؟ فقال : (٤)

(١) تحت .

الروحانيات على أقسام ؛ فقسم منها متبدّد في المركّبات من الحيوان والجماد ، وقسم منها مكتنفٌ للحيوان والجماد ، وبحسب هذا الأكتناف هو أبسط وألطف من القسم الأوّل المتبدّد ؛ وقسم منها فوق القسم المكتنف ، وهو الذي منه مادّة المحيط ؛ وقسم آخر فوق هذا الممتدّ ، ثم فوق هذا ما لا يملكه وهم ، ولا يُدرّكه فهم ؛ وذلك أنه في جناب القدس وحيث لا مرّامَ لشيء من قوَى الجنّ والإنس .

(٥) وسألتُ أبا سليمان فقلت : إن عليّ بن عيسى الرثانيّ ذكر أن التمكين من القبيح قبيح ، لأن التمكين من العسّن حسن . فلو كان التمكين من القبيح قبيحا مع كونه من العسّن حسنا كان حسنا قبيحا ؛ وهذا تناقض ؛ كيف صحّة هذا الذي أوّماً إليه ؟

فقال : أخطأت^(١) ، لأن التمكين وحده اسمٌ مجرد لشيء محدّد ، والأسماء المحدّدة دلالتها على الأعيان لا على صفات الأعيان أو ما يكون من الأعيان أو ما يكون في الأعيان .

والتمكين معتبر بما يضاف إليه ويناط به ، فإن كان من القبيح فهو قبيح لأنه علّة القبيح ، وإن كان من العسّن فهو حسن لأنه سببُ العسّن .

وهذا كما تقول : هذا الدرهم نافع أو ضارّ ؟ فيقال : إن صرفته فيما ينبغى فهو نافع ، وإن أتفته فيما لا ينبغى فهو ضارّ ، وكذلك السيف في الآلات ، وكذلك اللفظ في الكلمات ، والإضافة قوّة إلهيّة سرت في الأشياء سريانا غيريزيا قاهرا متملكا قاسرا ، فلا جرم لا ترى حسيا أو عقليا أو هميا أو ظنيا أو علميا أو عرقيا أو عمليا أو حلييا أو يقظيا إلا والتصاريف سارية فيها ، والإضافة حاكمة عليها . وهذا لأن الأشياء بأسرها مصيرها إلى الله الحق ، لأن مصدرها من الله

(١) « أخطأ » .

الحق ، فالإضافة لازمة ، والنسبة قائمة ، والمشابهة موجودة . ولولا إضافة بعضنا إلى بعض ما أجمعنا ولا أفرقنا ، ولولا الإضافة بيننا الغالبة علينا ما تقامنا ولا تعاوننا .

قال : إذا كنا بالتضاييف نتوالى ، فبأى شيء بعده نتمادى ^(١) ؟ قال : هذا أيضا بالإضافة ، لأن الإضافة ظل ، والشخص بالظل يأناف ، وبالظل يختلف . وقال : ويزيدك بيانا أن العدم والوجود شاملان لنا ، سائران فينا فبالوجود نتصادق ، وبالعدم نتفارق .

وسأل ^(٢) مرة عن الطرب على الفناء والضرب وما أشبههما .
فكان من الجواب : قيل لسقراط فيما ترجمه أبو عثمان الدمشقي . لم طرب الإنسان على الفناء والضرب ؟ فقال : لأن نفسه مشغولة بتدبير الزمان من داخل ومن خارج ، وبهذا الشغل هي محجوبة عن خاص مآلها فإذا سمعت أالفناء أنكشف عنها بعض ذلك الحجاب ، فحنت إلى خاص مآلها من المثالات الشريفة والسعادات الروحانية من بعد ذلك العالم ، لأن ذلك وطنها بالحق .

فأما هذا العالم فإنها غريبة فيه ، والإنسان تابع لنفسه ، وليست النفس تابعة للإنسان ، لأن الإنسان بالنفس إنسان ، وليست النفس نفسا بالإنسان ، فإذا طربت النفس — أعني حنت ولحظت الروح الذي لها — تحركت وخفت فأرتاحت واهتزت .

ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه ، وربما مرّقه كأنه يريد أن ينسل من إهابه

(١) « تمادى » .

(٢) سأل ، أى الوزير .

أنه لا بدن له ، فيكون له عَرَضٌ ، والعَرَضُ كُلُّهُ للممكن بالنعمة الذي سلف من الكثرة والقلة والمساواة .

ولهذا تعلقت التكاليف به في ظاهر الحال وبادئ الأمر وعارض الشان ، وأستولى الوجودُ عليه بباطن الحال وخفى الأمر وراتب (١) الشان . لكن هذا الفصل الذي اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحسن كما ينكشف للعقل .

ولما كنا بالحسن أكثر — وإن كنا لانخوف في هذه الكثرة من آثار العقل — لزمنا الاعترافُ بعوائد الممكن وعلائقه ، والعمل عليه ، والرجوع إليه إذا أمرنا أو نهينا أو ائتمرنا [أو اتهمنا] (٢) .

ولما ظهر لنا بإزاء هذا الذي كنا به أكثر أن لنا شبيحا آخر نحن به أقل وهو العقل يشهد لنا بأن صورة الوجوب أستولت من مبدأ الأمر إلى منقطعه الذي هو في عَرَضِ الواجب إلى آخر المتنفع .

وكما لزمنا الاعتراف الأول لنكون به عاملين ومستعملين ، ورافعين وواضعين ، ولأئمين ومكومين ، ونادمين ومُنْدِمِينَ ؛ كذلك لزمنا الاعترافُ بسلطان الواجب الذي لا سبيل إلى عزله ، ولا محيص عن الإقرار به ، ولا فكاك من أطرادِه بغير دافع أو مانع .

واتصل كلامُ ابن عيش على تقطُّع في عبارته التي ما كانت أداته تواتيه فيها ، مع تدفق خواطره عليها ؛ فقال : الرؤيا ظلُّ أَلَيْقِظَةٍ ، وهي واسطةٌ بين (٢)

(١) « ورأيت » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

الذي لصق به ، أو يُقِلَّت من حصاره الذي حُبِس فيه ، ويهروِل إلى حبيبه الذي قد تيجَلِي له وبرز إليه .

إلا أن هذا المعنى على هذا التنضيد إنما هو للفلاسفة الذين لم العناية بالنفس والإنسان وأحوالهما .

وأما غيرهم فطربُهم شبيهٌ بما يعترى الطيرَ وغيرَها ، وأنصرفتُ .

الليلة الخامسة عشرة

(١) وجرى مرة كلامٌ في الممكن ، فحكيتُ عن ابن يعيش الرقيّ فصلا سمعته بقوله ، لا بأس برسمه في هذا الموضع ، فإن التشاور في هذا الحرف دائم متصل وينبغي لنا أن نبحث عنه بكلِّ زحفٍ وخبو^(١) ، وبكلِّ كَدٍّ وعَفْو .

قال : الممكن شبيهٌ بالرؤيا لا بدن له يستقل به ، ولا طبيعة يتحيز فيها . ألا ترى أن الرؤيا تنقسم على الأكثر والأقل والتساوي ، وكما أن الرؤيا ظلٌّ من ظلال اليقظة ، والظلُّ ينقص ويزيد إذا قيس إلى الشخص ؛ كذلك الممكن ظلٌّ من ظلال الواجب ، فطورا يزيد تشابها للواجب ، وطورا ينقص تشاكها للممتنع ، وطورا يتساوى بالوسط .

قال : والواجب لا عرض له ، لأنه حدّ واحد ، وله نصيب من الوحدة بدليل أنه لا تغير له ولا حيولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، بل العقل ينقاد له ، والطبيعة تُسلم إليه ، والوهم يفرق منه وصورة الواجب لا يحدسها الظن ، ولا يتحكم فيها تجويز ، ولا يتسلط عليها دماغ ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على الممتنع ، لأنه في مقابلته على الضد ، أعني

(١) « حبو وزحف » .

اليَقظة والنوم ، أعنى بين ظهور الحِسِّ^(١) بالحركة ، وبين خفائه بالسكون .
قال : والنوم واسطة بين الحياة والموت ، والموت واسطة بين البقاء الذى
يتصل بالشهود^(٢) وبين البقاء الذى يتصل بالخلود .

قال : وهذا نعتٌ على تسهيل اللفظ وتقريب المراد والتصوير ؛ والثقة شوك
القتاد ، وأزدرادُ العَلَمِّ والصاب ، للحواجز القائمة والموانع المترضة من الإلف
والتمشأ وغير ذلك مما يطول تعديده ويشق استقصاؤه .

فقال^(٣) : هذا كلامٌ ظريف ، وما خلت أن ابن يعيش مع فدامته^(٤) ،
ووَخَامَتِهِ يسحب دَيْلَهُ في هذا المكان ، ويُجرى جوادَه بهذا العنان .

قلت له : إن له مع هذه الحالِ سَرائِرَ بَمِيدة ، ومَقاصِدَ عالية ، وأطرافاً
من المعاني إذا اعتلقت دَلٌّ عليها ، إما بالبيان الشافى ، وإما بما يكون طريقاً إلى
الوهم الصافى .

وقلت : لقد مرَّ له اليومَ شيءٌ جرى بينه وبين أبى الخير اليهودى^(٥)
أستفيد^(٥) منه .

قال : وما ذاك ؟ أنثرَ علينا دُرَرَ هذه الطائفة التى نميل إليها بالأعتقاد
وإن كنا نقع دونها بالأجتهد ؛ ونسأل الله أن يرحم ضعفنا الذى منه بُدِّئنا^(٦)
ويبدلنا قوةً بها نجد قُربنا فى آخرنا .

(١) « والحركة » .

(٢) « بالشهود » .

(٣) فقال ، أى الوزير .

(٤) « فدامته » بالقاف .

(٥) فى الأصل « ما استفيد » و « ما » زيادة من الناسخ .

(٦) « وورينا » . وبدئنا ، أى خلقنا .

قلت : ذكر أن العقل لا غناء ^(١) له في الأشياء التي تغلب عليها الحيلولة والسيلان والتطوّل ، كما أن الحسّ لا ينفذ في الأمور التي لا تطوّر لها بالحيلولة والتطوّل ، ولذلك عرفت الحكمة في الكائنات الفاشيات ^(٢) ، وخفيت العِلل والأسباب في بدوّها وخفيّتها وتبدّدتها وتألفها ، لكنّ هذا الفرق والخفاء مسلّمان للقُدرة المستعملية والمشيئة النافذة .

قال : ولهذا الترتيب سرٌّ ^(٣) به حسن هذا النعت ، وإليه انتهى هذا البحث وذلك أن خفاء ما خفي بحقّ الأول الحقّ ، وبدوّ ما بدا من نصيبٍ أُطلق لِذِي ^(٤) لا يحتمل غير هذا الثقل ، ولو خُفّف عنه هذا للحقّ الإنسان البهائم ، ولو ثقل عليه هذا للحقّ الملائكة ، فكان حينئذ لا يكون إنسانا ، وقد وجب في الأصل أن يكون إنسانا كاملا بالنصّب والدأب ، ويمتعض من أن تكون صورة الإنسان عنده مُعارة ، لأنه في الحقيقة حيوان غير ناطق ، بل يجتهد بسعيه وكدحه أن يصير إنسانا فاضلا ، ويكون في فضله وكاله ملكا ، أعنى بالمشاكهة الإرادية لا بالمشاكهة النوعية .

قال : وغاية الحكمة منها للباشرين لها أن المعرفة تقف على حيلولتها ولسيلانها فقط ، لا على تصفح أجزائها ، لأن الترتيب فيها يستحيل مع الزمان . ألا ترى أن الرقم على الماء لا صورة له ، لأن صفحة الماء لا ثبات لها ، وكذلك الخلط في الهواء ، وكذلك الكائنات البائذات ^(٥) لا صورة لها ، لأنها لا ثبات

(١) « غناء » .

(٢) « الفاسدات » .

(٣) « شربه » .

(٤) « الذي » .

(٥) « الباراب » .

لها ، وأنت إذا وجدت شيئاً لا ثبات له لم تضمّ إليه شيئاً آخر لا ثبات له طمعا في وقوع الثبات بينهما ، هذا ما لا يدين به وهم ، ولا ينقاد له ظنّ ؛ ولو ساغ هذا لساغ أن يُجمع بين ماله ثبات ، وبين ماله أيضاً ثبات ، فيحدث هناك سَيِّلانٌ وأستحالة .

(٤) وقال : وَصَفُ العَقْلِ بِشَهَادَةِ الحَسَنِ ، كما يكون وصف الحسّ بشهادة العقل إلا أن شهادة الحس للعقل شهادة العبد للمولى ، وشهادة العقل للحس شهادة المولى للعبد ؛ على أن هاتين الشهادتين لا يطردان ولا يستمرّان ، لأن لكل واحد من الحس والعقل تفرّداً بخاصّ ماله ، ولذلك ما وُجد حيوانٌ لأعقل له البتة ، ووُجد في مقابلته حتى لا حسّ له .

ثم قال : بل العقل يحكم في الأشياء الروحانية البسيطة الشريفة من جهة الصوَرِ الرفيعة ، والعلائقُ التي بين المقولات والمحسوسات مانعت العقل ، والعاقل من خُلق^(١) الباقيات الخالديات الدائمات القائمات الثابتات من حومة الكائنات الفاسدات البائتات^(٢) الذاهبات الحائلات الزائلات المائتات البائتات .

ودخل في هذا التلخيص ضربٌ من الشكّ والتمازى والخصومة والتعاضد والتعنّت إلى اختلاف عظيم ، ووقفتُ عن الحُكم بعد اليقين .

(٥) وقال — أدام الله سعاده — ما السجّية^(٣) ؟ قلت : سمعتُ الأندلسي يقول : فلان يمشى على سجّيته^(٣) ، أى طبعه^(٣) .

(٦) قال : هل يقال : ظفرتُ عليه ؟ قلتُ : قد قال شاعرهم .

وكانت قريش لو ظفرونا عليهمُ شفاء لما في الصدر والنقصُ ظاهرُ

(١) « في تخليص » .

(٢) « البائتات » .

(٣) وردت هذه الكلمات الثلاث التي تحت هذا الرقم في الأصل هكذا « البه »

« حسه » . « لحفته » . والتعريف فيها ظاهر .

قال : هذا حسن . قلتُ : الحروف التي تتعدى إلى الأفعال ، والأفعال التي تتعدى بالحروف ؛ يراعى فيها السماعُ فقط لا القياس .

هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد ؛ وقد جاء أيضا « ظفّره » ؛ وجاء « سخّرتُ به ومنه » .

ومن لا أتّسع له في مذهب العرب يظنُّ أن « سخّرتُ به » لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد .

قال : كيف يقال في جمل به غُدّة ؟ فكان من الجواب : جَمَلٌ مُغِدٌّ . قال : فكيف يُجمع ؟ فكان الجواب بأنه في القياس ظاهر ، ولكن السماعُ قد كفى . قال الشاعر — وهو خِراش بنُ زهير :

فَقَدْ تَكْمُو^(١) وَلَحْظُكُمُو إِلَيْنَا بِيَبْطُنِ عُكَاظَ كَالإِبِلِ الْغِدَادِ^(٢)
ضَرَبْنَاهُمْ بِيَبْطُنِ عُكَاظَ حَتَّى تَوَلَّوْا طَالِعِينَ مِنَ النَّجَادِ

وقال — حرس الله نفسه — من لقبه^(٣) الخُرَسيّ إلى أيّ شيء يُنسب ؟ فكان من الجواب : يقال : رجل خُرَسانيّ وخُرَسيّ وخُرَسيّ ، فنُسبت^(٤) إلى رجل نزلها^(٥) فاشتهرت به .

فقال : القَدال كيف يجمع ؟ فكان من الجواب أن فعَالاً وفعِيلاً وفعِيلاً وفعِيلاً أخوات تُجمع في الأقلّ على أفِعلَة ، يقال : حِمَارٌ وأحْمَرَةٌ ، وغُرَابٌ وأغْرَبَةٌ ، وقَدَالٌ وأقْدِلَةٌ ، وعمُودٌ وأعمدة .

(١) في اللسان مادة (غدد) : « عدتمكم ونظرتكم »

(٢) في كتب اللغة مادة (غدد) أن غداداً جمع (غاد) لا جمع سماعي (المُغِد) كما تفيدُه عبارة المؤلف .

(٣) « له » .

(٤) أي نسبت كورة خراسان إلى رجل اسمه خراسان ، كما في كتب اللغة .

(٥) ورد في الأصل بمد قوله « نزلها » هذه الكلمة : « سه » مهملة الحروف من التقط ؛ ولم تثبت الصواب فيها .

قال: نسيت^(١) أسألك عن المسألة الأولى — أعنى الخُرميَّ — من أين لك تلك الفُتيا ؟

فكان من الجواب: قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيويوه .
قال: بردت غليلي ، فإن الحجّة في مثل هذا متى لم تكن بأهلها كانت متلجلجة .

قال: أنشدني شيئاً نختم به المجلس ، فقد مررت طرائف .

فأنشدته لهُمارة بن عَقِيل في بنت^(٢) له :

حُبِّكَ يَا ذَاتَ الْأُنَيْفِ الْأَكْشَمِ^(٣) حُبِّ تَسَاوَاهِ مُشَاسٍ^(٤) أَعْظَمِي
وَدَبِّ بَيْنِ كَيْدِي وَخَزْمِي وَسَاطِهِ^(٥) اللَّهُ بَلْحَمِي وَدَمِي
فَلَيْسَ بِالْمَذْقِ وَلَا الْمَكْتَمِ وَلَا الْأَدَى إِنْ يَتَقَادَمِ يُسْأَمِ
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْ فَوَادِي — فَأَعْلَمِي — مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْكُحْبِ الْمَكْرَمِ
وَانصرفتُ .

الليلة السادسة عشرة

(١) ثم عُدْتُ وقتاً آخر فقال: كنتَ حكيت لي أن العامريَّ صنّف كتاباً

عنوانه (يا فتاح البشّر من الجبر والقدر) ، فكيف هذا الكتاب ؟

قلتُ: هذا الكتاب رأيته بخطه عند صديقنا وتلميذه أبي القاسم الكاتب

ولم أقرأه على العامريِّ ، ولكن سمعتُ أبا حاتم الرازي يقرؤه عليه ، وهو كتاب

(١) « لست » .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من التقط .

(٣) الأكسم: المقطوع ، يريد وصفها بصغر الأنف حتى كأنه قد قطع منه جزء .

(٤) المشاس: كل عظم لا يخ فيه .

(٥) ساطه: خلطه .

فيس ، وطريقة الرجل قوية ، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر ، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما .

قال : لم قيل الجبر والقدر ولم يُقَلَّ الإيجاب .

فكان الجواب : أن الإيجاب^(١) لفة قوم ، والجبر لفة تميم ، يقال : جبر الله الخلق وأجبر الخلق ، وجبر بمعنى جبل ؛ واللام تماقب الراء كثيراً .

قال : فتكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ، واتقد له إن كان الحق فيما ذهب إليه ودل عليه .

فكان من الجواب : أن من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأوتار من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعزى نفسه من العقل والأختيار والتصرف والتصريف ، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر ، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوارف والموانع التي تنسب إلى الله الحق ؛ فهذا هذا .

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والأختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين المحدثين اللامئين للوهمين المكافئين ، فإنه يعلقها بهم ويُلصقها برقابهم ، ويرى أن أحداً ما أتى إلا من قبل نفسه وبسوء اختياره وبشدة تقصيره وإيثار شقائه ؛ والملاحظان صحيحان واللاحظان مصيبان ، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف ، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية ، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية .

فلما وقعت البيئونة^(٢) بين الناظرين بالطبع والنسبة لم يرتفع القال والقيل

(١) « من الإيجاب » ، « ومن » زيادة من الناسخ .

(٢) « السوية » .

من ناحية القول والصفة ، فهذا هذا .

قال — أطلال الله بقاءه — فما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال : إن القضاء مصدره من العلم السابق ، والقدر مؤرده بالأجزاء الحادثة .

فقال : لم ورد في الأثر ؟ : « لا تخوضوا في القدر فإنه سرُّ الله الأكبر » .
فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال لنا في هذه الأيام . إن الناموس ينطق بما هو أمتصلاح عام ، ليكون النفع به شائماً في سكون النفس وطيب القلب وروح الصدور .

فإن كان هذا هكذا فقد وضح أن حكمة هذا السرِّ طيبة ، لأن عجز الناظرين يفضي بهم إلى الحيرة ، والحيرة مضلة ، والمضلة هلكة . وإذا كانت الراحة في الجهل بالشئ ، كان التعب في العلم بالشئ ، وكم علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكم جهل لو ارتفع منا لكان فيه هلاكنا ؛ [والعلم] ^(١) والجهل مقسومان بيننا ومفوضان علينا على قدر احتمال كل واحد منا للذي سبق إليه وعلق به ، ألا ترى أن علمنا لو أحاط بموتنا متى يكون ؟ وعلى أي حال تحدث العلة ^(٢) أو المحنة أو البلاء ؟ لكان ذلك مفسدة لنا ، ومحنة شديدة علينا .

فأنظر كيف زوى الله الحكيم هذا العلم عنا ، وجعل الخيرة فيه لنا .
ألا ترى أيضاً أن جهلنا لو غلب علينا في جميع أمورنا لكان فساد ذلك في عظم الفساد الأول ، والبلاء منه في معرض البلاء المتقدم ، فعم هذا الذي أشرف على هذا الغيب المسكون والسر الخزون فينقل عن الشكر الخالص ، والأستسلام الحسن ، والبراءة من كل حَوْل وقوة .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « أو العلة » ، « أو » زيادة من الناسخ .

فالأستمداد ممن له الخلق والأمر ، أعنى الإبداء والتكليف ، والإظهار والتشريف ، والتقدير والتصريف .

قال : هذا فنٌ حَسَنٌ ، وأظنُّكَ لو تصدَّيتَ للقصص والكلام على الجميع ^(١) لكان لك حظٌّ وافر من السامعين العاملين ، والخاضعين والمحافظين .
فكان من الجواب : أن التصدَّى للعامة خلُوقه ^(٢) ، وطلب الرِّفعة بينهم ضعة ، والتشبه بهم نقيصة ؛ وما تعرَّض لهم أحدٌ إلا أعطاهم من نفسه وعِلمه وعقله ولُوثته ونِفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم .
وليس يقف على ألقاصٍ إلا أحدٌ ثلاثة .

إمّا رجل أبله ، فهو لا يدري ما يخرج من أمِّ دماغه .
وإمّا رجل عاقلٌ فهو يزدرية ^(٣) لتعرَّضه لجهل الجهال ، وإماله نسبة ^(٤) إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجانب للهجر ، والأعتراف الجالب للوصل ، فالقاص ^(٥) حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمداواة هذه الطوائف ، وحينئذ ينسلخ من مهماته النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الأزدیاد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة ، إمّا مقتبساً منهم ، وإمّا قابساً لهم ؛ وعلى ذلك فما رايت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما وإلا ديناراً أو ثوباً ؛ ومناصبه شديدة المائليه وعُداته .
قال : إن الليل قد دنا من فجره ، هاتِ ملحّة الوداع .

(١) يريد بالجميع ، العامة .

(٢) يريد بالخلُوق هنا معنى التبذل والامتهان . يقال : خلق التوب بتثليث اللام خلُوقه

وخلافة : إذا بلى .

(٣) يزدان به .

(٤) ورد في الأصل بمد هذه الكلمة قوله : « له » وهي زيادة من الناسخ .

(٥) « فالقاص » .

قلتُ : قال يمتوب صاحب (إصلاح المنطق) :
 دخل أعرابي الحمام فزلق فأشجج ، فأنشأ يقول :
 وقالوا تظَهَّرَ إنَّهُ يَوْمٌ مُجَمَّةٌ فرُحْتُ من الحمام غيرَ مُعْظَرٍ
 ترَدَّيتُ منه [إشارياً] ^(١) شَجَّ مَفْرَقِي بفلسين إني بئس ما كان متَجَرِي
 وما يُحْسِنُ الأعرابُ في السُّوقِ مِشِيَةً فكيف بيئت من رَخامٍ ومَرَمَرٍ
 يقول لي الأنباطُ إذ أنا نازل ^(٢) « به لا بظهي بالصريمة أعر» ^(٣)
 وقال — حرس الله نفسه — كنتُ أروى قافية هذا البيت « أعرأ » ،
 وهذه فائدة كنتُ عنها في ناحية ؛ وأنصرفت .

قد رأيتُ أيتها الشيخ — حاطك الله — عند بلوغى هذا الفصل أن أختَمَ (٧)
 الجزء الأول بما انتهى إليه ، وأشفقته بالجزء الثاني على سياج ما سلف نظَّمه
 ونثره ، غيرَ عاجزٍ على ترتيبٍ يحفظ صورة التصنيف على المادة الجارية لأهله ،
 وهذري في هذا واضح لمن طلبه ، لأن الحديث كان يجري على عواهنه بحسب
 السامع والداعي .

وهذا الفن لا ينتظم أبداً ، لأن الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، وإنما يملك
 ما هو له وإليه .

وهذا فصل يحتاج إلى نفسٍ مديد ، ورأيٍ يصدر عن تأييد وتسييد ^(٤) ؛
 والسلام ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ،
 وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ وبقي البيت تفضى ما أتينا .

(٢) « تارك » .

(٣) هذا مثل يضرب في العمارة بالرجل . يريدون أن المكروه ينزل به ولا ينزل بظهي
 أعر ؛ كأنه من الحسة والهوان بحيث يفرض عليه الظهي الأعر .

(٤) في نسخة ميلانو بعد قوله : « وتسييد » ما نصه : أنشئت هذه الرسالة في رجب
 سنة أربع وسبعين ومائة .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

- (١)
- ابن الجبل — ٣ : ٦٦
 ابن الحجاج = أبو عبد الله الحسين بن أحمد
 ابن الحجاج
 ابن حسولة = أبو القاسم بن حسولة
 ابن خنزابة — ٨ : ١٣٠
 ابن حيوة = محمد بن حيوة بن المؤمل
 ابن خلركان — ٢١ : ٦٧
 ابن الخمار = أبو الخير الحسن بن سوار
 ابن خيران = أبو علي الحسين بن صالح بن
 خيران
 ابن دارة — ١٤ : ٤٦
 ابن درستويه — ٩ : ١٣١
 ابن رياح — ٦ : ١٠٨
 ابن ربن = علي بن ربن
 ابن رشيد — ٨ : ١٠٨
 ابن الروى = أبو الحسن علي بن العباس
 ابن جريج
 ابن زرعة = أبو علي عيسى بن إسحاق
 ابن زرعة
 ابن السراج = أبو بكر محمد بن السرى
 ابن سهل
 ابن سمدان — ١٣ : ٤٣ ، ١٩ : ٤٢ ،
 ١٧ : ٦٦
 ابن سكرة — ٧ : ١٣٧
 ابن السناك = أبو العباس محمد بن صبيح
 السكونى
- إبراهيم بن العباس الصولى — ٧ : ٥٨
 إبراهيم بن حلال أبو إسحاق الصابى —
 ١٣ : ٦١ ، ٦٧ ، ٧٧ و ١٧ *
 ابن أبي بكر — ٦ : ١٠٨
 ابن أبي خالد — ١٣ : ٥٨
 ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب
 ابن أبي طالب الجراسمى الكاتب صوابه
 أبو طالب = أبو طالب
 ابن الأثير — ٢١ : ١٣٧ ، ٢٤ : ٥٠
 ابن الأخشاد — ٦ : ١٠٨
 ابن الباطلى = أبو بكر محمد بن الطيب القاضى
 ابن برن — ٦ : ٧١
 ابن برمويه = الحسن بن برمويه
 ابن بنية الوزير — ١ : ٤٢
 ابن بكش — ٤ : ٣٨
 ابن البيطار — ٢١ : ١٧٩
 ابن ثابت — ١٥ : ٥٦
 ابن ثوبة أبو الهيثم — ٦٦ . ٦ : ٥٨
 ٩ : ١٠٣ * ١٨ و ٨ : ٩٧ . ٣
 ابن جبة الكاتب — ١٣ : ٤٧ ، ٨ : ٤٢
 ٨ : ٤٨
 ابن جرير — ١١ : ٥٨
 ابن جليات = أبو القاسم علي بن جليات

ابن مسكويه — ١٨ : ٣٥
ابن العلم = أبو عداة محمد بن محمد بن النعمان
ابن القفح — ١٧ : ٧٠ ، ٩ : ٦٥ ، ١٧ : ٤١
٣ : ٧٣ ، ٤ : ٧١
ابن مكينا = أبو علي بن مكينا
ابن الملاح — ١٥ : ١٤٠
ابن موسى — ١٠ : ٥٧
ابن الناظر أبو منصور — ٨ : ٤٢ و ٩
ابن نباتة السدي = عبد العزيز بن محمد الشاعر
ابن النديم — ٢٣ : ٢٠ ، ٦٧ : ٢١ ، ١١ : ٧٩
ابن نوحث — ١٠ : ٥٨
ابن هارون — ٧ : ٤٨
ابن هندو — ٥ : ٦٣
ابن الوراق — ١١ : ١٢٩
ابن وهب — ٩ : ١٠٣
ابن يحيى المالوي — ٨ : ١٠٨
ابن يعقوب — ٤ : ٣٨
ابن يبيش الرقي — ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤ ، ٧ : ٢١٦ ، ٢ : ١٠٧ ، ٧ : ١٠٦
٧ : ٢١٨ ، ١٧ : ٢١٧
ابن يونس القنائي = أبو بصرمتي بن يونس
أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن هلال الكاتب
أبو إسحاق مزبذ المدني — ١٧ : ٥٨
* ٢٣
أبو إسحاق التصليبي — ٤ : ١٤١
أبو بصرمتي بن يونس القنائي — ١٠٧ :
١٣ و ١٧ و ٢٤ * ١٠ : ١٠٨
١١٢ ، ١ : ١١١ ، ٨ : ١٠٩
١٠ : ١١٥ ، ١ : ١١٤ ، ٧
١١٨ ، ١٤ : ١١٩ ، ٦ و ١٥
٩ : ١٢٢ ، ١١ : ١٢١
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث —
٥ : ١٥

ابن السمع = أبو علي بن السمع
ابن سيرين — ١٣ : ٥٨
ابن سيف الكاتب الراوية — ٨ : ٢٨
ابن شاذان — ٣ : ١٣٤ ، ١١ : ١٢٩
ابن شاهويه عامل صمصام الدولة — ٤٣ :
٥ و ١١ ، ٤٨ : ٤٤ ، ٥٣ : ٣
ابن شاهويه الفقيه = أبو بكر محمد بن أحمد
ابن علي
ابن طنج — ٨ : ١٠٨ ، ١٩ : ٧٩
ابن عباد = أبو القاسم إسماعيل صاحب
ابن عباد
ابن بدران — ٧ : ٤٣ ، ٤ : ٣٨
ابن عبد العزيز الهاشمي : ٨ : ١٠٨
ابن عبدكان = محمد بن عبدكان
ابن عبيد الكاتب — ٦١ ، ١٣ : ٤٨ ، ١٥ : ٩٦ ، ٥
ابن العميد = أبو الفضل بن العميد
ابن القرات الوزير أبو الفتح الفضل بن
جعفر — ٥ : ١٠٨ ، ١٦ : ١٠٧ ، ١٠٩ : ١١٨ ، ١٨ : ١١٧ ، ٤ : ١٠٩
٣ : ١٢٠ ، ١٤ : ١١٩ ، ١٤ : ١٢٠ ، ٣ : ١٢١
١٧ : ١٢٨ ، ١٧ : ١٢١
ابن فراس — ٧ : ١٠٨
ابن القاسم = علي بن القاسم
ابن القرميني — ٣ : ١٣٤
ابن قوسين — ٤ : ٣٨ و ١٩ *
ابن كعب — ٧ : ١٠٨
ابن لالا — ٤ : ٣٨
ابن دق = بصرمتي
ابن مجاهد — ١١ : ٥٨
ابن الحيا = خالد بن سنان العبيسي
ابن اللديني — ٢٥ : ٢٦
ابن المرغني = أبو الفتح محمد بن جعفر
ابن المرزيان كاتب غفر الدولة — ١ : ٦٢ ، ٦ : ١٤١

٢٠، ١١٠، ٢٢٢، ٢٠٧، ٢٢ : ٢٢
أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن
الجار — ٣٢ : ١ و ١١ * ٣٣ :
١٤، ٣٥ : ٦
أبو الخير اليهودي — ٢١٨ : ١٢
أبو دعلج — ٧٠ : ٦
أبوزكرياء — ٣٥ : ١١
أبوزكرياء = يحيى بن عدى
أبوزيد اللغوي — ١٣١ : ٢٢١، ٢٢٢ : ٦
أبوزيد أحمد بن سهل البلخي — ٢٦ : ٢
و ١٥ * ٢١٢ : ١١
أبو سعيد بهرام بن أزدشير — ٤٣ : ٦
و ١٥ * ٤٤ : ٤٨، ٤٨ : ٥
أبو سعيد الذهبي الطيب — ١٥٧ : ١٤،
٢١٣ : ١٠
أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن
المرزبان — ٢٥ : ٢ و ١٧ * ٢٧ :
٢، ٢٨، ٢٥ : ٧٩، ١٨ : ١٠٧،
١٧، ١٠٨ : ٣، ١٠٩ : ٤،
١١١ : ٤، ١١٢ : ١، ١١٤ :
٢، ١١٥ : ١٢، ١١٨ : ٣،
١١٩ : ٣، ١٢٠ : ١٢١، ١٢١ :
١٢٢، ١٢٨، ٣ : ١٢٢، ١٢٩ :
٦، ١٣١ : ٦، ١٣٢ : ٣،
١٣٣ : ٤، ٢٢١، ٣ : ٢٢٢،
أبو سليمان المنطقي محمد بن طاهر — ٢٩ :
٢ و ١٣ * ٣١ : ١٠، ٣٣ :
٤، ٣٥ : ٦، ٣٩ : ٧، ٤٠ :
١٦، ٤٢ : ٦، ٨٨ : ١٦،
١٣٠ : ١٣، ١٤٦ : ٨، ٢٠١ :
١٣، ٢٠٥ : ١٠، ٢٠٦ : ٧،
٢٠٧ : ٢١، ٢١٤ : ٧، ٢٢٤ : ٣
أبو شرح أوس بن حجر التيمي الشاعر —
٥٩ : ٣

أبو بكر القومسي — ٣٢ : ١ و ١٤ *
٣٤ : ١١
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه
الفتيه — ٢١ و ٩ : ٤ *
أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف
بابن السراج النحوي — ٢٧ : ٢ و ١٤ *
أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي القاضي —
١٤٣ : ١ و ١٨ *
أبو جعفر الصيمري — ١٣٢ : ٧،
١٣٣ : ٢
أبو جعفر ملك سجستان — ١٣٠ : ١٣
أبو حاتم الرازي — ١٤٠ : ١٩، ٢٢٢ : ١٧
أبو حامد أحمد بن بصر المرورودي — ٩٠ :
١٩ و ٦ * ٩٥ : ٧
أبو الحسن أحمد بن جعفر جعظة القاصر —
٢٨ : ٨ و ١٩ *
أبو الحسن الأنصاري صوابه الأنطاكي وهو
أبو القاسم علي بن أحمد — ٩٣ : ١٠ و ١٩
أبو الحسن العروضي — ٥٩ : ١
أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ابن
الرومي) — ٢٧ : ٣ و ١٧ *
أبو الحسن علي بن عيسى الرماني — ١٠٨ :
٣، ١٢٨ : ١١، ١٢٩ : ٥،
١٣٣ : ١٣ و ٢٠ * ٢١٤ : ٧
أبو الحسن الفلكي — ٦٨ : ١٧
أبو الحسن محمد بن يوسف العامري — ٣٥ :
٣٦، ١ : ١٥ * ٢٢٢ : ١٤،
٢٢٣ : ٦
أبو حنيفة (الإمام) — ٥٥ : ٣، ١٣٢ : ٤
أبو حنيفة القفوي — ١٩٣ : ٢٠
أبو حيان التوحيدى — ١ : ٢، ١٩ :
٣، ١١ : ٧، ٢٦ : ١٧،
٢٩ : ١٤، ٣٢ : ١٤، ٣٦ : ١٧،
٥٠ : ٢٥، ٩٠ : ٢٠، ١٠٤ :

أبو عثمان الجاحظ — ٥ : ٢٣ ، ٥٨ : ١٤

٤ : ٦٦

أبو عثمان المشفق — ٢١٥ : ٩

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه — ٣٢ : ١

و١٦٦ * ٣٥ : ٣ ، ٣٦ : ٢ ، ٤٨ :

١٤ ، ١٣٦ : ٤

أبو علي الحسن بن علي الخالغ — ١٣٦ :

١ و ١٢ *

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران —

١٤١ : ٨ و ٢٠ *

أبو علي بن السمح — ٣٢ : ١ و ١٣ *

أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة —

٣٢ : ١ و ٩ * ، ٣٣ : ٨ ، ٤٨ : ١٣

أبو علي الفسوي النحوي الحسن بن أحمد —

١٢٩ : ٥ و ١٩ * ، ١٣١ : ٤ ،

١ : ١٣٢

أبو علي بن مكينا — ٤٣ : ٦ و ٢١ *

٤٤ : ١١ ، ٤٨ : ٦

أبو عمرو بن الملاء — ٥٨ : ٩

أبو عمرو قدامة بن جعفر — ١٠٨ : ٧

أبو عيسى بن المنجم : ٥٦ : ٤

أبو العيناء — ٥٨ : ١٣ ، ٧٠ : ٦

أبو الفتح بن العميد = ذو الكفايين

أبو الفتح علي بن أبي الفضل محمد بن

العميد

أبو الفتح الفضل بن جعفر = ابن الفرات

الوزير

أبو الفتح محمد بن جعفر المنذاني بن المراهي —

١٢٩ : ١٠ ، ١٣٣ : ١٧ و ٢٢ *

أبو الفضل بن العميد الكاتب — ١٦ :

١٤ ، ١٧ : ١٥ ، ٣٢ : ١٧ ، ٣٥ :

٤٨ ، ٣٦ : ١٨ ، ٦١ : ١٢ ، ٦٦ :

٣ ، ٦٧ : ٩ ، ٦٨ : ١٥ ، ١٣٢ :

١٢ ، ١٣٦ : ٢٦

أبو شعيب دوست بن رباط القيمي —

٧٠ : ٩

أبو طالب الجراسي — ٦٨ : ١٤ و ١٦

أبو العباس — ١٢٤ : ٥

أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان النطنج

— ٢٠٧ : ١٥ و ٢١ * ، ٢٠٨ :

١٤ ، ٢١٠ : ٤

أبو العباس المبرد — ٢٧ : ١٥ ، ١٣١ : ٨

أبو العباس محمد بن صباح الكوفي المعروف

بأبي السماك — ١٤ : ٥ و ١٥ *

١٥ : ٤ ، ٢٢ : ٣

أبو عبد الله تلميذ أبي سعيد السيرافي —

١٣٣ : ٤ و ٥

أبو عبد الله الجيهاني أحمد بن محمد بن نصر —

٧٨ : ١١ و ٢٥ * ، ٨٥ : ١٥ ،

٨٦ : ١٤ ، ٨٨ : ٥ ، ٨٩ : ٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج

القاهر — ٤٨ : ٧ ، ١٣٧ : ٤

و١٤٥ و ١٥ * ، ١٣٨ : ١ ، ١٣٩ : ٨

أبو عبد الله الحسين بن علي الجبل — ١٤٠ :

١ و ١٦ *

أبو عبد الله الحسين بن محمد التجار — ٥٨ :

١٦ و ٢١ *

أبو عبد الله بن طاهر — ٤٣ : ٦ و ٢٢ *

٤٥ : ٣ ، ٤٨ : ٦

أبو عبد الله العارض الحسين بن أحمد بن

سعدان الوزير — ٢ : ١٩ ، ٤ :

١١ و ٢٣ : ١٢٩ ، ٢٢٢ : ١٣٩ ،

٩ و ١٨

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم —

١٤١ : ٢ و ١٦ *

أبو عبد الله النصري — ١٣٢ : ١٠

أبو سعيد الله المرزباني محمد بن عمران —

٤١ : ٥ ، ١٢٩ : ١٠ ، ١٣٤ :

٣ و ١٥ *

٥٠ : ٥٠ ، ١٣ : ٤٨ ، ٤ : ٤٧
و ٢٢ * ٥١ : ٧ : ٥٢ ، ٧ : ٢٣
٢٣ : ٢٢٦
أبو يوسف الفقيه — ١٠ : ٥٨
أحمد بن بصر للروروذي = أبو حامد
أحمد بن بصر
أحمد بن جعفر جعطة = أبو الحسن أحمد
ابن جعفر
أحمد بن سهل البلخي = أبو زيد أحمد
ابن سهل
أحمد بن محمد — ٢ : ٦٤
أحمد بن محمد مكويه = أبو علي أحمد بن محمد
أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني = أبو عبد الله
الجيهاني أحمد بن محمد
أخشايد — ١٠ : ٧٩
إديوس — ٣ : ١٦٤
أرسطوطاليس — ٥٨ ، ١٨ : ٣٦
٩ : ١١٦ ، ٤ : ١١٤ ، ١٢
استانينجاس — ٢٠ : ٦١
إسحاق بن إبراهيم القوصلي — ٦ : ٧٦
إسحاق بن عمران — ١٩ : ٩٧
الأسدي — ١٥ : ٩٤
الإسكافي — ١٠ : ٥٨
الإسكندر — ٥ : ٧٥
إسماعيل بن عباد = أبو القاسم إسماعيل
الصاحب بن عباد
أشجع السلمي — ٨ : ٥٨
الأصمعي — ٧ : ٩٤
أفكين — ١٠ : ١٣٧
الأربع بن حابس — ٥ : ٨٥
أقليدس — ٩ : ٨٩
امرؤ القيس — ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠ : ١١٨
الأنديسي — ١٦ : ٢٣٠ ، ٩ : ٢١١
أنوصروان — ٣ : ٨٠ ، ٧ : ٧٥

أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد —
٣ : ١٣ و ٢٣ * ، ٢٤ : ١٤ و ٢٣ ،
٥٣ : ٢ ، ٦١ : ١٥ ، ٦٣ : ١٣ ،
٦٤ : ٦٦ ، ٦٧ : ٦٨ ، ٦٩ : ٦٤
١٩ ، ١٠٣ : ١١ ، ١٣٤ : ٢٢
١٣٧ : ١٦ ، ١٤١ : ١٢
أبو القاسم بن حولة — ١٥ : ٢٤
و ٢١ *
أبو القاسم الباركي — ٩ : ١٤١ و ٢٢ *
أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف —
٤٢ : ١٩ ، ٤٨ : ٤٤ ، ٦١ : ١٢ ،
٦٦ : ١٥ و ١ *
أبو القاسم عبيد الله بن الحسن غلام زحل —
٣٨ : ١٧ و ٣ *
أبو القاسم علي بن جليات — ٧ : ١٣٥
و ١٧ *
أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الجراح —
٣٢ : ٢ و ٢٣ * ، ٣٦ : ١١
أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن
العامري — ٣٥ : ٥٦ ، ١٥ : ٥٧
٥٧ : ١٢ ، ٢٢٢ : ١٦
أبو محمد الحجاج بن يوسف — ٢ : ٤٧
أبو مسلم الخراساني صاحب الدولة —
٩ : ٧٥
أبو منصور = ابن الناظر
أبو نصر خويشاذه — ٥١ : ١٦ *
أبو نصر سابور — ٤٣ : ٢٢
أبو نصر الفارابي — ٣٢ : ٢١ *
أبو نواس — ١١٠ : ٢٠ *
٣ ، ٩٧ : ٨ و ١٨ * ، ١٠٣ : ٩
أبو الوفاء طلي بن يحيى السامري —
٣٨ : ٢
أبو الوفاء المهندس محمود بن محمد بن يحيى —
٢ : ١٩ ، ١٩ : ١٦ ، ٧ : ٤١ ، ١٢ : ١٢

(ح)

الحجاج بن يوسف = أبو محمد الحجاج
ابن يوسف

المراني — ٣٨ : ٥

الحسن بن أحمد بن عبد القفار = أبو طي
القسوي

الحسن بن برمويه — ٤٢ : ٨ و ١٨ *
٣ : ٤٣

الحسن بن سوار = أبو الخير الحسن بن سوار
الحسن بن عبد الله المرزيان = أبو سعيد
السيرافي

الحسن بن علي الخالغ = أبو علي الحسن بن
علي الخالغ

الحسن بن وهب — ٩٧ : ٧

الحسين — ١٣٩ : ٩

الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر = أبو
عبد الله الحسين بن أحمد

الحسين بن أحمد بن سعدان الوزير =
أبو عبد الله العارض

الحسين بن صالح بن خيران = أبو طي الحسين
ابن صالح

الحسين بن علي الجعل = أبو عبد الله الحسين
ابن علي

الحسين بن محمد النجار = أبو عبد الله الحسين
ابن محمد

(خ)

خاقان — ٧٩ : ٩

خالد بن سنان العيسى — ٥٩ : ٣ و ١٥ *

خالد بن صفوان — ٢٣ : ٢

الخالدي — ١٠٨ : ٦

خراسان — ٢٢١ : ٢٢ *

الأهوازي — ٤٨ : ١٤
أوميروس الشاعر — ١٦٤ : ٣

(ب)

باقل — ٦١ : ١٧

البخاري المحدث — ٢٦ : ٢٤

البخاري = أبو العباس البخاري تلميذ
أبي سليمان

البيهي — ٣١ : ٩

بهر بن متي — ٣٢ : ٢٢

بهر بن هارون — ١٣٩ : ٦

البلعمي الوزير — ١٣٠ : ٣

بلهور — ٧٩ : ٩

بندار الفني — ٤٢ : ٩

بهاء الدولة البويهي — ٣٢ : ١٨ *

بهرام بن أزدشير = أبو سعيد بهرام
ابن أزدشير

(ث)

ثابت — ٥٧ : ١٢

(ج)

جابر بن حيان — ٣٥ : ١١

الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ

جعظة = أبو الحسن أحمد بن جعفر

الجراح = أبو القاسم عيسى بن طي

الجراحي = أبو طالب الجراحي

جرير — ٧٩ : ٢٤، ١٩٧ : ١٦

جعفر بن يحيى — ١٠٠ : ٦

جميل بن ممر صاحب بئنة — ١٣٨ : ١٤

الجهاني = أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر

الجهاني = محمد بن أحمد

زكرياء (عليه السلام) — ١٢: ٩١
الزهري — ٧: ١٠٨
: هير بن أبي سلمى الشاعر — ٢٥: ٤٥ *
٢١: ٧٧
الزهري — ٨: ٦٣

(س)

سابور بن أزدشير — ١٦: ١٣٧
سابور = أبو نصر سابور
سجبان — ٢: ١٣٩
السرى السقطي — ١٧: ٥٨
سطيح — ٢: ٥٩
سقراط — ٩: ٢١٥
سكان شاه — ٤: ٧٩
السلامي — ١٠: ١٣٤
سليمان (عليه السلام) — ١٢: ٩١
سليمان بن عبد الملك — ٦: ٢٧
سهل بن هارون — ١٤: ٥٨
سيبويه — ٧٩: ١٨، ١٣١، ٧: ٤٧،
٣: ٢٢٢
السيرافي = أبو سعيد السيرافي
سيف الدولة بن حمدان — ٢٥: ١٣٦،
١: ١٣٧

(ش)

شبيب بن شبة — ٢: ٧١
شرف الدولة البويهى — ١٦: ٥١
شهرزاد — ٢٢: ٢٣ *

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن حلال

خراش بن زهير — ٩: ٢٢١
الحليل بن أحمد — ٩: ٥٨
خواشاذه = أبو نصر خواشاذه

(د)

الدارقطنى — ١١: ١٣٠
داود (عليه السلام) — ١١: ٩١
دوست بن رباط الفقيمي = أبو شعيب
دوست بن رباط

(ذ)

ذو الرمة الشاعر — ١٨ و ١٠: ٢٢
ذو الرياستين (ابن سينا) — ٢: ٥٩
ذو الكفارين أبو الفتح طي بن أبي الفضل
محمد بن العميد — ٣: ١٢ و ٢٠ *
١٠: ٦٦، ١٣٦، ٣: ١٣٧
١٠ و ٩: ١٣٩، ٣

(ر)

الرازي = أبو حاتم الرازي
الراوندى — ١٩: ١٤٠
ردينة — ٢٢: ٧٦
الرشيد = هارون الرشيد
الرضى بالله العباسى — ١٩: ٧٩
الرماني = أبو الحسن علي بن عيسى
ركن الدولة البويهى — ٢١: ٣
رؤية بن العجاج — ١٩: ١١٨

(ز)

الزجاج — ٨: ١٣١
زرادشت — ٩١: ٩٢، ٣: ٩٣، د

علم الجارية — ٩ : ٤٢
علي بن أبي طالب — ٩ : ٧٠ ، ٢١ : ١٠
علي بن أبي الفضل محمد أبو الفتح بن العبيد =
ذو الكفايتين أبو الفتح علي
علي بن أحمد الأنطاكي = أبو الحسن
الأنصاري

علي بن جعفر — ٦ : ٦٢
علي بن جليات = أبو القاسم علي بن
جليات

علي بن ربن — ٥٨ : ١٥ ، ١٩ *
علي بن العباس بن جريج = أبو الحسن علي
ابن العباس

علي بن عيسى الجراح الوزير — ٣٢ :
١٤ : ٦٨ ، ٢٣

علي بن القاسم — ١٦ : ٦١
علي بن يحيى السامري = أبو الوفاء علي
ابن يحيى

عمار بن عقيل — ٧ : ٢٢٢
عمر بن الخطاب — ٨ : ١٠٣ ، ٨ : ٢١

عمر بن عبد العزيز — ٩ : ٢٦
عمرو بن كلثوم — ٢٠ : ١٤٣ *

عمير بن شبيب التغلبي الملقب بالفطامي — ٢٢ :
١٤ و ٢٢ *

عنترة العبيسي — ٢٠ : ١١ *
عيسى بن إسحاق = أبو علي عيسى
ابن إسحاق

عيسى بن داب الأخباري — ١٥ : ٥٨
عيسى بن علي بن عيسى الجراح = أبو
القاسم عيسى

عيسى (عليه السلام) — ١٥ : ٥٩

(غ)

غزال الراس — ٩ : ٤٢

الصاحب بن عباد = أبو القاسم إسماعيل

الصاحب بن عباد

الصابغاني — ٣ : ٣٨

صبيد — ١٠ : ٧٩

صريع الفرائي — ٧ : ٥٨

صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه —

٤ : ٢٤ ، ٤٢ : ١٨ ، ٤٣ : ١٢ ،

١٧ : ٦٦ ، ١٧ : ٥١

(ط)

طرفة — ٢٠ : ٨١ *

(ع)

عباد أبو الصاحب — ٨ : ٦٣

العباس بن مرداس — ٦ : ٧٦

عبد العزيز بن محمد بن نباتة السمدى —

١١ : ٢٥ *

عبد العزيز بن يوسف = أبو القاسم

عبد العزيز بن يوسف

عبد الله بن دارم — ٦ : ٨٤

عبد الله بن مصعب — ٥ : ٤١

عبد الله بن مروان — ٧ : ٢٦

عبيد الله بن الحسن = أبو القاسم غلام زحل

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود —

١٠ : ٢٦

عروة بن الورد — ١ : ٦١

عز الدولة البرهسي — ١٨ : ٦٧

السجدي — ١٤ : ٤٨

عضد الدولة بن بويه — ٣ : ٢٢ ، ٣٠ : ١٩ ،

٣٢ : ١٨ ، ٤٢ : ٤٣ ، ٢١ : ٢٢

٦٦ : ١٦ ، ٦٧ : ١٨ ، ١٣٤ : ٢٢ ،

١٣٧ : ١٦

مقي = أبو بصير مقي بن يونس القنائي
محمد (صلى الله عليه وسلم) — ١٥ : ٥٩ .
٢ : ٩١

محمد بن إبراهيم — ٥ : ٦٩
محمد بن أحمد الجيهاني — ٢٥ : ٧٨
محمد بن أحمد بن علي بن شاهره الفقيه =
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي
محمد بن جعفر الممداني = أبو الفتح محمد
ابن جعفر

محمد بن الحسين الحاتمي — ١ : ١٣٥ ،
* ١٠ و

محمد بن حيويه بن المؤمل — ١١ : ١٢٩
* ١٨ و ٣ : ١٣٤

محمد بن السري بن سهل = أبو بكر محمد
ابن السري

محمد بن صبح الكوفي = أبو العباس محمد
ابن صبح

محمد بن طاهر = أبو سليمان المنطقي محمد
ابن طاهر

محمد بن طنج = ابن طنج
محمد بن الطيب الباقلائي القاضي = أبو بكر
محمد بن الطيب

محمد بن عبدكان — ١٢ : ٦٧ ، ٦ : ٥٨
* ٢٥ و

محمد بن عمران = أبو عبيد الله المرزباني
الأديب

محمد بن محمد بن النعمان = أبو عبد الله محمد
ابن محمد بن النعمان

محمد بن يوسف العامري = أبو الحسن
محمد بن يوسف

محمود بن محمد بن يحيى = أبو الوفاء المهندس
المرزباني بن محمد ملك الديلم — ١٤ : ٦٨ ،
٥ : ١٣٠

المرزباني صاحب آل سامان — ٩ : ١٠٨

هلام زحل = أبو القاسم عبيد الله بن الحسن
هليلان بن عتبة بن نهيس = ذو الرمة

(ف)

عمر الدولة أبو الحسن علي بن بويه — ٤ :
١٢ ، ٦٠ : ١٧

فضالة بن كلدة — ٤ : ٥٩
الفضل بن جعفر = ابن القرات

(ق)

قايوس — ٩ : ٥١
القادر بالله الخليفة — ١٠ : ١٣٥

قارون — ١٤ : ١٤١
قدامة بن جعفر = أبو عمرو قدامة بن جعفر

قس بن ساعدة — ١٧ : ٦١
القس نظيف النفس الرومي — ٢ : ٣٢

١٩ * ٣٧ : ٣
القطامي = عمير بن شبيب الثقفي

القفطي — ١٨ : ٣٨ ، ١٠ : ٣٢
القنائي = أبو بصير مقي

القوي — ٣ : ٣٨
قيصر — ٨ : ٧٩

(ك)

الكندي — ٦ : ١٠٨
كريز أبو سيار المسمي — ٧ : ٧٠

كسرى — ٨ و ٣ : ٧٩
كسرى أنوشروان = أنوشروان

الكندي — ٥ : ١٢٧ ، ١٢ : ٥٨

(م)

المغني — ١١ : ١٣٥

(هـ)

هارون الرشيد — ١٤ : ١٦ ، ٢٢ : ٣
المروى — ٦٩ : ١٢

(و)

الواتق بأمة الخليفة — ٩٧ : ١٦
الواسطي — ١٤٠ : ١١
الواقدي — ٥٨ : ١٦
وهب بن يعقوب الرقي = ابن يعقوب

(ي)

ياقوت — ٥٥ : ٢٠ ، ٧٩ : ١١ ، ٨٤ :
١٤ ، ١٠٧ : ٢١ ، ١١٠ : ١٨ ،
١١٦ : ٢٠ ، ١١٨ : ١٧ ،
١٣٢ : ٢٠
يعقوب (عليه السلام) — ٩١ : ١٢
يعقوب بن عدي أبو زكريا — ٣٢ : ٢
و ٢١ * ، ٣٧ : ٦
يعقوب بن السكيت — ٢٢٦ : ١
يففور صوابه فُغْفُور — ٧٩ : ٩
يوحنا — ٥٨ : ١٥

مزدك — ٩٢ : ٩

مكويه = أبو علي أحمد بن محمد

المسيح (عليه السلام) — ١٥٠ : ١٢

معاوية بن أبي سفيان — ١٠ : ٢١ *

١٥ : ٥٥ ، ٧٠ : ٩

المتصم الخليفة — ٥٨ : ٢٠ *

المرى صوابه المكييمري — ٣٨ : ٣

المقتدر الخليفة العباسي — ١٠٧ : ٢٢ *

النذر بن ساوي — ٨٤ : ٥

اللهدي الخليفة — ٧٠ : ٦

الهياي الوزير — ١٣٢ : ١٠ ، ١٣٧ : ١٦

موسى (عليه السلام) — ٩١ : ١١

مؤيد الدولة أبو منصور يوي — ٣ : ٢٤ *

٤ : ١٣ ، ٦٠ : ١٧

(ن)

النبي = محمد صلى الله عليه وسلم

النجار = أبو عبد الله الحسين بن محمد

نصر الدولة — ٣٢ : ١٤

نصر غلام خواشاذه — ٥١ : ٢

النصري = أبو عبد الله النصري

النصبي = أبو إسحاق النصبي

نظيف = القس نظيف النفس الرومي

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١٩ : ١٤٠ ، ٢٦ : ١٣٦ ، ١٣

٢٣ و ١٠ : ١٤١

بلاد الجبال — ١٧ : ٣ ، ١٠ : ٤

بوزجان — ٢٣ : ٥٠

البيت العتيق — ٩ : ٢٤

البيارستان — ٧ : ٥١

(ت)

تركستان — ٢١ : ٧٩

تفليس — ١٣ : ٥٥

(ج)

جبل طى — ٢٢ : ٨٣

جرجان — ٩ : ٥١

جزيرة العرب — ٢٤ : ٨٤

جيهان — ٢٤ : ٧٨

(ح)

حضرموه — ١٠ : ٨٤

(خ)

خراسان — ١٥ : ٤١ ، ١٦ : ٢٦

(١)

أرجان — ١٩ و ٩ : ٤

أرم — ٢٤ و ٧ : ٨٤

أردوال = أردوان

أردوان — ٢٨ : ٧٩

أسكنان — ١٠ : ٧٩

أصبهان — ٢٧ : ٧٩ ، ٨ : ٦٣ ، ٢٢ : ١٤١

أندلس — ٩ : ٧٧

أنطاكية — ١٩ : ٩٣

الأهواز — ١٢ : ١٣١ ، ١٩ : ٤

(ب)

باب الجسر — ٦ : ٥١

بابهان = أرجان

باريس — ١٧ : ١٣٧

بحر الهند — ٢٥ : ٨٤

البحرين — ١٦ و ١٤ : ٨٤

بخارى — ٢٥ : ٧٨

البصرة — ١٧ : ١٤٠

بنناد — ٢٥ ، ١٦ : ١٤ ، ١١ : ٣

١٣ و ٥ : ٢٩ ، ٢١ : ٢٨ ، ١٨

١٨ : ٤١ ، ٢٠ و ١٣ و ٩ : ٣٢

١٣١ ، ١٨ : ١٠٨ ، ٢٠ و ١٩ : ٩٣

(ش)

الشام — ٧٩ : ٢٠ ، ٧١ : ١٠
١٠ : ١٩٤ ، ١ : ٨٤ ، ٢٢ : ٨٣
الشعر — ٨٤ ، ٦٣ : ٨٠ و ٧

(ص)

صحرار — ٨٤ : ٧ و ٢٣
الصفاء — ٨٤ : ١٦
صفين — ٧٠ : ٧
صنماء — ٨٠ : ١٤ ، ٨٥ : ١
الصين — ٧١ : ١٦

(ط)

طهران — ٣ : ١٨
طيبة — ٨٠ : ٤ و ١٥

(ع)

عدن — ٨٤ : ٨ و ٢٤ و ٢٥
العراق — ١٠ : ٢١ ، ٢٢ : ١٣ ، ٥٠
٢٣ ، ٨٤ ، ١ : ١٣٤ ، ٢١
عرة — ٨٥ : ٦
عكاظ — ٨٥ : ٣ ، ٢٢١ : ١٠ و ١٠
عمان — ٤٣ : ١٢ ، ٨٤ : ٦ و ١٩ و ١
٢٢ و ٢٣ و ٢٥

(ف)

فارس — ٤ : ١٩
فرغانة — ٥٥ : ١٣ و ٢٢ ، ٧٩
١٠ و ١٩ و ٢٠

٧٨ : ٢٤ ، ٧٩ : ٩ ، ١٣٤ : ١٥ ،

١٤٤ : ١٣ ، ٢٢١ : ٢٢

خوارزم — ٧٧ : ٩

خوزستان — ٤ : ١٩ ، ٧٩ : ٢٨

(د)

دار الكتب المصرية — ٩٨ : ١٩
دارك — ١٤١ : ٢٢
دبا — ٨٤ : ٧ و ٢٠
دمشق — ٨٣ : ٢٣
دومة الجندل — ٨٣ : ١٤ و ٢٢ ، ٨٤ :
١٢ و ٣

(ذ)

ذو المجاز — ٨٥ : ٣

(ر)

راغة = الرى
الراية — ٨٤ : ١٠
الرى — ٣ : ١١ و ١٧ و ٢٤ ، ٣٥ : ٥٥ ،
٣٦ : ١ ، ٥١ : ٨ ، ١٣٦ : ٣ ،
١٤١ : ١٢

(ز)

زرود — ٨٠ : ١٥

(س)

سجستان — ٤٢ : ٦ ، ١٣٠ : ١٣
سَرَّ مَن رَأَى — ٦٩ : ٦
سَنَجَان — ٤١ : ١٥ و ٢١

نيسابور — ٤ : ٢٢ ، ٥٠ : ٢٣ ،
١٤١ : ١٠ و ٢٢

(هـ)

هجر — ٨٤ : ٤ و ١٤ و ١٧
همدان — ٥٣ : ١٢ ، ١٣٤ : ١٨ ،
١٤١ : ٥٠ و ١٣
الهير — ٨٠ : ١٦
الهند — ٧٩ : ٩ ، ١٦٥ : ١٣ ،
١٧٤ : ٨

(و)

واسط — ٢٨ : ٢١ ، ٧٩ : ٢٨
ويار — ٨٠ : ٣

(ي)

يبرين — ٨٠ : ٤
اليمن — ٨٠ : ١٣ ، ٨٤ : ٢٥
يونان — ١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١

(ك)

كرخ بغداد — ١٣٤ : ٢١
الكوفة — ١٤ : ١٧ ، ٩٧ : ١٩

(م)

ماوراء النهر — ٩٩ : ٢٣
للتحف البريطاني — ١٣٧ : ١٧
للدبنة — ٨٣ : ٢٢
مدينة السلام = بغداد
مرو — ٤١ : ٢١
القفز — ٨٤ : ١٦ و ٥٠
مصر — ٥٥ : ١٣ ، ٧٩ : ٢٠ ،
١٠٨ : ٩
مكة — ٨٠ : ١٦
مكتبة باريس — ١٣٧ : ١٦

(ن)

نجد — ١٩٦ : ٩
التوبة — ١٦٥ : ١٤

فهرست القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدى

١١٧: ١٤، ١٣٧، ١٠: ١٤٤، ١٠
١٠، ٢١٢، ٦، ٧، ٨

(ج)

الجاهلية — ٩٩ : ١٤
الجبرية — ٥٧ : ٢٤

(ح)

الحكاء — ١٤٦ : ١٢، ١٤٨، ١٣

(خ)

الحرّمية — ١٤٣ : ٤

(ر)

الروم — ٧١ : ١٤، ٧٤، ١٠ : ١٧٣
١٧، ٢١١، ١٩

(ز)

الزبدية — ٥٥ : ٣
الزنج — ٧١ : ١٨، ٧٤، ٢ : ٧٧
٩، ٣٦٢، ٩

(ا)

آل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) =
٥ : ١

آل ابن ثوبة — ٩٧ : ٨، ١٠٣، ٩

آل ابن وهب — ١٠٣ : ٩

آل سامان — ١٠٨ : ٩، ١٢٩، ١٦

الأتراك = الترك

أهل القنمة — ٩٩ : ٢٤

(ب)

البرصيون — ٢٥ : ١٩

البغداديون — ١٩ : ١٣، ١٨

بنو أسد — ٨٠ : ٣

بنو تميم — ٨٥ : ٥

بنو عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

بنو عبد المطلب — ٧٦ : ٨

بنو مخزوم — ١٣٤ : ٢١

(ت)

التابسون — ٢٥ : ٢

الترك — ٧١ : ١٧، ٧٤، ٢ : ٧٧

٩، ٧٩ : ٩، ١١٠ : ١٣

٩١ : ٩٤ ، ٩٦ : ٩٢ ، ١٤ : ٩١
٣ و ٧ و ٩ و ١١ و ٩٥ : ١٠٦ ،
١٩ ، ١١٠ : ١٣ ، ١١٤ :
٣ ، ١١٧ : ١٤ ، ١٢٢ : ١٦ ،
١٢٩ : ١٢ ، ١٣٠ : ٢ و ٤ ،
٢١٢ : ٤ و ٦ و ٨ و ١٤ و ٢١ ،
٢٢١ : ٥

المراقبون — ٦٤ : ٢

(ف)

الفرس — ٧١ : ١١ ، ٧٤ : ١ و ٧ و ١٠ ،
٨٩ : ١٥ و ١٧ و ٩٠ : ٩٣ ،
٥ و ١٦ و ٩٤ : ١١٠ : ١٣ ،
الفلاسفة — ٢٦ : ١٥ ، ١٩٨ : ٧

(ق)

الفرامطة — ٤٤ : ٣ ، ٤٨ : ٥

(ك)

كلب — ٨٣ : ٢٣ ، ٨٤ : ١ و ٣ و ٤
كناة — ٨٣ : ٢٣
الكوفيون — ١٣١ : ٥

(م)

المتكلمون — ١٤٣ : ١٨
المتزلة — ٥٤ : ١٤ ، ١٤٣ : ٣
الملحدة — ١٤٣ : ٤
المنطقيون — ١٠٨ : ١٨ ، ١٢١ : ٨
المهندسون — ١٠٧ : ٦

(س)

السامانيون — ٧٨ : ٢٦
السودان — ٢١٢ : ٩

(ش)

الشافعية — ١٤١ : ٢١
الشيعة الإمامية — ١٤٢ : ١٦

(ص)

الصابئون — ٦٧ : ٢١ ، ٩١ : ٨ ،
١٢٨ : ٧
الصباحية — ٢٥ : ٢
صقلاب — ٧٧ : ٩
الصوفية — ٧ : ٨ ، ٥١ : ١٩

(ط)

الطبيعيون — ١٠٧ : ٦

(ع)

عبس — ٥٩ : ١٦
الجم — ٤٧ : ٢ ، ٧٠ : ١٢ و ١٧ ،
٧٧ : ٨ ، ٨٣ : ١٢ ، ٩٠ : ١
العرب — ٢٤ : ٩ ، ٢٥ : ٣ ، ٤٧ :
٢ ، ٥٠ : ١٧ ، ٧٠ : ١٢ و ١٣
و ١٤ و ١٥ : ٧١ ، ١٨ : ٧٢ ،
٥٥ : ٣ و ٧٦ : ١٤ و ٢٢ ،
٨٠ : ٢٣ ، ٨٢ : ٨ ، ٨٣ : ٣ و ١٠ ،
٨٤ : ٢٠ و ٢١ : ٨٥ : ٧ ،
٨٦ : ١٦ ، ٨٨ : ١٦ ، ٨٩ : ٩

: ٢١١ ء ٨ : ١٧٤ ء ١٤ : ١١٧
٢ : ٢١٢ ء ١٩

(٤)

اليهود — ١٠ و ٨ : ٩١
يونان — ١٨ و ١٦ : ٨٩ ء ٥ : ٧٥
١٧٠ : ١٠ : ١٧٣ ء ١١ :
٢ : ٢١٢

(ن)

التحويون — ١٠٧ : ١١٧ ء ٩ :
١٠ : ١٢١
المصري — ١٠ و ٨ : ٩١

(هـ)

الهنود — ٧٧ : ١٨ : ٧٤ ء ٩ :
١٣ : ١١٠ ء ١٠ : ٩٣ ء ٩ : ٧٩

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

تهذيب الأخلاق — ١٧ : ٣٢

(ح)

حياة الحيوان — ٢١ : ١٨٠
الحيوان للجاحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٢ : ٥

(ذ)

ذيل تجارب الأمم — ١٧ : ٤٢ ، ٤٣ : ٢٠

(ر)

الرسالة الحاكمة — ١٠ : ١٣٥

(ع)

عيون الأخبار — ٢٤ : ٢٧
عيون الأنباء — ١٨ : ٤١

(ف)

فردوس الحكمة — ١٩ : ٥٨
فضيلة علم الأخبار — ١٦ : ٢٦
الفلاحة — ١٠ : ٨٩
الفهرست — ١٦ : ١٣٤

(ا)

آيين نامه — ٢٥ : ٧٨
الأجوبة — ١٦ : ٣٦
أخبار بني بويه — ٢٠ : ٦٧
أخبار الحكماء — ٢٤ : ٥٠ ، ١٨ : ٣٨
إصلاح المنطق — ١ : ٢٢٦
إيجاز القرآن — ١٩ : ١٤٣
الألفاظ الفارسية العربية — ٢٤ : ٧٩
ألف ليلة وليلة — ٢١ : ٢٣
إنقاذ البصر من الجبر والقدر — ١٥ : ٢٢٢
إساغوسى — ٤ : ٣٥

(ب)

البدل — ٢١ و ١٦ : ٥٨
بلوغ الأرب — ١٨ : ٨٤
البهجة — ٢ : ١٣٤ ، ٢٣ : ١٣٣

(ت)

التاسي في أخبار بني بويه — ١٩ : ٦٧
تاريخ ابن الأمير = الكامل لابن الأمير
تاريخ الحكماء — أخبار الحكماء
تجارب الأمم — ١٧ : ٣٢

معجم البلدان — ٧٩ : ٢٧ ، ٨٤ : ٤
المعجم الفارسي الإنجليزي — ٦١ : ١٩
مفاتيح العلوم — ٩٩ : ٢٢
مفردات ابن البيطار — ١٧٩ : ٢١
المقائبات — ١١٤ : ١٨ و ٢٠ ، ١١٥
١٩ و ٢١ ، ١١٦ : ٢٠
المقدمات — ١٤١ : ٢١
الموسيقى — ٨٩ : ٩

(ن)

نقض كلام الراوندي — ١٤٠ : ١٩
نقض كلام الرازي — ١٤٠ : ١٩
نهاية الأرب — ٩٨ : ١٩
النوادر — ٢٦ : ١٧

(هـ)

هزار أفسان — ٢٣ : ٨ و ١٩

(ي)

يخيمة الدهر — ١٣٤ : ٢٣ ، ١٣٥
١٧ : ١٣٧ ، ١٣ : ١٣٦ ، ١٨

(ق)

قاطيفورياس — ٣٥ : ٤

(ك)

الكامل لابن الأثير — ٥٠ : ٢٤ ، ١٣٣ :
٢٤ ، ١٣٧ : ٢١
كتاب إقليدس ٨٩ : ٩
مكتاب الجيهاني في الطمن على العرب —
٧٨ : ١١
كتاب سيويه — ٧٩ : ١٨ ، ١٣١ :
٧ و ١٩ و ٢٠ ، ٢٢٢ : ٣

(ل)

لسان العرب — ١٢٢ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٨
اللطيف — ١٤١ : ٢١

(م)

المجسطي — ٨٩ : ٩ و ١٥
مستدرك التاج — ١٢٢ : ٢٠
معجم الأدباء — ٢٤ : ٢١ ، ٣٥ : ١٧ ،
٥٤ : ٢١ ، ٥٥ : ١٨ و ٢٠

استدراك

اطلع صديقنا السيد محمد كرد علي على تجارب الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة بعد أن مثلت للطبع ، فكتب عليها الملاحظات الآتية ، ونحن نسجلها لحضرتة مع شكرنا الجزيل له على هذه المعاونة العملية القيمة .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٨	أبمدُ	أبمدَ
٣	١٣	عابسَا	عابتَا
١٠	٦	يُفْتَقِرُّ	يُفْتَقِرُّ
١٠	٨	بفكاهتك	بفهاهتك
١٢	٢	زهراتها	زهرتها
١٢	٩	وعيوب	وعيوب
١٣	٩	طلب	طيب
١٦	٩	يحرصون	ويحرصون
٢١	١	محاوبة	محاابة
٢٦	١٠ و ٩	والله إني لأشترى المحادثة من عبيد الله شاذ	والله إني لأشترى ليلة من ليالي عبيد الله شاذ
٣٥	٣	السامرِيّ والممرى	السامرِيّ والصَيِّرِيّ ، (وقد ذكرنا هذا التصويب في فهرست الأعلام أيضاً) .
٣٨	٣	مخارق النجوم	مخارف النجوم

صواب	خطأ	سطر	صفحة
هذه الصناعة	عنده الصناعة	١٥	٣٩
يَعْتَبِرُ	يَمَيِّرُ	١٣	٤٠
النفس الكلية	النفس الفلكية	١٩	٤٠
» »	» »	١	٤١
قلت	قال	١٣	٤١
تهجين	تأجيل	٦	٤٤
إلى قابوس بجرجان	إلى قابوس وجرجان	٩ و ٨	٥١
أنها من فعلاته	أنه من فعلاته	١٤	٥٧
يقال [له]	يقال	٤	٥٨
أبو طالب	ابن أبي طالب	١٦	٦٨
في دار [لِتَانٍ] . (والثاني : الدهقان ؛ أوزعيم الإقليم)	في دار	١	٧٠
ويتجنّبون به الدناءة	ويتجنّبون به على الدناءة	١٣	٧٢
فُفُور	يقفور	٩	٧٩
ويدفثنى	ويكفئني	١٠	٨٣
المؤذبة	المؤذية	١١	٨٦
نقّات	نقّاب	١٣	٨٦
والاختيار	والاختيار	٢	٨٨
وأبو سليمان يقول مع الجماعة	مع الجماعة وأبو سليمان يقول	١٦	٨٨
ويصّف	وينصف	١١	١٠٠

صواب	خطأ	سطر	صفحة
خَرَفَتْ	خَرِفَتْ	٩	١٠١
تَتَنَدَى	تَتَغْدَى	٢١ و ٢٠	١٠٢
بعبارة	بعبادة	١٥	١١٣
[لا] يَدْفَعُ	يَدْفَعُ	١١	١٣٦
نَزَّالًا	بَدَّالًا	١٥	١٥٨
جذبت العين	حدت العين	٧	١٩٦
ثوبان	ثوبين	ح ٢٠	١٩٧
لم [لا] تتحركون	لم تتحركون	١٠	٢٠٨
و [دون] الثقة شوك القتاد	والثقة شوك القتاد	٤	٢١٨
لا تطردان ولا تستمران	لا يطردان ولا يستمران	٧	٢٢٠
قوية	قوية	١	٢٢٣

وقد تفضل فحتم هذه الملاحظات بالجملة الآتية :

« هذا ما أردت تقييده ، ومن هذه الملاحظات ما يرد عليه بأيسر سبيل ، ومنه ما هو من هنات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، ومن رأى النسخة الوحيدة التي جرى عليها الطبع من كتاب الإمتاع والمؤانسة يهني الأستاذين ناشريه على ما وُقِّع له من تقويم غلطاته وسقطاته ونحريفاته ، والمصمة لله وحده . »

